



العدد الحادي والعشرون - خريف ٢٠٢٤/شتاء ٢٠٢٥

- بيروت قبل ١٣٠ سنة
- قرنة الدير قرية مجهولة
- قصة القطار في لبنان

1924
2024
LAU
INNOVATING
EMPOWERING
EVER-GIVING



أَكاديـميّة مُـحَكَّمَة تَصدر مرتين في السنة
يَنشُرُها
مركز التراث اللبناني
في
الجامعة اللبنانية الأَميركية LAU

الإدارة والتحرير

مركز التراث اللبناني - الجامعة اللبنانية الأَميركية - قريطم - بيروت

هاتف: **٦٤ ٦٤ ٧٨ ١ ٩٦١ + (المقسّم ١٦٠٠)**

ص ب: **٥٠٥٣ - ١٣ بيروت - لبنان**

clh@lau.edu.lb

www.lau.edu.lb/centers-institutes/clh

مجلة مرايا التراث Facebook: Mirrors of heritage

الإشراف الطباعي STRATCOM-LAU

تصميم وإخراج ماريان كابي زيادي

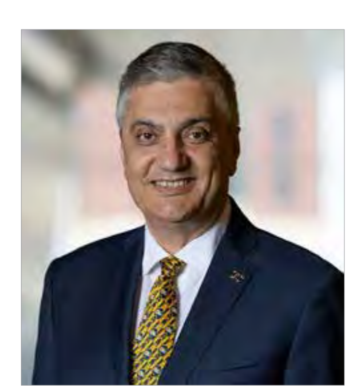
صورة الغلافين: القطار في لبنان من الشروق إلى الغروب



العدد الحادي والعشرون - خريف ٢٠٢٤/شتاء ٢٠٢٥

من الوفاء والولاء إلى الهوية والانتماء

د. شوقي عبدالله
رئيس الجامعة



كان ذلك قُبَيْل نصف قرن، حين غادرتُ لبنان إِلى أَميركا للدراسة الجامعية. لكنَّ لبنان لم يغادِرْني.

وطوال مسيرتي الأَكاديمية في الولايات المتحدة، متنقِّلاً من جامعةٍ إِلى أُخرى ومن ولايةٍ إِلى أُخرى بمسؤُوليات جامعية مختلفة، بقِيْتُ على مبدأَي الوفاء والولاء: الوفاء للوطن الأَميركي الذي مَنَحَني الأَمانَ والجنسية، والولاء للوطن اللبناني الذي مَنَحَني جُذُوري والهوية، فحملتُ الجنسية الأَميركية ولم أَتخلَّ عن جذور الهوية اللبنانية.

هكذا أَكملْتُ: لا فقَدْت البوصلة، ولا وجدْتُ نفسي ضبابيَّ الانتماء. فإِنتاجي العلميُّ الكتابيُّ الأَكاديميُّ في أَميركا كان غزيرًا، لإِيماني بِرَدِّ الوفاءِ لبلادٍ درَسْتُ فيها، وتخرَّجتُ من جامعاتها، وعملتُ في هيئاتها التدريسية، وفي كوادرها الإِدارية، وهي بالمقابل فتحَتْ لي آفاقَ فُرَص العمل الموازية حتى تمكَّنتُ من تحقيق ما أَنجزتُ فيها ضمن حقول اختصاصي.

غير أَنَّ كل ذلك، وخلال ما يُقارب نصفَ القرن، لم يُبْعِدْني عن الجِذْع الذي صاغني من أَغصانه، وأَطلَقَني إِلى الفضاء الواسع حاملاً إِرثَه العريق، وقِيَمَهُ الأَخلاقية والإِنسانية، وبَقِيَ لبنان في قلبي وضميري وتفكيري.

اليوم، والفرصةُ أَتاحت لي أَن أَعودَ إِلى أَرضِيَ الأُمّ، إِلى بلدي الأَول، إِلى حضن بلدتي راشانا وسماءِ وطني لبنان، يُسْعدني أَن أُكملَ رسالتي، إِداريًّا وأَكاديميًّا، في هذا الصرح اللبناني العريق: «الجامعة اللبنانية الأَميركية» التي نهضَ بها رُؤَساؤُها أَسلافي إِلى أَعلى المراتب العلْمية والتربوية في حقل التعليم العالي، حتى باتت في طليعة جامعات لبنان

والشرق الأَوسط بأَحرامها الثلاثة في بيروت وبيبلوس ونيويورك. فعسايَ أُواصلُ النهوضَ بها من الحاضر المُضيْءِ إِلى المستقبل الواعد الذي هو شعار مئويَّتها هذا العام. إِنها حتمية التاريخ. وإِذا لا أَهميةَ للتاريخ لدى مَن ليس يَحْفَلون بالمستقبل، فالذين يَحْفَلون يَسعون دومًا إِلى الاتِّعاظ لتحسينه إِلى الأَفضل.

بهذه النظرة، يَسُرُّني أَن أَفتتح فترةَ رئاستي بافتتاحيَّة هذا العدد الجديد من «مرايا التراث»، المجلة الرصينة المُحَكَّمة التي يُصدرُها «مركز التراث اللبناني» في الجامعة مُواصلاً بها مسيرتَه الغنيَّة بإِبرازِ أَعلام وعلاماتٍ ومعالِمَ من تراث لبنان.

وكما أَسـأَلُ العنايةَ الإِلهيةَ أَن تُرافقَني في رئاسة الجامعة، أَسأَل «مركز التراث» أَن يَستمرَّ في فتْحِه آفاقًا جديدةً للكُنُوز النادرة من تراثنا، فَنَنْقُل بها إِلى الأَجيال اللبنانية الجديدة صفحاتِ أَمجادٍ خَيِّرة خَطَّها آباؤُنا وأَجدادُنا لنُكْمِلَها نحن بجهدٍ نسعى أَن يُعادلَ جُهدَهم في بنائها والحفاظِ عليها.

تحيَّتي إِلى قُرَّاء «مرايا التراث»، وتمنياتي باستمرارها، عددًا بعد عدد، مرآةً ساطعةً لتراث لبنان.

شوقي عبدالله

رئيس الجامعة

... وَلْتَكُن جامعتي شاهدةً علَيَّ

هنري زغيب
رئيس التحرير





في ١٤حزيران الماضي، شرَّفَتْني «الجامعة اللبنانية الأَميركية» LAU بمنْحيَ شهادة «الدكتوراه الفخرية في الآداب الإِنسانية» مكافِئَةً جهودي ٥٠ سنةً (منذ ١٩٧٤) في حقل الصحافة الثقافية والتراث والأَدب والنشاط الثقافي، و٢٢ سنة (منذ ٢٠٠٢) في إِدارة «مركز التراث اللبناني» في الجامعة. سلَّمَني الشهادةَ رئيسُ الجامعة الدكتور ميشال معوَّض باسْم نواب الرئيس ومجلس الرئاسة، إِبَّان احتفال التخرُّج السنوي التاسع والتسعين. وأَلقيتُ بعدها كلمتي.

ولم أَجِدْ أَفضل من منبر «مرايا التراث» – وهي ابنةُ «المركز» الذي هو ابنُ الجامعة – لأَنْشُرَ كلمتي مكان افتتاحيتي هذا العددَ الجديد، كي تَبقى كلمتي في ذاك الاحتفال شهادةً عليَّ تجاه الجامعة وأَركانها، وفاءً لهم وتحيةَ شُكْران.


LAU
الجامعة اللبنانية الأميركية
Lebanese American University

THE LEBANESE AMERICAN UNIVERSITY BOARD OF TRUSTEES, UPON THE RECOMMENDATION OF THE FACULTY AND THE PRESIDENT

HAS CONFERRED UPON

Henri Zoghaib

The Honorary Doctorate in Humane Letters

WITH ALL THE RIGHTS AND PRIVILEGES PERTAINING HERETO, GIVEN THIS FOURTEENTH DAY OF JUNE TWO THOUSAND AND TWENTY-FOUR.

PROVOST

مجلس أمناء الجامعة اللبنانية الأميركية
بناءً على توصية الهيئة التعليمية
ورئيس الجامعة

تمنح

هنري زغيب

دكتوراه فخرية في
الآداب الإنسانيّة

مع جميع الحقوق والإمتيازات المرتبطة
بهذه الشهادة. أعطيت في اليوم الرابع عشر من حزيران
سنة ألفين وأربع وعشرين

PRESIDENT

LEBANESE AMERICAN UNIVERSITY

بأَيِّ كلامٍ أَرُدُّ الوفاء، وليس لأَبجديةِ القلْب حروفٌ أُشكِّل منها كلماتي.

إِن كانَ للحُلْمِ فضاءٌ أَقصى، وللطموح وَسَاعةٌ قُصوى، فهَانيَ الليلةَ بلَغْتُ الأَقصَيَيْن.

كان لي في أُمِّيَ امرأَةٌ وَلَدَتْني ذات يوم قبل خمس وسبعين سنةً، ماتت قبلَها بسنوات وأَموت بعدها بسنوات.

ولي في LAU جامعةٌ لم تَلِدْني ذاتَ يوم لكنها مَنَحَتْني روحًا لن تنطفئَ ولا أَيَّ يوم ولو انهار بيَ الجسد.

إِن أَيَّ تكريم آخَر، بوسام أَو بأَيِّ شكْلٍ سواه، سيَكون من مرجِع رسميٍّ ينقَضي عهدُهُ فَيُمسي مرجِعًا سابقًا، إِلاَّ هذه «الدرَجَة الأَكاديمية الفخرية في الآداب الإِنسانية»: لن تكونَ يومًا من جامعة سابقة.

أَجيْءُ إِليكمُ الليلةَ، في كَفَّيَّ نصفُ قرنٍ من القمْح بدأْتُ أَبْذُرُهُ، ولا أَزال منذ خمسينَ سنةً، في حقولٍ خصيبةٍ مَلأْتُ بيادرَها سنابلَ شعرٍ وأَدبٍ وتراثٍ وعمَلٍ ثقافي. وها هي كلُّها الليلةَ أَمامَكم تضجُّ في قلبي، يُتَوِّجُها يوبيلٌ ذهبيٌّ لا من معدِنٍ نادر بل من قلوب نادِرة.

الليلةَ الليلةَ يكتملُ اليوبيل.

الليلةَ أَعود إِلى بيتي، أَبُوسُ مؤَلَّفاتي، أُحَيِّي آلافَ مقالاتي، أَستعرضُ مئاتِ أَنشطتي الأَدبية والثقافية والتراثية التي شكَّلَت هويتي الأَدبيَّةَ خلال خمسينَ سنةً من التأْليف والعمل الثقافي، يُتَوِّجُها الليلةَ هذا الوفاءُ تَمنَحُنيهِ عروسٌ مئَويةٌ أُخاصر ربيعَها، وأَمضي مُكْملاً معها رسالتي: نضَالاً دَؤُوبًا

لإبراز تراثِ لبنانَ الحضاري والتاريخي والتراثي في جميع حُقُوله وميادينه ومُبْدعيه الخالدين.

طُوبى لِمَن سَعى ودَعا ورعى هذا التكريم، أَتجدَّدُ به عافيةً نابضَةً بالعمل اليومي المتواصل، وكتاباتي الوطنية، ومقالاتي الثقافية، ومؤَلَّفاتي الأَدبية.

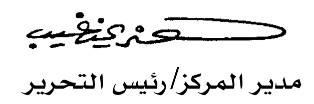
من الشعر أَجيْءُ وإِليه أَعود. وبين مجيئي وَعَودتي سنواتٌ لي ذهبيةٌ هنا في جامعةٍ تتصَّعَتْ أَن تجعل من طلاَّبها وطنًا للمتفوِّقين. فقبْلَ اثنتَين وعشرين سنةً (٢٠٠٢) كانت لي نعمةُ الانتماء إِلى هذه الجامعة الكبرى، مؤَسِّسًا فيها «مركزَ التراث اللبناني»: فريدًا في رسالته بين سائر الجامعات في لبنان. وما زلتُ عامِلاً على تثْميره، مُزَوَّدًا بثقةٍ من مجلس الأُمناء ورئيس الجامعة ومجلس رئاستها، ومُحاطًا بنُبل مسؤُوليها الزملاء في سائر الدوائر والأَقسام والكلِّيَّات.

ولأَنَّ العمْر لا وقتَ لديه لإِضاعة الوقت، أَضرَعُ أَن يَمُدَّ لي الوقتُ بعضًا من عُمْرٍ بَعد، كي أُواصلَ رسالتي في «مركز التراث» ليبقى ذاكرةً نابضةً بالمستقبل تستذكرُ الإِبداع اللبناني، ومبدعين لبنانيين يظلُّون حاضرين بيننا ولو غابوا.

وَعْدي أَن أَنْهَضَ بعدُ بـ«المركز» إِلى الأَعلى والأَوسع والأَفضل، لخدمةِ لبنانَ اللبناني تُراثًا وحضارةً، وأَن أَعمَلَ حتى أَشهدَ، ذاتَ ليلةٍ كما الليلة، صفَّ متخرِّجين يتسلَّمون من LAU الغالية شهادتَهم الغالية وعليها عبارة: «بكالوريوس في التراث اللبناني».

عهدًا عليَّ بصيغة وَعد.

وعلى تَعَهُّدي أُقْسِم، فَلْتَكُن جامعتي شاهدةً عليَّ.



مدير المركز/رئيس التحرير



نشيدُ المئوية

لم يكن ممكنًا الاحتفالُ بمئوية الجامعة من دون تكريس نشيدٍ خاص بها يتردَّد في مناسباتها هذا العام المئوي (١٩٢٤–٢٠٢٤) وربما لاحقًا. لذا طلَب رئيس الجامعة الدكتور ميشال معوَّض من مدير «مركز التراث اللبناني» في الجامعة الزميل الشاعر هنري زغيب وضْعَ النشيد، حتى إذا انتهى من كتابته وضَعَ موسيقاه الزميل الآخَر في الجامعة المؤَلِّف الموسيقي جوزف خليفة.

تَمَّت إذاعةُ النشيد في احتفال التخرُّج (بيروت ١٤ حزيران ٢٠٢٤) وتمَّ إطلاقه رسميًا (جبيل ٢٤ تموز) في أُمسية غنائية أَحيَتْها جوقة «فيلوكاليَّا» بقيادة الأُخت مارانا سعد.

وهنا نصُّ النشيد، من شِعر هنري زغيب، لحن جوزف خليفة، وتوزيع إياد كنعان.

أَتَـيْـنَـــــاكِ نَقطِف شَهْدَ العمَلْ   فَجُودي على أَنْفُسٍ جائِعَه
وجئْنا وفي القلب شمسُ الأَمَلْ   نَفيْءُ لـــــــدى أُمِّنا الجامِعَه

LAU…LAU

وهـــــا مئَةٌ سَطَعَت بالغِلالِ   فَمَرحـــــى لَـهـا مـئَـةٌ تاليَهْ
تغَذِّي العقولَ بأَفْضلِ حالِ   غِـمـــــارًا لأَجـيـالنا حـاليَهْ
أَتَيْنا وفي القلب شمسُ المنى   نَفيْءُ لـــــــدى أُمِّنا الجامِعَه

LAU…LAU

بِـماضٍ مَـجيدٍ هُنا يَحتوينا   لِـنَـنْـحَـتَ مستقبلًا واعِـدا
ونَـنْـهَـلَ عـندكِ مـــا يلتقينا   من العِـلْم يرقى بنا صاعِدا
أَتَينا وفي القلب شمسُ المنى   نَفيْءُ لـــــــدى أُمِّنا الجامِعَه

LAU…LAU…LAU

شُروط النشر في مجلة «مرايا التراث»

يَهمُّ مجلة «مرايا التراث»، إِدارةً وهيئةً علْمية، أَن تلفت الباحثين إِلى التالي:

١. أَن يكون البحثُ المُرسَل أَصيلاً في بابه، غيرَ منشورٍ أَو مرسَلٍ للنشر في مجلة أُخرى.

٢. اعتماد المنهجيّة العلميّة المُتعارَف عليها في المجلات العلميّة المُحكّمة: التوثيق في كتابة الحواشي والأُصول والمصادر والمراجع والمُختصَرات العلميّة.

٣. عدم التهجُّم الشخصي وإِلماحات الأَدلجة والإِسقاطات غير المُسنَدة في مقاربات البحث.

٤. جميع الأَبحاث المُقَدَّمة إِلى المجلة تَخضع لتحكيم اللجنة العلمية، وقد تستعين إِدارة المجلة عند الحاجة بهيئة اختصاصيين تبقى أَسماء أَعضائها طيَّ الكتمان وفق العُرْف الأَكاديمي.

٥. يُرسل الباحث مع نصه ملخَّصًا عنه في نحو ٢٠٠ كلمة بغير لغة بحثِه (بالإِنكليزية تفضيلاً أَو بالفرنسية) تسهيلاً لفَهرسة المجلة وأَبحاثِها في البيبلَيوغرافيا العالَمية.

٦. تحتفظ إِدارة المجلة بِحَقّ النشر أَو برفض أَيِّ بحث لا يستوفي شروطَ النشر أَعلاه.

٧. لا تتبنى إِدارةُ المجلة واللجنةُ العلميّة الآراءَ الـواردةَ في الأَبحاث المنشورة، وتبقَى هذه على مسؤُوليّة كُتّابها.

٨. يَحصل كلُّ باحثٍ على ثلاث نُسَخ من العدد عند صدُوره، وعلى نسخةٍ إِلكترونية من بحثه.

٩. تَشكُر إِدارةُ المجلة واللجنةُ العلميّة تعاونَ الباحثين في احترامِ شروط النشر، حفَاظًا على المستوى العلْمي في نهج الجامعة، وخدمةً لنصاعة الذاكرة التراثيّة في لبنان.

١٠. يُرسل الباحثون نصوصَهم باسم رئيس التحرير على هذا العنوان:

مجلة «مرايا التراث» – مركز التراث اللبناني
الجامعة اللبنانية الأميركية – قريطم – بيروت

أَو إِلكترونيًّا على عنوان «مركز التراث اللبناني»: clh@lau.edu.lb

تراثُنا الحضاري

إيلي خليل خليل

«قرنة الدير»

نشاط بشري مزدهر في ٣ حقب من التاريخ القديم

«قرنة الدير»
نشاط بشري مزدهر في ٣ حقب من التاريخ القديم

إيلي خليل خليل

ملخّص

«قرنة الدير» (ميروبا–كسروان) موقعٌ لفَّه الغموض طويلاً. هذا البحث يتناول تاريخه ويحلل نتائج أثريّة من تنقيبات «محميّة جبل موسى» بين ٢٠١٧ و٢٠٢٠، ويربطها بمعطيات أثريّة وتاريخيّة حول الموقع، بلوغًا إلى استنتاج تاريخ الموقع ووظيفته الأساسيّة وهويّة سكّانه.

أبرز هذه النتائج: يمتد الحضور البشريّ في موقع «قرنة الدير» من العصر البرونزي الوسيط وصولاً إلى الحِقْبة العثمانيّة، وكان للموقع تعدد وظائف عبر التاريخ، وارتباط بالساحل والداخل معًا. وهي نتائج استثنائيّة للسكن في جبال لبنان خلال العصور القديمة.

الكلمات المفتاحيّة

قرنة الدير، مستوطنة جبليّة، العصور القديمة، العصر البرونزي الوسيط، الحقبة الرومانيّة-البيزنطيّة، الحقبة الصليبيّة، نقوش الأمبراطور هادريان، جبل لبنان.

مقدّمة عامة

الدراساتُ التاريخيّة والأثريّة في لبنان ركّزت تاريخيًا على السهل الساحلي ووادي البقاع دون سلسلة جبال لبنان الغربيّة بينهما، مع أنّها مذكورة في مصادرَ مكتوبةٍ «منطقةً مهمّة غنيّة بالموارد».

«قرنة الدير» اليوم هي حاليًّا حيث محلّة «مراح الدّيب» شمالي بلدة ميروبا (قضاء كسروان)، على تلّة مجاورةٍ جبلَ موسى، وتُشرف على الطريق الرومانيّ المحاذي إياه والرابط اليوم بلدتي قهْمز ونهر الذّهب. يحتلُّ الموقع مِساحة مسطّحة شبه دائريّة بشكل منخفض داخل تكوين طبيعيّ من صخور مرتفعة يصل بعضها إلى عُلُوّ ٤ إلى ٥ أمتار، ما يشكّل


الطريق الرومانيّ

للموقع حمايةً طبيعيّةً من العواصف والرياح ومن أيّ غزو خارجيّ. وإلى روعة المناظر الطبيعيّة المحيطة في هذا المكان المميّز شبه المعزول على هضبة والمتّصل بالطريق الرومانيّ، لـ«قرنة الدير» قيمة استراتيجيّة لافتة.


موقع «قرنة الدير» على رأس التلّ

لفّ الغموض وظيفة هذا الموقع وهويّة سكّانه عبر التاريخ، وكَثُرت حوله الروايات. ومرّ ذكره عابرًا في مراجع القرنين التاسع عشر والعشرين، وغابت عنه الدراسات الأثريّة كليًّا، إلى أن قامت محميّة جبل موسى، منذ ٢٠١٧، بتنقيبات في أرض الموقع التابعة لها، للعثور على أدلّة أثريّة علميّة توصل إلى تحديد عمر هذا الموقع ووظيفته عبر الزمن. ويستكمل البحث التاريخيّ عمَل علم الآثار في كتابة التاريخ، لسدّ الثغرات حول معرفتنا كل ما يتعلّق بالتاريخ القديم حول سكن الإنسان في هذه المنطقة الجبليّة.

نشأت مواقع السكن الرئيسيّة في لبنان على الساحل أو في البقاع، وكان السكن في الجبال موسميًّا غالبًا. ولكن، في «قرنة الدير»، على ارتفاع ١٣٨٠ مترًا تقريبًا، تبرز الأسئلة الآتية: ماذا كان يفعل الإنسان عند هذا الارتفاع؟ وهل كان الموقع منعزلاً تمامًا؟ أم انه شكّل مع نظرائه ظهيرًا مزدهرًا للمدن الساحليّة خلال العصور القديمة؟ وهل كان ديرًا بالفعل كما يشير اسمه؟

للإجابة تعتمد هذه الدراسة على المنهج المقارن والمنهج الوصفي والتحليلي، انطلاقًا من ثلاث فرضيّات:

١. سكن الإنسان في «قرنة الدير» خلال حقب تاريخيّة متعدّدة.

٢. كان الموقع عبارة عن دير على اسم القديس مارون، دمَّره المماليك حين احتلوا كسروان سنة ١٣٠٥م.

٣. كان للموقع دورٌ عسكريٌّ وأمنيٌّ خلال الحقبة الرومانيّة، لحراسة الطريق الرومانيّ المجاور.

وستستعين هذه الدراسة بحصيلة دراسات أثريّة أُجريَتْ في الموقع، ومقارنتها أو ربطها بتلك التي أُجريت في المنطقة المحيطة، إضافةً إلى إبراز معالم أثريّة وطبيعيّة قريبة قد تكون على ارتباط بالموقع، تأكيدًا أو نفيًا ما ذكرته مراجع قليلة عن الموقع وما حفظته الذاكرة المحلّيّة من جيل إلى جيل.

أولاً: "قرنة الدير" في المصادر الشفهيّة والمكتوبة

١. الروايات الشفهيّة

شكّل موقع «قرنة الدير» موضوعًا للقصص والأساطير المحليّة، ما زاد من فضول الباحثين عن الكنوز واهتمامهم به. وعن في جوار الموقع أنّ «قرنة الدير» من أقدم الأديرة في المنطقة. يقول بعضهم إنّه على اسم القدّيس أنطونيوس، وبعضهم الآخر على اسم مار يوحنّا. ويروون أنّ الدير

كان يضمّ تسعين راهبًا، حوصر خلال الفتح الإسلامي وصمَد ثلاثة أشهر! وفي غياب الدراسات الأثريّة القديمة، سيطر الغموض حول الموقع ووظيفته الأساسيّة، ما جعله عرضةً لروايات خياليّة وقصص خرافيّة، تمامًا كجاره جبل موسى. ومن المتناقَل شفهيًا عبر مئات السنين روايتان لإحداهما صبغة دينيّة، والأخرى تمحوَرت حول وجود كنز مخفيّ: ففي رواية بعض الأهالي في الجوار أنْ كلّ سنة خلال أعياد ومناسبات دينيّة (عيد مار أنطونيوس، سبت النور، الفصح، الغطاس) يَسمعُون أصوات أجراس تُقرَع في المكان، لذا سماه بعضهم «قبّة الجرس». ومن رواية أُخرى في الجوار أن راعيًا كان يرعى ماشيته في «قرنة الدير»، وفُتِح أمامه باب مغارة مليئة بالذّهب، لكنّه أضاع مكانها بعد عودته إليها في اليوم التالي.

٢. النصوص التاريخيّة

عدا الروايات الشفهيّة المحليّة، ذكرَ مستشرق موقع «قرنة الدير»، وذكره مؤرّخون لاقت كتاباتهم بعض الروايات الشعبيّة:

- إرنست رينان، في كتابه «Mission de Phénicie»، ذكر عند كلامه على نقوش الأمبراطور «هادريان» في جبل موسى أنّ الأهالي أخبروه عن نقش في «قرنة الدير» لكنّه لم يعثر عليه[١].
- المطران يوسف دريان ذكر أنّ الموارنة كانوا سكّان كسروان في القرن الرابع عشر، ويستشهد بوجود أديار متعدّدة قبل اجتياح المماليك كسروان، منها ديران: أحدهما للقدّيس مارون في شننعير، والآخر للقدّيس يوحنّا في غزير. ويضيف دريان إلى هذين الديرين وجود «بقايا دير قديم العهود للقدّيس مارون في صرود كسروان في مكان يقال له شهرةً «مراح الديب» ممّا يدنو من جبل موسى الشهير من القِبلة. وكلّ تلك الناحية لم تؤهّل إلى اليوم بالسكّان، إلاّ في أيام الصيف يتردّد إليها أهل الجوار من أصحاب الأملاك، وكلّهم يعرفون هذا الدير وأطلاله باسم «دير مار مارون»، ولهم فيه قصص مستغربة ينسبونها إلى كرامات هذا القدّيس المعظّم وهذا الأثر هو عندهم مقدّس[٢].»
- الأب بطرس ضو يؤكد كلام المطران دريان ويضيف بأن الرهبان الموارنة الأوائل في جبّة المنيطرة أسسوا أديرة في العصر

---

١) Ernest RENAN, *Mission de Phénicie*, p. 277.

٢) المطران يوسف دريان، **البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة**، ص. ١٨٣، ١٨٤.

البيزنطي بعد تحوّل المنطقة إلى المسيحيّة في القرن الخامس على عهد ابراهيم القورشي، «منها دير على اسم مار مارون في شننعير ودير آخر على اسم مار مارون أيضًا بين قريتي المشاتي وقمهز في مكان يسمّى الآن قرنة الدير.» ولا يزال باقيًا قسمٌ من أسواره الضخمة وجدران أبنيته الداخليّة وموقع الكنيسة التي لا يزال يكرّمها الأهالي في تلك المنطقة. وكانت الأديار والقرى والمدن المارونيّة في سوريا في العصر البيزنطي محاطة بأسوار ضخمة ومعزّزة بأبراج عالية أكسبتْها صفة عسكريّة أيضًا[٣].

٣. النتائج الأثريّة

قبل أعمال التنقيب التي قامت بها محميّة جبل موسى منذ ٢٠١٧، كان الموقع أطلالاً مخفيّة بين الأشجار، وجدرانًا مهدّمة جزئيًّا وحجارة مقطّعة ومبعثرة على الأرض تملأُها بقايا قطع فخّاريّة. يتوسّط الموقع ناووس فارغ محفور في صخر طبيعي كبير، وقربه بقايا لثلاثة أتاتين (جمع أتون) لصنع الكلس استُخدمت حجارة مقطّعة من الموقع في بنائها.

بعد تعرّضه للتخريب بجرّافات باحثين عن الكنوز، دُمّر عدد كبير من جدران غرف كانت قائمة حتّى وقت قريب. وبالرغم من الأضرار الواسعة، كان لدراسات أثريّة حديثة - مدى أربع سنوات (٢٠١٧–٢٠٢٠) – قامت بها محميّة جبل موسى تعاونًا مع المديريّة العامّة للآثار في وزارة الثقافة، وشارك في إدارتها علماء آثار لبنانيون وأجانب، أن انكشفَت أدلّة رائدة عن الحياة في الجبال لم تكن معروفة من قبل. كان الهدف الأساسيّ تحديد تاريخ الأبنية المختلفة والحصول على رؤية واضحة حول وظيفة هذا المجمّع في موقع استراتيجيّ للغاية. وجاءت نتائج التنقيبات بالآتي:

تتوزّع البقايا الأثريّة في قرنة الدير على منطقتين: أُولى عند قاعدة التلّ، والأخرى فوقها مباشرةً على رأس التلّ وفيها غرفٌ هي المنطقة الرئيسة في الموقع. البقايا الأثريّة في «قرنة الدير» تغطّي نحو ٢٨٠٠ م^{٢}، وتشهد على استخدام الموقع خلال ثلاث حِقَب أساسيّة: الأولى من العصر البرونزي الوسيط (٢٠٠٠–١٥٠٠ ق.م.)، الثانية من العصر الروماني-البيزنطي (٦٤ ق.م. – ٦٣٦ م.)، والثالثة من الحِقْبة الصليبيّة (١٠٩٩–١٢٩١ م.). وترجّح النتائج الأثريّة تعدّد وجهات استعمال الموقع على مرّ العصو.

---

٣) الأب بطرس ضو، **تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري**، ج٣، ص. ٥١٨، ٥١٩.





بقايا جدران الغرف

خلال المسح السطحيّ للموقع تمّ العثور على قطع أثريّة مهمة، أبرزها «ثقل موازن» دليلُ وجود معصرة للعنب أو للزيتون. ومعظم الأوعية جرار للتخزين والنقل، معها كميّة أقلّ من أواني الطهي[٤]. ووُجدت مدفأة محفوظة جزئيًّا في وسطها بعض الرماد وجذع متفحّم محفوظ جيّدًا، يعود تاريخها إلى العصر البرونزي الوسيط، ولم يتمّ العثور على أيّ بناء من ذاك العصر. ووجود أواني الطهي (لها مثيلات في البقاع وعلى الساحل) يؤكّد ارتباط الموقع بالساحل والبقاع خلال العصر البرونزي الوسيط[٥]. خلال الحِقْبتين الرومانيّة والبيزنطيّة، تمّ استخدام للإنتاج، للعثور على أوعية كبيرة خاصّة بتخزين الأغذية (تُسمّى «بيتوي Pithoi») وفيها كلس متحجّر، وعلى رأْسَي سهام للدفاع أو للصيد. خلال العصور الوسطى قطّع سكّان الموقع حجارة ضخمة لتقوية الجدران. وأحدث آثار وُجِدَت تعود إلى العصر العثماني: غلايين عثمانيّة محفورة بشكل جميل[٦]. يتضح من وجود الفخّار أنّ المجتمع في «قرنة الدير» كان يتمتّع بثروة كبيرة وشبكة اتصالات مهمّة تشير إلى كون المكاتن أكثر من مجرّد قرية زراعيّة[٧].

أبرز معالم الحِقْبة الرومانيّة-البيزنطيّة في الموقع مقبرتان: أولى مدفن منحوت في الصخر وسْط الموقع في مكان بارزٍ يطلّ على المناظر الطبيعيّة

٤) Bettina FISCHER-GENZ *et al.*, *BAAL 18,* p. 249.

٥) Metoda PERŠIN, *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, p. 463, 465.

٦) Metoda PERŠIN *et al.*, *A Walk with the Experts*, Min: 4:58-6:29/6:58-7:26.

٧) Bettina FISCHER-GENZ *et al.*, *BAAL 18*, p. 259.

المحيطة. (هذه المقابر المنحوتة في الصخر معروفة في لبنان، منها في حصن نيحا في وادي البقاع مقطّعة بطريقة مماثلة في موقع بارز يطلّ على وادي نيحا[٨]). والمقبرة الأخرى مدفن جماعيّ داخل غرفة تحت الأرض يعود إلى أواخر العصر الروماني والعصر البيزنطي، وموقعه ليس مألوفًا داخل المبنى[٩] لأن المقابر في الأمبراطوريّة الرومانيّة كانت عادةً بعيدًا عن أماكن السكن[١٠].



ناووس من الحِقبْة الرومانيّة

إهذا المدفن الجماعيّ كان مسرح عمليّات دفن متتالية ومتزامنة أيضًا، ففيه بقايا ستّة عشر فردًا على الأقلّ من رجال ونساء بينهم مراهقَان وطفل، دُفنوا معًا في المكان ذاته على مراحل: أقدمُها دفن أوّلي لأفراد في الوقت ذاته أو في فترات متقاربة، لكن ارتباط الوفاة في ظروف غير واضحة. وفي مرحلة لاحقة من الاستخدام حلقاتٌ من عمليّات دفن سطحيّة متعاقبة، تمّ استخدام القبر في أوقات مختلفة وعلى نحو فرديّ عند حصول الوفاة. و داخل المقبرة مصباح زيت وخمسة أباريق خزفيّة محفوظة جيّدًا. وكانت أغلبيّةُ السلع الجنائزيّة جواهرَ وتمائم للأفراد، كالحَلق والأساور والأجراس والخرز المكوّنة من الزجاج والنحاس والحديد بشكل خاص[١١].

غرفة الدفن الجماعيّ المحفوظة جيّدًا داخل المبنى تثير حول وظيفة الموقع أسئلة حول الموقع: هل هو دير دينيّ أم حصن عسكريّ[١٢].

٨) P. NEWSON, *Journal of Eastern Mediterranean Archaeology and Heritage Studies* 3 (4), p. 365.

٩) Metoda PERŠIN, *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, p. 462.

١٠) J. SCHEID, ‘Contraria facere: renversements et déplacements dans les rites funéraires’, *Annali dell’Istituto Orientale di Napoli* 6, 1984, pp. 117–139; Charles KING, *The Ancient Roman Afterlife: Di Manes, Belief, and the Cult of the Dead*, University of Texas Press, 2020, pp. 128-146.

١١) Nada Elias, *AEL*, p. 2, 8-10. ;Nada ELIAS *et al.*, *A Walk with the Experts*, Min: 7:27–8:2

١٢) Bettina FISCHER-GENZ *et al.*, *BAAL 18*, p. 259.

في جزء من دراسة مستقلّة، أُجري فحص تسلسل الحمض النوويّ على العظام التي تمّ تنقيبها، واعتُبر هؤلاء الأفراد ممثّلي «السلالة المحليّة قبل الحِقْبة الصليبيّة»، وخَلُصت الدراسة إلى استنتاج أنّ اللبنانيّين اليوم يتشابهون وراثيًّا مع سكّان محلّيّين عاشوا في العصر الرومانيّ[١٣]، وحتّى في العصر البرونزيّ، ما يدلّ على وجود استمراريّة وراثيّة سكّانيّة كبيرة في لبنان منذ العصر البرونزيّ على الأقلّ[١٤].

من وجهة نظر علم آثار الحيوان، تزوّدنا «قرنة الدير» واحدًا من التجمعات الحيوانيّة القليلة (إن لم يكن الوحيد) أُخِذت منه عيّنات بشكل منهجيّ في جبل لبنان. وفي تقرير أوليّ حول البقايا الحيوانيّة، ورد استنتاجُ أنّ الاقتصاد الحيوانيّ في «قرنة الدير» إبان العصر البرونزيّ الوسيط والحِقْبة الصليبيّة (تمّ استبعاد البيانات الحيوانيّة المختلطة الأخرى الرومانيّة/الصليبيّة من التحليل) كان محلّيًّا يعتمد على على الوعليّات (الماعز والأغنام) لإنتاج اللحوم لسكّان الموقع؛ وموِرست صناعة الألبان في تينك الحِقْبتين نظرًا إلى وجود الأغنام/الماعز الصغيرة. وبما أنّ الأغنام/الماعز تلد عادةً في الشتاء، فوجود بقايا منها لحديثي الولادة من العصر البرونزي الوسيط يشير إلى احتمال وجود الإنسان في «قرنة الدير» خلال الشتاء أيضًا. وقد تكون الأبقار أمّنت قوّة الجرّ لكنّ علامات الذبح المحفوظة على العظام تُثبت أن كان استغلالها للحومها أيضًا. ويشير وجود الأنواع البرّيّة (مثل الأرانب البرّيّة والدجاجيّات/الحجل) إلى أن سكّان «قرنة الدير» مارسوا الصيد في الجوار، لكن ندرتها تشير إلى أنّ أهمية الصيد كانت هامشيّة. ووجود الأسماك البحريّة مثل «الدنيس» (أو الأجاج) (*Sparus aurata*) في طبقات العصر البرونزي الوسيط يؤكّد استغلال الموارد الساحليّة وبالتالي ارتباط الموقع بالساحل، ولكن مدى اعتماد سكّان «قرنة الدير» على الحيوانات البحريّة لا يزال غير معروف.

تحليل البقايا الحيوانيّة من «قرنة الدير» يشير إلى وجود نظام على نطاق صغير جيّد التنظيم لتربية الحيوانات موجّه نحو تربية الوعليّات (الماعز والأغنام)، يضمن توفيرًا ثابتًا للمنتَجات معظم أيّام السنة. ومع وفرة الحيوانات البرّيّة في جبل موسى ومحيطه، كان دورها محدودًا بين المصادر الغذائيّة لسكّان «قرنة الدير»[١٥]. ويُظهر التحليل الأوليّ لبقايا

١٣) Marc HABER *et al.*, *AJHG*, V. 104, p. 977–984.

١٤) Marc HABER *et al.*, *AJHG*, V. 107, p. 149–154.

١٥) Mahmoud MARDINI, Bettina FISCHER-GENZ, *BAAL 22*, p. 295–309.

النباتات عدم وجود نواة الزيتون وبقايا الحبوب في العيّنات. لذا يبدو أنّ الأطعمة المُعَدّة من الحبوب استُقدِمت إلى الموقع[١٦].

تحليل تلك البقايا الأثريّة يدل على أن الموقع كان على اتصالٍ وثيقٍ بالساحل اللبناني وبسهل البقاع. من هنا طرحت عالمة الآثار *Metoda Peršin* (شاركت في أعمال التنقيب) فرضية أن «على هذا الارتفاع وفي منطقة حرجيّة، كان السكّان، خلال العصر البرونزيّ الوسيط، ينتجون مادّة الصمغ ويوضّبونها في أجرار ثمّ يرسلونها إلى الساحل فمصر التي كانت تحتاج الكثير من الصمغ للتحنيط.[١٧]»

ثانيًا: تحليل المعطيات الأثريّة

عن الفرضيّات السابقة حول السكن قديمًا في جبل لبنان أنّ تلك الجبال مليئة بالغابات وقليلة السُكنى قبل الفتح العربي الإسلامي[١٨]. وتنقض تلك الفرضياتِ اكتشافات وحفريّات أثريّة في مواقع عدة مثل يانوح وأعلى وادي نهر ابراهيم، ووادي قاديشا، ومنطقة الشوف الأعلى وموقع الخرايب فوق صور، لوجود حضور بشريّ ثابت في المناطق الجبليّة منذ العصور القديمة[١٩]. لذا يخطئ تحديد سكّان الجبال اللبنانيّة قطّاع طرق أو بدوًا، بل كانوا سكّانًا فاعلين استغلوا مواردهم وأراضيهم بشكل منظّم وحافظوا على اتصالهم مع الساحل والداخل.

نتائج التنقيبات الأثريّة في «قرنة الدير» لم تدلّ على التسلسل الزمنيّ فقط، بل كذلك على عناصر أساسيّة تمكّن التحليل الوظيفي للمبنى من تقسيمه (وفق المعطيات الأثريّة أعلاه) إلى ٣ حِقَب زمنيّة أساسيّة: العصر البرونزي الوسيط، العصر الروماني-البيزنطي، والحقبة الصليبيّة. فماذا عنها؟

١٦) Metoda PERŠIN, *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, p. 464,465.

١٧) Metoda PERŠIN, *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, p. 465; Metoda PERŠIN *et al.*, *A Walk with the Experts*, Min: 4:58-6:29/6:58-7:26.

١٨) Etienne DE VAUMAS, *Le Liban*, vol. 1, p. 284; Xavier DE PLANHOL, *Les fondements géographiques de l'histoire de l'islam*, p. 95–96.

١٩) Wissam KHALIL, *La Revue Phenicienne*, pp. 111-120; Ida. OGGIANO, Wissam KHALIL, *La Revue Phenicienne*, pp. 201-208; Andrew GARRARD, Corine YAZBECK, *BAAL 8*, pp. 5-46.

١. العصر البرونزيّ الوسيط

الوجود البشريّ في أعالي وادي نهر أدونيس سبَق بداية العصر البرونزي. وحفريّات عام ٢٠٠٣ اكدت وجود نشاط سكّاني من العصر الحجريّ، مع قلة المواقع الأثريّة حقْبَتَئِذٍ، ربما لأن السكن في تلك المنطقة كان فصليًّا بسبب برودة الطقس شتاءً[٢٠]. هكذا يُقصَدُ إلى «قرنة الدير» بعد ساعة واحدة مشيًا، عند قمّة جبل موسى، حيث عُثِرَ عام ٢٠١٨ على أدوات من أحجار الصوّان كانت ترجيحًا لصيد الطيور المهاجرة في عصور ما قبل التاريخ.

ربما عدد كبير من الجرار المُكتشفة العائدة إلى العصر البرونزيّ الوسيط، استُخدِم لإنتاج سلعة معيّنة وتخزينها ونقلها. والنتائج الأوّليّة لبقايا النباتات تُظهر نقصَ الحبوب في العيّنات وعدم وجود نواة الزيتون فيها. وارتفاع الموقع ١٤٠٠ متر ليس مؤاتيًا لنمو أشجار الزيتون، لذا يستبعَد إنتاج زيت الزيتون. يبقى السؤال مفتوحًا حول نوع السلعة التي تمّ تخزينها في هذه الجرار[٢١].

فهم تلك المستوطنة الجبليّة يبدأ بالتركيز على المناظر الطبيعيّة حولها. ولأن المياه والزراعة أبرز عناصر استقرار الانسان عبر التاريخ، تبقى أولويةٌ لمصدر المياه في مكان السكن. فغالبًا ما فضّل الإنسان العيش قرب الأنهر والينابيع. و«قرنة الدير» في منطقة جيولوجيّة وهيدرولوجيّة غنيّة متنوّعة في جبل لبنان، تجمع بين الصخور الكلسيّة والتربة الخصبة وطبقة عازلة تؤدّي إلى ظهور الينابيع، ما جعل منها منطقة غنيّة بالإمكانات المائيّة والزراعيّة والحرجيّة، تتدفق إليها ينابيع عذبة طيلة السنة من سفوح المرتفعات شرقيَّ الموقع، أقربها «عين بخّة» (تبعد نحو ٧٠٠ متر)،



قرنة الدير
Google Earth

٢٠) Pierre-Louis GATIER *et al.*, *BAAL 6*, p. 234–236.

٢١) Metoda PERŠIN, *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, p. 465.

وينابيع أخرى تجري حتّى منتصف الصيف في ساقية تحاذي «قرنة الدير» من الجهة الشماليّة فتؤَمّن مصدرًا سهلاً للمياه معظم أيّام السنة، ما يفسّر فقدان آبار أو خزّانات جوفيّة للمياه في الموقع وحَوْله.

موقع «قرنة الدير» يطلُّ على أسفل الوادي، وهو أحد ممرّات جبليّة تربط الساحل بالبقاع. ومجاورتُه جبل موسى وغاباته الكثيفة تُكسبه أهميّة اقتصاديّة بمنتَجات الأشجار، خصوصًا الخشب والصمغ[٢٢]، فالمنطقة وسْط غابات محيطة بمدينة جبيل التي كان منها قديمًا يُصَدَّرُ الخشب إلى مصر. من هنا أن «قرنة الدير» موقع مثاليٌّ لأوّل مستوطنة في العصر البرونزي الوسيط. وهو، إلى هذا، مماثل موقعًا جارًا في وادي نهر إبراهيم، نقّبَت فيه بعثة أثريّة في يانوح ووادي نهر ابراهيم الأعلى بإدارة جامعة القدّيس يوسف بين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٤، وبين النتائج: أدلة أثرية من العصر البرونزي (٣٢٠٠–١٢٠٠ ق.م.) على وجود سكّاني كثيف ينحو نحو التنظيم في أعلى وادي نهر ابراهيم منذ العصر البرونزي القديم وصولاً إلى العصر البرونزي الحديث، وخصوصًا بفخّاريّات وأدوات عُثِر عليها في مواقع متعدّدة، منها «مار جرجس» و«التلّ» في يانوح، ومغارة مار يوحنّا في العاقورة، وفي بلدة تدمر شمالي بلدة يانوح، وفي موقع «تلّ لاسا»، ومغارة الرويس في العاقورة[٢٣].

كشفت الحفريّات أن الوادي العلوي في أوائل الألفيّة الثالثة قبل الميلاد (العصر البرونزي المبكر) وتحديدًا موقع «التلّ» في يانوح (من أقدم المواطن المعروفة في الجبال اللبنانيّة حتّى الآن) كان مأهولاً بمجتمعات مستقرّة ومنظّمة: مورست الزراعة في المدرّجات، وتربية الماشية، وصُنِّعت المعدّات الزراعيّة، وأَنتج الخزّافون المحليّون شكلاً موحّدًا من الأواني الفخّاريّة. وتوضح دراسة الأثاث الخزفيّ أنّ هذه المنطقة المرتفعة كانت مندمجة في شبكات تجاريّة مع المناطق المجاورة والبعيدة (جنوب بلاد الشام وربما مصر)[٢٤]. من هنا أنّ الزراعة وتربية الماشية واستثمار الأخشاب، كانت من الأنشطة المُبكرة التي مارسها الإنسان بعد استقراره

٢٢) Metoda PERŠIN, *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, p. 465.

٢٣) Pierre-Louis GATIER, *Yanouh et Nahr Ibrahim, Nouvelles découvertes archéologiques dans la vallée d'Adonis*, p. 10; Pierre-Louis GATIER *et al.*, *BAAL 6*, p. 233; Dominique PIERI, *Yanouh et Nahr Ibrahim, Nouvelles découvertes archéologiques dans la vallée d'Adonis*, p. 38.

٢٤) Linda HERVEUX, Romana HARFOUCHE & Pierre POUPET, *ArchéOrient – Le Blog.*

في جبال لبنان منذ العصر البرونزيّ، وخصوصًا قرب الطرقات التي تربط السهل الساحلي بالبقاع، و«قرنة الدير» من أبرز تلك المواقع.

٢. العصر الروماني-البيزنطي

في نهاية العصر اليوناني وبداية العصر الروماني، أخذت تجمّعات سكانيّة بالظهور والاستقرار في منطقة أعلى وادي نهر ابراهيم التي عرفت تبدّلات جذريّة في تلك الحقبة، وخصوصًا خلال العصر الروماني الذي تميّز بنموّ المنشآت الدينيّة والاقتصاديّة وشقّ الطرقات وتوسيعها، ما شجّع العلاقات مع المدن الساحليّة[٢٥]. وارتفعت المعابد عند التلال المطلّة على وادي أدونيس، مثل معبد الزُّهرة (عشتروت) في أفقا، ومعبد يانوح، ومعبد المشنقة.

كانت لهذا التطوّر جوانب ديموغرافيّة واقتصاديّة جعلت من القرنين الأوّل والثالث الميلاديّين حِقْبة حقيقيّة للتوسّع الزراعي وتطوير الوادي. والدليل: النواويس الرومانيّة المتعدّدة القريبة من الموقع، أربعة نواويس في بلدة قهمز (على نحو ٣ كلم شمالي موقع «قرنة الدير») تعود ترجيحًا إلى الحِقْبة الرومانيّة، شاهدةً على أنْ كانت في تلك المنطقة تجمّعات سكّانيّة فترتئذٍ، وربما في الفترات السابقة.

في «قرنة الدير» أظهرت الاكتشافات الأثريّة داخل المدفن الجماعيّ أفرادًا مدفونين بحليِّهم، خلال الحِقْبة الرومانيّة/البيزنطيّة، ما يشير إلى مجتمع ريفيّ من الطبقة المتوسطة.

معالم العصر الرومانيّ في «قرنة الدير» تدل عليها ضخامة بعض الجدران وبقايا الطريق الروماني المحاذي الذي يربط الساحل بالبقاع، مرورًا بأفقا، فهو إذًا موقع استراتيجيّ حوّل سكّانه التكوينات الصخريّة الطبيعيّة إلى حاوية دفاعيّة. وأعمال التنقيب (من بعثة جامعة القديس يوسف عام ٢٠٠٣ في أعالي وادي نهر ابراهيم) أظهرت خمسة مواقع محصّنة تشكّل شبكة نقاط مرتفعة صعبة الوصول يطلّ واحدها على الآخر. وهذه المواقع أدت دورًا دفاعيًّا مع نهاية الحِقْبة الهلّنستيّة (النصف الآخر من القرن الثاني والقرن الأوّل ق.م.)، كما في المكان المسمّى «القلعة» قرب لاسا أو في قرية شويتا- قضاء جبيل. ويبدو أنّها هُجرت في العصر الروماني، كأنّ سكّان الوادي في نهاية فترة الاضطرابات هجروا

---

٢٥) Dominique PIERI, *Yanouh et Nahr Ibrahim, Nouvelles découvertes archéologiques dans la vallée d'Adonis*, p. 39.

الأماكن الصعبة للاستفادة من السلام الرومانيّ Pax Romana عن طريق الاستيطان في قلب الأراضي المزروعة[٢٦].

الأبنية العسكريّة من الحِقْبة الكلاسيكيّة نادرة في جبل لبنان. منها موقع «قلعة الحصن» (بشعلة قرب دوما) من العصر الروماني، وموقع «قصر السويجاني» في الشوف الأعلى من الحِقْبة الهلّنيستيّة، وهما مثال على استغلال المرتفعات والنتوءات الصخريّة لأغراض عسكريّة. بُنِيَ هذان الحصنان في أماكن ستراتيجيّة عالية كمجال مراقبة يمتدّ غربًا حتّى البحر ويطلّ على الممرّات المحيطة. ويمكن مواقع كهذه التواصل عن طريق الإشارات الناريّة مع المواقع الأخرى على الجبل[٢٧]. وهي ميزة يفتقدها موقع «قرنة الدير» الواقع في وادٍ محاطٍ بالجبال، إنما استُعين بقمّة جبل موسى المجاورة لأنها تتيح الرؤية من العاقورة حتّى جبل صنّين ومن ساحل مدينة عمشيت حتّى بيروت، وهو احتمال يحتاج إلى المزيد من الأدلّة. فضعيفٌ هو احتمال أن الموقع ذو طابع عسكريّ خلال الحقبة الرومانيّة، وأنه جزء من سلسلة مواقع أمنيّة هدفها تأمين الطرقات المؤدية إلى البقاع. لكن قيمةَ الموقع الرمزيّة للموقع مجاورتُهُ موقع أفقا على أحد الطرق المؤدّية إليه، وما يرافق الموقع من ممارسات دينيّة متعلّقة بعبادة أدونيس وعشتروت، وهي كانت احتفالات خاصّة بـ«أدونيس» («الأدونيّات») بين جبيل وأفقا في أوّل الربيع، أي على الطريق الواقع على ضفّة الوادي اليمنى.

الاحتمال الأكثر واقعيّة ومنطقيّة، حول وظيفة الموقع خلال الحقبة الرومانيّة، هو ما تشير إليه وتؤكّده عشرات نقوش خاصّة بالأمبراطور الروماني هادريان يعلن فيها ملكيّته أنواعًا معيّنة من الأشجار. تنتشر تلك النقوش بكثرة في جوار الموقع، وخصوصًا في جبل موسى شمالاً، وجرد بلدة حراجل شرقًا، وتدلّ على أهمّيّة هذه المنطقة الحرجيّة وضعف النشاط الزراعي فيها، ووجود الطريق الروماني في وسطها يسهّل عمليّة نقل الأخشاب. أحد أنواع الأشجار التي حجزها الأمبراطور هو «الدفران»، ما زالت تنمو بكثرة حاليًّا حول «قرنة الدير» وفي جبل موسى بشكل خاص، وهي تتميّز بخشبها القويّ والصّلب والمقاوم العفَن بسبب غناه بالصمغ. ومن كثرة النقوش الغابيّة المحيطة بالموقع (أقرب نقش إلى «قرنة الدير» في جبل موسى على بُعد نحو ٤٠٠ متر) يدل على

---

٢٦) Pierre-Louis GATIER, *Yanouh et Nahr Ibrahim, Nouvelles découvertes archéologiques dans la vallée d'Adonis*, p. 9, 10.

٢٧) Wissam KHALIL *et al.*, *BAAL 15*, p. 118.

دور الموقع في استثمار الأخشاب الموجودة بكثرة في المنطقة لمصلحة الأمبراطور. فهل كان الموقع، خلال الحِقْبة الرومانيّة، مركزًا لحراسة الغابات المحيطة واستثمارها، وتحديدًا الأشجار الخاصّة؟ ولنلْحظْ أيضًا وظيفة الإنتاج الزراعي كما كشفتْها الاكتشافات الأثريّة في «قرنة الدير» إبّان الحقبة الرومانيّة-البيزنطيّة، تقابلها نظيرتها في موقع «التلّ» في يانوح. وهو اكتشاف حديث مجاورٌ «قرنة الدير» يؤكّد ممارسة الإنسان الزراعة والانتاج في تلك المنطقة خلال تلك الحِقْبة، إذ كشفت تنقيبات فريق من جامعات بلجيكا عام ٢٠٢٢ في موقع برقطا- قهمز (٣ كلم عن «قرنة الدير») عن بقايا مجمّع كبير لمنشآت صناعيّة كانت، ترجيحًا، جزءًا من معصرة لإنتاج النَبيذ من الحِقْبة الرومانيّة-البيزنطيّة.[٢٨]

ابتداءً من هذه الحِقْبة، يمكن البحث في أصل اسم الموقع ووظيفته كدير (كما ذكرت مراجعُ وورد على لسان السكّان المجاورين).

في القرن الرابع الميلاديّ تحوَّل إلى المسيحية سكّان جبّة المنيطرة (على طول حوض نهر ابراهيم الأعلى من حدود تنّورين وقرطبا شمالاً إلى قهمز جنوبًا) بعد أن كانوا متمسّكين خصوصًا بعبادة أدونيس[٢٩]. مع الوقت، حوّل السكّانُ المعابدَ الوثنيّة إلى كنائس: تمّ تحويل معبد الزّهرة في أفقا إلى كنيسة مكرّسة للسيدة العذراء، ومعبد الغينة إلى كنيسة بيزنطيّة تُعرف اليوم باسم «آثار قبعل»[٣٠]. وفي العصر البيزنطي (٣٩٥–٦٣٦ م.) أسّس الرهبان الموارنة الأوائل دير سيدة يانوح (اتّخذه البطاركة الموارنة مركزًا بطريركيًّا من ٧٥٠ حتى ١٢٧٧، وهي أطول مدّة لمركز بطريركيّ في لبنان). وعن ابن القلاعي أنّ عسكر دمشق خرَّب كنائس وأديرة للموارنة في كسروان في حملة عام ١٣٠٥، وينقل الخوري بولس قرألي عن تادرس مطران مدينة حماه نجاة دير مار شلّيطا مقبس (غوسطا) من الدمار خلال نكبة كسروان[٣١].

وجود المقابر تحت أرضيات المباني مألوف لدى أديرة الفترة البيزنطية. من هنا ترجيح اتخاذ أو تحويل موقع «قرنة الدير» إلى دير من

---

٢٨) Agnes VOKAER, *Broqta (Jabal Moussa) Archéologie d'un site de montagne*.

٢٩) فيليب دي طرّازي، **أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من أخبار السريان**، مج١، ص. ٣١.

٣٠) Julien ALIQUOT, *La Vie Religieuse Au Liban Sous L'Empire Romain*, p. 258–260.

٣١) إبن القلاعي، **حروب المقدّمين ١٠٧٥–١٤٥٠**، ص. ٨٥–٨٨، ٩٦.

الحِقْبة البيزنطيّة حتّى الحقبة المملوكيّة (١٢٦٠–١٥١٦)، لكنّ علم الآثار لا يشير إلى وجود دير. وبانتظار استكمال التنقيب في هذا الموقع، لا دليل أثريًّا (بقايا كنيسة، صليب، نقوش وكتابات مسيحيّة) على أنّ هذه الأطلال كانت ديرًا يومًا ما، مع احتمال إخفائها أو إزالتها أثناء التدمير الذي حدث.

٣. الحقبة الصليبيّة

الحِقْبة الأساسيّة الأخيرة التي كشفت عنها التنقيبات في الموقع، هي الحِقْبة الصليبيّة. تميّزت بتدعيم الجدران بحجارة ضخمة، وهو احتمال استخدام الموقع كحصن لحراسة الطريق الجبليّ المحاذي له والمؤدي إلى أفقا فالبقاع. وليس هذا الاحتمال مُستبعدًا في منطقة جبليّة اهتمّ الصليبيّون بتحصينها وحماية طرقاتها بعد تحصينهم السواحل، كي يكون كحصن المنيطرة المجاور (على ارتفاع نحو ١٢٦٠) وهو كان ضمن كونتيّة طرابلس (من نهر الكلب حتّى شمالي طرطوس[٣٢]) عززه الصليبيّون لحراسة الممرّ الجبليّ الذي يربط جبيل بالبقاع.

في هذه الحقبة أيضًا، قام سكّان الموقع بتربية الماشية لإنتاج اللحوم وصناعة الألبان مُستفيدين من مَراع كبيرة مجاورة، خصبة بسهولها وتلالها وأحراجها وينابيعها، تجذب الرعيان حتّى اليوم خلال فصلي الصيف والخريف، ويتّخذها رعاة آخرون محطّةً انتقاليّة خلال ترحالهم من الساحل إلى الجرد والعكس، لوقوعها على الطريق الذي يربط الساحل بالمرتفعات والداخل.


الأتون

ظاهرة إعادة استعمال المواقع القديمة ومنشآتها خلال العصور الوسطى نجدها أيضًا في موقع برقطا المجاور إذ أعيد استعمال موقع من الحِقْبة الرومانيّة-البيزنطيّة خلال العصور الوسطى (القرن ١١–١٣ م.)[٣٣]. وَوُجود ثلاثة أتاتين في الموقع (ترجيحًا من الحقبة العثمانيّة) يدل إلى أنّ آخر استعمال كان لصناعة الكلس، بالإفادة من وجود العنصرين الأساسيين: الأحجار الكلسيّة، والثروة الحرجيّة المحيطة به.

---

٣٢) مجموعة باحثين، **المناطق اللبنانيّة في ظلّ الاحتلال الفرنجي**، ص. ١٦٧.

٣٣) Agnes VOKAER, *Broqta (Jabal Moussa) – Archéologie d'un site de montagne.*

استنتاج

أظهرت الدراسات الأثريّة في موقع «قرنة الدير» (كما في وادي نهر ابراهيم الأعلى) أنّ المناطق النائية لمدينة جبيل (برغم البيئة المعادية نسبيًّا نتيجة الارتفاع ووعورة التضاريس) شهدت تأسيس مجتمعات ريفيّة منظّمة منذ العصر البرونزي، وبيّنت إمكانات هذا الموقع الصغير وقدرته على تزويدنا معلومات غنيّة لملء الفجوات في فهمنا الحياة الريفيّة في جبال لبنان إبّان العصور القديمة.

والبقايا الأثريّة في موقع «قرنة الدير» تشهد على نشاط بشريّ خلال ثلاث حِقَب أساسيّة من العصر البرونزي الوسيط، فالحِقْبة الرومانيّة-البيزنطيّة فالعصور الوسطى. وفيما ترجّح النتائج الأثريّة تعدّد وجهات استعمال الموقع على مرّ العصور، شكّلت المرتفعات الجبليّة جاذبًا للسكّان، إذ أمّنت لهم الحماية من اضطرابات سياسيّة وأمنيّة غالبًا ما كانت تطال السواحل وتستثني الجبال. كانت الزراعة وتربية الماشية واستثمار الأخشاب أنشطة مُبكرة مارسها الإنسان بعد استقراره في «قرنة الدير» منذ العصر البرونزيّ، بينما بقايا الحجارة الضخمة خلال العصور الوسطى تشير إلى احتمال استخدام الموقع حصنَ حراسة الطريق الجبليّ المحاذي له والمؤدي نحو أفقا فالبقاع. وغابت عن المعطيات الأثريّة حتّى الآن أيّ إشارة إلى وجود دير.

ختامًا: «قرنة الدير» موقع مهمٌّ لنفهم، أفضل، الثقافة الماديّة للمناطق العليا في جبال لبنان، ولنتأكد من أنّ المساكن الجبليّة لم تكن معزولة كما كان يُظَن، بل كانت على اتصال وثيق مع الساحل والبقاع، خصوصًا بعد توسيع وتطوير الطرقات خلال الحِقْبة الرومانيّة. ومع العصور شكّلت هذه المجتمعات الريفيّة في جبل لبنان ظهيرًا مزدهرًا للمدن الساحليّة ومداها الحيويّ الذي أمّن الحماية بمرتفعاته وتضاريسه، ومكانًا للإنتاج ولاستثمار المواد الأوليّة المحلّيّة.

لائحة المصادر والمراجع

بالعربيّة:

- ابن القلاعي، **حروب المقدّمين ١٠٧٥–١٤٥٠**، نشْر بولس قرألي، المجلّة البطريركيّة، السنة العاشرة، حزيران-تموز ١٩٣٥، بيت شباب-لبنان، ١٩٣٧.
- دريان، المطران يوسف، **البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة**، دار كنعان، ١٩٨٤.

- دي طرّازي، فيليب، **أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من أخبار السريان**، المجلّد الأوّل، مطابع جوزيف سليم صيقلي، بيروت، ١٩٤٨.
- شعيا، أنيس، آثار لبنان في العهد الوسيط: الحصون نموذجًا، في أنطوان القسيس (ناشر علمي)، **تاريخ لبنان عبر العصور، مسائل واكتشافات**، الجامعة الأميركيّة للعلوم والتكنولوجيا، دائرة المنشورات الجامعيّة رقم ١٩، بيروت، لبنان، ٢٠١٣.
- ضو، الأب بطرس، **تاريخ الموارنة الديني والسياسي والحضاري**، الجزء الثالث، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٧.
- مجموعة باحثين، **المناطق اللبنانيّة في ظلّ الاحتلال الفرنجي**، منشورات فيلون – لبنان، ١٩٩٧.

بالأجنبيّة:

- ALIQUOT, Julien, *La Vie Religieuse au Liban sous L'Empire Romain*, Bibliothèque Archéologique et Historique, Presses de l'Ifpo, Beyrouth, 2009.
- DE PLANHOL, Xavier, *Les fondements géographiques de l'histoire de l'islam*, Paris, 1968.
- DE VAUMAS, Etienne, *Le Liban*, vol. 1, Paris, 1954.
- ELIAS, Nada, « Preliminary Results of 2019 Anthropological Excavation in the Tomb 2/3 at Qornet ed Deir (Jabal Moussa) », *AEL*, Université Libanaise, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Département d'Art et d'Archéologie, Section V, Saida, 2019.
- FISCHER-GENZ, Bettina *et al.*, « Report on the 2017 archaeological soundings at Qornet ed-Deir, Jabal Moussa Biosphere Reserve », *BAAL 18*, 2018, pp. 245-262.
- GARRARD, Andrew, YAZBECK, Corine, « Qadisha Valley Prehistory Project (Northern Lebanon) Results of 2003 Survey Season », *BAAL 8*, Beyrouth Liban, 2004, pp. 5-46.
- GATIER, Pierre-Louis *et al.*, « Mission de Yanouh et de la haute vallée de Nahr Ibrahim », Rapport préliminaire 2002, *BAAL 6*, 2002, pp. 211–258.
- GATIER, Pierre-Louis, « Archéologie et histoire de la haute vallée de Nahr Ibrahim, le sanctuaire de Yanouh et sa region », *Yanouh et Nahr Ibrahim, Nouvelles découvertes archéologiques dans la vallée d'Adonis*, PUSJ, Beyrouth, 2005.
- HABER, Marc *et al.*, « A Transient Pulse of Genetic Admixture from the Crusaders in the Near East Identified from Ancient Genome Sequences », *AJHG*, Volume 104, Issue 5, 2 May 2019, pp. 977–984.



- HABER, Marc *et al.*, « A Genetic History of the Near East from an aDNA Time Course Sampling Eight Points in the Past 4,000 Years », *AJHG*, Volume 107, Issue 1, 2 July 2020, pp. 149–157.
- HERVEUX, Linda, HARFOUCHE, Romana & POUPET, Pierre, « La montagne libanaise au 3e millénaire av. J.-C.: forêt et espace agricole au Bronze Ancien », 9 Novembre 2018, *ArchéOrient – Le Blog*, Hypotheses, archeorient.hypotheses.org.
- KHALIL, Wissam, *et al.*, « Mission archéologique de Qasr Swayjani. Rapport préliminaire 2010–2011 », *BAAL 15*, 2011, pp. 109-150.
- KHALIL, Wissam. « Les récentes découvertes archéologiques dans la région du Chouf au Mont-Liban », *La Revue Phénicienne, Éditions de La Revue Phénicienne*, Beyrouth – Liban, Decembre 2020, pp. 111–120.
- KING, Charles, *The Ancient Roman Afterlife: Di Manes, Belief, and the Cult of the Dead*, University of Texas Press, 2020.
- MARDINI, Mahmoud, FISCHER-GENZ, Bettina, « A Step towards the Mountains: Preliminary Zooarchaeological Investigations into the Human Occupation of Qornet ed-Deir », *BAAL 22*, Lebanese Department of Antiquities, 2022, pp. 295-309.
- NEWSON, P., « Greco-Roman Burial Practices in the Bekaa Valley, Lebanon, and Its Adjacent Uplands », *Journal of Eastern Mediterranean Archaeology and Heritage Studies* 3 (4), 2015, pp. 349-371.
- OGGIANO, Ida., KHALIL, Wissam, « Le sanctuaire phénicien de Kharayeb dans l'arrière-pays de Tyr », *La Revue Phénicienne, Éditions de La Revue Phénicienne*, Beyrouth – Liban, Decembre 2020, pp. 201–208.
- PERŠIN, Metoda., ELIAS, Nada, *A Walk with the Experts*, video produced by the Association for the Protection of Jabal Moussa, youtube.com/Jabal Moussa Biosphere Reserve, 2020.
- PERŠIN, Metoda, "The Lebanon mountain range in the Middle Bronze Age: the case of Qornet ed-Deir, Jabal Moussa Biosphere Reserve", *Proceedings of the 12th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East*, Vol. 2, Wiesbaden, 2023, pp. 461–474.
- PIERI, Dominique, « La céramique, témoin privilégié de l'activité humaine », *Yanouh et Nahr Ibrahim, Nouvelles découvertes archéologiques dans la vallée d'Adonis*, PUSJ, Beyrouth, 2005.
- RENAN, Ernest, *Mission de Phénicie*, Imprimerie Impériale, Paris, 1864.
- SCHEID, J., "Contraria facere: renversements et déplacements dans les rites funéraires", *Annali dell'Istituto Orientale di Napoli* 6, 1984, pp. 117–139.

- VOKAER, Agnes, *Broqta (Jabal Moussa) - Archéologie d'un site de montagne*, Presentation to the Association for the Protection of Jabal Moussa, 2023.

المختصرات

- AEL = Laboratoire d'Anthropologie et d'Ethnoarchéologie au Levant
- AJHG = American Journal of Human Genetics
- BAAL = Bulletin d'Archeologie et d'Architecture Libanaises

تراثُنا التربوي والاقتصادي
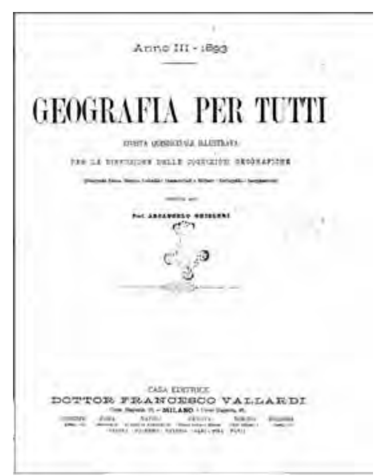
تحقيق وترجمة كميل عيد - ميلانو

بيروت قبل ١٣٠ سنة بِعَينٍ إِيطالية

بيروت قبل ١٣٠ سنة بِعَينٍ إِيطالية

تحقيق وترجمة
كميل عيد – ميلانو

بين الصحف والوثائق الإيطاليّة القديمة، مجلّة Geografia per tutti («الجغرافيا للجميع»)، كانت تصدر كل أسبوعين، وعلى غلافها أنها تُعنى بـ«نشر المعارف الجغرافية». وفي عدد منها سنة ١٨٩٣، وفي باب «من هنا وهناك حول العالَم»، مقال عنوانه «بيروت ومدارسها»، ذو مقدمة تَذكر أن معلوماته مقتَبَسَة من كرّاس «المصالح الإيطاليّة في المشرق، وخاصّة في سوريا»، وضعه الباحث في شؤون المشرق لويجي بافيا Luigi Pavia، أملاً أن المعلومات فيه «ستحوز على اهتمام القرّاء».



غلاف المجلة سنة ١٨٩٣

تتصدّر المقال صورة منظر لبيروت لم تذكر المجلّة مصدره ولا تاريخه، لكنّه شبيه جدًّا برسم عن عاصمتنا صدر في منشور رحلات Rip van Winkle عام ١٨٨٢. ويصف كاتب المقال موضوعيًّا دور بيروت التربويّ كما بدأت تُبرزه فترتئذٍ ويعدِّد أَهمّ المدارس فيها، دافعًا بلاده إيطاليا إلى استدراك ضحالة حضورها التربويّ حيال حضور دول غربيّة أخرى في مدينةٍ «تشهد ازدهارًا مطّردًا على كافّة الصُعُد».

غلاف المجلة حديثًا

وهنا ترجمة المقال كاملاً عن أصله الإيطالي:

«على شواطئ فينيقيا، في منتصف الساحل الممتدّ من مصر إلى آسيا الصغرى، مدينةٌ تزدهر كلّ يوم أكثر، عددُ سكّانها في أقلّ من ٣٠ سنة ارتفع من ٢٥ ألف نسمة إلى ١٢٠ ألفًا. وهي مركزٌ رئيس للتجارة والبناء والمكاتب المهنيّة، وباتت موقعًا يتدفّق إليه كلّ شيء من المناطق المحاذية أو الداخليّة. وهي قريبًا ستفوق دمشق اقتصاديًّا واجتماعيًا ودوليًّا رغم عراقة دمشق التاريخية وشهرتِها وسكانِّها من ٢٥٠ ألف نسمة. هذه المدينة هي بيروت. وهي لغير سببٍ تحتلّ على تلك السواحل، وحتّى البحر الأسود، منزلة ميلانو في إيطالياً. فللتعليم فيها مدارس مزدهرة جدًّا، منها «المدرسة الإعداديّة التركية» (يسمِّيها كاتب المقال l'dadi) مع كليّة تابعة لها. وإنني، بتردُّدي اليومي عليها لصداقتي مع مديرها، أشهد على مستواها الراقي في تنسيق نشاطاتها واختيار هيئة التدريس فيها بعناية. وثمة مدرستان مسيحيّتان عاليتا المستوى، إحداهما تتبع لبطريركيّة الروم الكاثوليك، والأخرى للمطران المارونيّ الدبس[1]، وهما معهدان سوريّان يضاهيان الكثير من معاهدنا. هذه المدارس الثلاث تحضنها مبانٍ كبيرة جميلة، ويرتادها تلامذة كثُر من كلّ أمّة ودين. ولاحظت فيها انضباطًا تامًّا وأعلى درجات النظام.

وفي بيروت نحو خمسين مدرسة غير محلّيّة، أسّسها أوروبيّون وأميركيّون. بعضها ليس لديه ما يحسده على أفضل مدارسنا، يملك مباني رائعة وشاسعة ومريحة تنافس أفضل المباني الدراسيّة في أوروبّا.

منها: الجامعة الأميركيّة، في رأس بيروت، مع كلّية طبّ ولاهوت ومدارس صغرى، ومتحف للتاريخ الطبيعيّ ومطبعة دار نشر نشيطة (قرب المدينة القديمة) تنافس بين ١٠ و١٢ مطبعة تابعة لعدد مماثل من الصحف.

ومنها جامعة اليسوعيين الفرنسيّة، تضمّ كليّة طبّ فاقت نظيرتها في المدّة الأخيرة، وتُلحق بها مدارس أدنى بين ثانويّة ومهنيّة وصفوف ابتدائيّة ومدرسة داخليّة. يبلغ عدد المداومين فيها نحو ١٥٠٠. وللآباء اليسوعيّين، قرب مدارسهم إنما بإدارة مستقلة، مطبعة دار نشر كبرى تُصدر مؤلّفات قيّمة تهتمّ خاصّة بتدريس اللغات والآداب العربيّة للفرنسيّين وتلك الفرنسيّة للعرب؛ ومجمّع مباني اليسوعيّين يمتد على مساحة تفوق مساحة القصر الملكيّ في ميلانو. وكذلك يبدو كالقصر معهدُ راهبات الناصرة،

١) هو المطران يوسف الدبس، راعي أبرشيّة بيروت المارونية من ١٨٧٢ إلى ١٩٠٧، وهو صاحب موسوعة «تاريخ سوريا الدنيويّ والدينيّ» ومؤسّس مدرسة «الحكمة» وكاتدرائيّة القديس جرجس (المترجم).

وهنّ أيضًا من فرنسا، ويُشرف على بيروت من تلّة شرقيَّ المدينة، يضمّ نحو ٥٠٠ طالبة تقريبًا. وثمة أيضًا مدرسة الإخوة المسيحيين [الفرير] ومدرسة اللعازاريّين، وكلتاهما فرنسيّة.

وفي أنحاء المدينة أيضًا نحو ١٢ مدرسة راقية تابعة للإرسالية الإنكليزية (British Syrian Schools)، بينها مدرسة رئيسيّة، ومدارس كثيرة للصبيان والبنات تابعة للإرساليّة الاسكتلنديّة، ومعهد مزدهر للراهبات البروسيّات تلحق به دارٌ للأيتام، ومعهد تربويّ مع ميتم ومستشفى لراهبات المحبّة الفرنسيّات. وأشيح الآن عن مدارسَ أخرى كثيرةٍ بروتستانتية وكاثوليكيّة وأرثوذكسيّة وعربيّة (مارونيّة) ويهوديّة وأرمنيّة وتركيّة[٢]، كما عن المستشفى الفرنسيّ[٣] في رأس بيروت والمستوصفات والصيدليّات الفرنسية والألمانيّة، وأوجز فأقول إن في بيروت مدرسة عند كلّ خطوة، وهي مدارس جيّدة، حسنة التنظيم، كاملة التجهيز، يرتادها جمعٌ غفير. وبسبب هذا التدفّق المستمرّ والقويّ للمصالح والأشخاص من كلّ أنحاء المشرق، وبفضل لقب «المدينة المثقّفة» الذي حازت عليه بيروت حاجبةً مجدَ القاهرة، تضاعف عدد المدارس واجتذبت أعدادًا غفيرة من الطلاب وهي تحافظ على مظهرها ورونقها.



المدرسة القيصرية في بيروت نحو ١٨٩٣

٢) تضمّ ولاية بيروت ٣٨١ مدرسة محليّة، بينها ٥٧ في بيروت وحدها، استنادًا إلى البيانات الرسميّة في شباط ١٨٩٣، أي عند إرسال هذا المقال إلى الطباعة (ملاحظة كاتب المقال).

٣) المستشفيات مدفوعة الأجر، يتنافس فيها أطبّاء أوروبيين وأميركان لبلوغ النجاح والتقدير. وقبلاً خدم أطباء إيطاليون في أماكن عدّة لدى الحكومة التركيّة، لكنّ الأطبّاء الفرنسيين والألمان حلّوا مكانهم ولم يبقَ منهم إلا الطبيب الإيطالي العجوز دي لوتشيانو De Luciano يمارس عمله في مكتب الحجر الصحيّ (الكرنتينا) في بيروت.

حيال كل ما ذكرتُه، ما الذي لنا نحن [الإيطاليين] في بيروت؟ مدرسة ابتدائيّة مجانية فقط، يرتادها نحو ٩٠ بالمئة من أبناء أكثر الأُسر بؤسًا[٤]، لذا يتجنبها أبناء الأسر الميسورة لتفادي الظهور بمظهر التعساء، ولأنّهم – إزاء فقدان مدرسة ثانويّة بعد الابتدائيّة – يفضلون بدء الدورات في مكان آخر للتمكّن من إنهائها. وقبل شهر كتب لي مواطن من بيروت: «في السنة المقبلة سأضطرّ إلى سحب بناتي من المدرسة الإيطاليّة وإلحاقهنّ بمدرسة أخرى، إذ يتابعن للمرّة الثانية الصفّ ذاته ووصلن إلى أعمدة هرقل[٥] حيث لا مجال للتقدّم أكثر». ووردت في رسالته عبارات استياء لغياب أيّ هيبة واعتبار لنا في تلك المناطق. وهو ليس الوحيد يكتب لي في هذا الموضوع. فالمدرسة الإيطاليّة القائمة منذ ٢٤ سنة، محاطة بأخواتٍ لها تصغُرها سنًّا تركنَها على مسافة ألف ميل إلى الخلف من حيث الأهمّيّة، ولم نقم بأيّ ما يرفع مستواها قليلاً، مع أنّ تقريرًا رسميًّا رُفع قبل خمس سنوات إلى الوزارة حول مدارسنا في الشرق، شكا بأن بيروت تفتقر إلى مدرسة ثانويّة. وجاء في ذاك التقرير: «بعد إعادة تنظيم التعليم الابتدائيّ سيكون ضروريًّا توفير مستوى تعليم ثانويّ أو تقنيّ أو تجاريّ أو صناعيّ، إذا شئنا ألاّ تتعرّض للنسيان لغتُنا التي ندرّسها في سنوات الطفولة».

هنا ينتهي اقتباس المقال في مجلّة «الجغرافيا للجميع»، لكنني عثرتُ على نسخة منه كاملة (٢٧ صفحة) وردت فيها معلومات أخرى عن تاريخ بيروت في تلك الحقبة، وبخاصّةٍ دورها الاقتصاديّ، وهنا جلُّ ما ورد فيه:

تقرير اقتصادي إيطالي عن بيروت عام ١٨٩٣

كانت بيروت مكان استيراد كبير من أوروبّا، وكلّ صنف من البضاعة يجد له فيها رواجًا عظيمًا، لكن البضائع الإيطاليّة «أقلّ من معدومة» في أسواق المدينة، والفرنسيّون «أكلوا البيضة والتقشيرة» في امتيازات الحكومة التركيّة.

المقاطع حول «بيروت ومدارسها» (مقتبَسة من كرّاس «المصالح الإيطاليّة في المشرق، وخاصّة في سوريا») قادتني إلى البحث عن الكرّاس بأكمله أملاً بالحصول على معلومات إضافيّة حول بيروت في

٤) يذكر صاحب المقال أنّ تلامذة المدرسة الإيطاليّة ٣٤٠، بينهم ٢٠ إيطاليًّا فقط، عشرة ذكور وعشر إناث، يكلِّفون الدولة الإيطاليّة ٣٥ ألف فرنك سنويًّا (المترجم).

٥) هو مضيق جبل طارق، بمعنى «أقصى حدود المعمورة» والعلْم (المترجم).

نهاية القرن التاسع عشر. وبالفعل وجدتُها منشورةً على حلقتين في مجلّة «الفكر الإيطاليّ» الصادرة في ميلانو[٦]. يتطرّق الكرّاس الذي وضعه عام ١٨٩٣ الباحث لويجي بافيا Luigi Pavia في صفحاته السبع والعشرين إلى مواضيع وأماكن شتّى، اقتطعنا منها ما يتعلّق بمدينة بيروت خارج الإطار التربويّ الذي فصّلناه أعلاه.

جال ذاك الباحث في المشرق أشهرًا من ١٨٩٢. وكتب أن «الأمر لا يتعلّق بمقارعة النفوذ الفرنسيّ بل القيام بما يفيد كلّ جالياتنا المنتشرة في تلك البقاع، فنوفّر لإيطاليا علاقات مستقبليّة مع بلدان كانت تشكّل في الماضي مرتعًا غنيًّا لتجارتنا». هكذا يؤكّد أن دخول السوق البيروتيّة، ومن ورائها المشرقيّة، يبدأ بزيادة رحلات تقوم بها شركات الملاحة الإيطاليّة إلى موانئ شرقي المتوسّط. ويذكر أنّ ١٢ رحلة فقط انطلقت من إيطاليا إلى بيروت خلال ١٨٩٢، بينها سبع رحلات تابعة لشركة Cappellino الجنويّة، و١٩ رحلة قامت بها سفن شراعيّة إيطاليّة، وهو عددٌ «لا يساوي شيئًا حيال آلاف سفن ترسو في بيروت سنويًّا». ويُفصّل بافيا عدد الرحلات الشهريّة المنتظمة لشركات كبرى تستخدم مرفأ بيروت، فيذكر ٤ رحلات لشركة الملاحة الروسيّة، ومثلها لشركة Messageries الفرنسيّة، و٨ رحلات للشركة النمساويّة Lloyd، ومثلها للشركة الخديويّة، عدا رحلات متكرّرة غير منتظمة قامت بها شركة Fabre الفرنسيّة وشركات Papajanni و Asia Minor و Levant Line و Moss الإنكليزيّة، إلى رحلات أقلّ عددًا للبواخر الإسبانيّة والألمانيّة والأميركيّة. ويقترح بافيا إقناع الباخرتين الإيطاليّتين Gottardo و Indipendente اللتين تسيّران رحلات من بحر الأدرياتيك إلى ميناء الإسكندريّة بمتابعة سيرها إلى بورسعيد فموانئ يافا وحيفا وعكا الفلسطينيّة فبيروت وطرابلس وصولاً إلى الإسكندرونة ومرسين.



بيروت نحو ١٨٩٠ (مجموعة بدر الحاج)

٦) Il Pensiero Italiano الجزءان ٢٧ و٢٨ من المجلّد السابع، ميلانو ١٨٩٣.



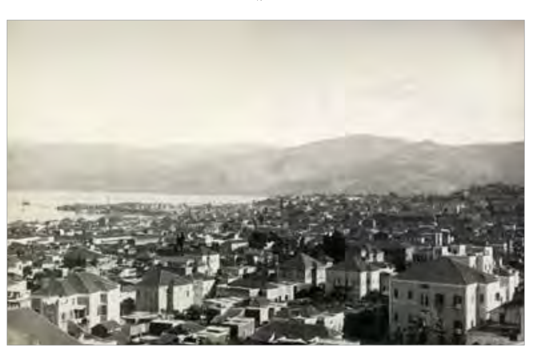
بيروت سنة ١٨٩٠ ويبدو برج الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية) أعلى اليسار (مجموعة سهيل منيمنة)

وبين الموانئ التي ذكرها، تبقى بيروت محطّ أفكار الباحث: «أعود فأكرّر للفائدة: بيروت مكان استيراد كبير من أوروبّا، حتى للبلدان الداخليّة؛ وكلّ صنف من البضاعة يجد له فيها رواجًا عظيمًا، شريطة أن يكون سعره ملائمًا». ويستشهد بافيا بصديق له يسكن في بيروت أكّد له بحسرة أنّ البضائع الإيطاليّة «أقلّ من معدومة» في أسواق المدينة، وأنّه عبثًا حاول إقناع شركات من ميلانو وغيرها بتوفير وكالات تجاريّة لأحد الإيطاليّين المقيمين في بيروت، رغم الطلبات الكثيرة الآتية من بلاد المشرق على البضائع الإيطاليّة. ويذكر صديق بافيا في رسالته أنّ «بيروت، بحكم كونها عاصمة تلتقي فيها أسواق الساحل والداخل، تشهد طلبًا على كلّ أصناف البضائع وبكثرة». ويشدد مجدَّدًا على أنّ النجاح هو في القدرة على المنافسة. ويفصّل ذاك الإيطاليّ المقيم في بيروت ٥٧ صنفًا، إذا جيْءَ بها من إيطاليا، تجد لها رواجًا في المدينة، وهي: نشاء، أسلحة، أوانٍ زجاجيّة، ملابس محيّكة (جوارب، سراويل داخليّة وغيرها)، شموع، إطارات مذهّبة، مكانس، أعواد كبريت، أزرار، مطرّزات، شرائط أحذية، كرتون مقوّى لاستعماله كالجلد، شالات، ربطات عنق، قبّعات[٧]، جلود من مختلف النوعيّات (كبش، ماعز وعجل)، كونياك، أطعمة معلّبة، حبال، مشدّات نسائيّة، ملبّس، حلويّات بشكل عامّ، أقمشة للأثاث، أقمشة قطن وصوف وحرير، ساتان حريريّ، ساتينات، شرائط، ورق للكتابة، ورق خام، مغلّفات، حمضيّات، غزل القطن، أزهار اصطناعيّة، أجبان، فلّين، أمشاط، مشروبات روحيّة، أدوية ومنتجات كيماويّة، مظلات، مرايا، عطور، معجّنات، رصاص، أرزّ، بورسلين ومايوليكا، طلق، ألوان زيتيّة، دهانات، قرميد، أوانٍ منزليّة، حليّ، أحجبة، زنك.

٧) يذكر بافيا أنّ مواطنًا ألمانيًّا مقيمًا في بيروت يجني أرباحًا طائلة من بيع القبّعات الأوروبيّة، رغم ارتفاع أسعاره، كما يذكر مخزنًا فرنسيًّا يدعى Christophore يقول إنّه نسخة مصغّرة عن محلاّت Bocconi الإيطاليّة المشهورة، يحقّق بدوره أرباحًا كبيرة.

ويطرح بافيا فكرة سعي إيطاليا لدى الباب العالي للحصول على امتيازات تتعلّق بتحسين البنية التحتيّة لمدن الشرق، أسوةً بالدول الأخرى. ويستعرض المنافسة بين فرنسا وإنكلترا، فيذكر أنّ الشركة البلجيكيّة-الفرنسيّة صاحبة مشروع طريق الشام بدأت في الفترة الأخيرة أعمال الحفر لإنشاء سكّة حديديّة بين دمشق وبيروت، وأنّ لفرنسا أيضًا حصةً في الشركة العثمانيّة لإنارة بيروت بالغاز، وأنّ شركات فرنسيّة فازت بالتزام بناء خطّ تراموای على البخار يصل طرابلس بصيدا عبر بيروت، وبالتزام المرفأ والجمارك الجديدة والأرصفة، في حين فازت شركة إنكليزيّة بالتزام جرّ مياه نهر الكلب إلى بيروت.

وما زال، وفق بافيا، بوسع إيطاليا اللحاق بركب الدول الأخرى والمشاركة في مشاريع كثيرة تنتظر من يطرحها. «ففي جميع الأماكن نهضة حياة اجتماعيّة جديدة، وخطوط نقل وشركات صناعيّة، فلا يظنّنّ أحدٌ أنّ كلّ شيء فاتنا». ويطرح على سبيل المثال شقّ الطرق العموميّة وقنوات مياه الشفة وإنشاء مصانع وإدخال صناعات جديدة، ويذكر أنّ الصناعة شبه الوحيدة التي تشهد رواجًا في تلك النواحي هي صناعة الحرير والحياكة، فيقول هنا إنّ عدد المغازل في مناطق [جبل] لبنان ارتفع من ٦٩ عام ١٨٧١ إلى ١٢٦ في أيّامه، أنتجت عام ١٨٩١ ثلاثة آلاف وخمسمائة طنّ من الشرانق، ما يوازي مبلغ ١٢ مليون فرنك.



بيروت مطلع القرن العشرين (مجموعة متحف نابو)

ويختم: «إذا قام الإيطاليّون بطلب بعض الامتيازات من الحكومة التركيّة سيحصلون عليها بسهولة أكثر منها بالنسبة للفرنسيّين، لأن تلك الحكومة ترى بعين الرضا ازدهار أحوال البلاد على يد الأجانب من جهة، لكنها من جهة أخرى بدأت ترتاب من الاتساع المفرط في دائرة نشاط فرنسا، وخاصّة في سوريا». سوى أن آمال بافيا لم تتحقّق، وزاد من عرقلتها قيام الأسطول الإيطاليّ بقصف بيروت عام ١٩١٢.



تراثنا التاريخي

يحتوي ملف هذا العدد موضوعين لافتَين من تراثنا الغنيّ،
ننشرهما معًا لأنهما من كاتب واحد:
الدكتور كريستيان الخوري

اللبناني الرؤيوي نجيب عازوري: استبق أحداث المنطقة قبل ١٢٠ سنة

د. كريستيان الخوري

هــو

ولد في عازور (قضاء جزين) سنة ١٨٧٣. والده جريس حنا عازوري وشقيقه الأب يوسف اللعازري. له ولدان كورنيليا (زوجة يوسف اللحام أحد وجهاء غزة) وأنطون (مفتش لدى البعثة العلمية الأميركية في بنغازي ليبيا)[١].

تابع نجيب دراسته في مدرسة الفرير (بيروت) ونال في باريس دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسيّة ولم يبلغ العشرين. أتقن عددًا من اللغات[٢]، وعُيِّن مساعد حاكم القدس بين ١٨٩٨ و١٩٠٤[٣]. تعرّف سنة ١٩٠٥ بالدبلوماسي السابق أوجين جنك فطلب منه عازوري مشاركته العمل على تحرير العرب في الشَرق، وتلازما حتى صرّح جنك أنهما «بمثابة أخوين»[٤].

كان ذا ذكاء حاد غير معهود، وذا حضور مميز بين الأوساط الدّبلوماسيّة في القاهرة وباريس ولندن.[٥]

سنة ١٩٠٤ عُزل من منصبه ولوحق تحت طائلة الإعدام بموجب قرار صدر في ٣١ تمّوز ١٩٠٤ لأنه ترك منصبه في فلسطين وتوجّه إلى باريس من دون إذن السلطات، وقام بخطوات تعرّض الدّولة للخطر[٦]. توجّه إلى القاهرة ومارس العمل السياسي ومنها سافر إلى بلدان عدة لا سيّما إلى أوروبا وخاصة فرنسا. توفّي في القاهرة (حزيران ١٩١٦) بنوبة قلبيّة.

---

١) نجيب عازوري: يقظة الامّة العربية (١٩٠٥) تعريب وتقديم د. أحمد بو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ١٧

٢) Eugène Jung: La Révolte Arabe ,1,de 1906 à la révolte de 1916, librairie Colbert, Paris, 1924, p 16

٣) نجيب عازوري: يقظة الامّة العربية...، ص ١٧

٤) Eugéne Jung : La Révolte Arabe , p 16

٥) Op.Cit. p 10

٦) Op. Cit. p 25

تراثه الكتابي

- نشر وترأس في مصر إصدار جريدة L´Egypte.[٧]
- نشر في باريس جريدة l´Indépendence Arabe من نيسان ١٩٠٧ حتى أيلول ١٩٠٨. وكانت مقروءة بين الأوساط المؤثّرة في السياسة الفرنسيّة.[٨]
- كتب مقالات ودراسات في صحف فرنسيّة عدة، منها La Liberté، Le Figaro، L'Echo De Paris، Revue Libre.[٩]
- وضع كتبًا لم يصلنا منها سوى واحد: «يقظة الأمّة العربيّة» (١٩٠٥). وأشار أوجين جنك في كتابه La Révolte Arabe إلى بعض كتب عازوري إنما الصهيونيّة العالميّة أخفتها، بينها: «الوطن العربي» (دراسة معمّقة للوضع الرّاهن ودراسة مستقبل الأقطار العربيّة الآسيويّة)، «الخطر اليهودي العالمي (تصاريح ودراسات سياسيّة)، «الدوَل الأجنبيّة ومسألة المقدّسات المسيحيّة في الأرض المقدّسة» (خلاصة تاريخيّة وعرض للوضع الرّاهن.[١٠]

وهذه نبذة عن نشاطه السياسي والنضالي بإطارَيْهِ الفكري التنظيري والعملي التطبيقي.

أوّلاً: النشاط الفكري النظري



اختصر نجيب عازوري نشاطه النّضالي والسياسي في مقدمة كتابه «يقظة الأمّة العربيّة» كما يلي[١١]: «ظاهرتان مهمتان متشابهتا الطبيعة إنما متعارضتان، لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن وتتضحان حاليًّا في تركيا الآسيوية، هما يقظة الأُمة العربية وجهد اليهود

٧) Op. Cit. p 41
٨) Op. Cit. p 19
٩) نجيب عازوري، يقظة الامة العربية، ص ٢٠
١٠) المرجع السابق ، ص ٢٢
١١) المرجع السابق، ص ٤١–٤٣

الخفي لإعادة تكوين مملكة اسرائيل القديمة على نطاق واسع. مصير هاتين الحركتين أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأُخرى. وبنتيجة هذا الصراع بين هذين الشعبين الممثلَين مبدأين متضاربين، يتعلق مصير العالم بأجمعه. ولم تكن تلك هي المرة الأُولى أن تناقش في الأقطار العربية مصالح أوروبا في حوض البحر الابيض المتوسط، لأنها منطقة تصل بين ثلاث قارات وثلاثة بحار، وكانت على مدى عهودٍ متفاوتةٍ مسرح أحداث سياسية ودينية قلبت مصير العالم بأَسره. والذين كتبوا عن القضية الشرقية حتى اليوم حصروا درسهم في البلقان وتركيا الأوروبية معتقدين أنّ في مقدونيا حلَّ هذه المعضلة الشائكة، فلم يعيروا اهتمامًا لممتلكات السلطان الآسيوية في حين أن البلاد العربية تشكل العقدة الحقيقية في اللغز. ومن عالجوا المسألة اليهودية رأوها من وجهةٍ خاصة تتفق مع مصالح البلد الذي ينتمون اليه فلم يتنبهوا إلى ما ينتج عنها من تهديد للسلام العالمي. وبما أننا قصدنا أن نملأ هذه الفجوات، ونكشف للعالم أهمية الحركة العربية من جهة، والخطر الذي يتعرض له من جهة أخرى – وهو خطر يتعاظم الخوف منه لأنه يُهَيَّأُ في الظل وفي السر – ما دفعنا للحديث عن السياسة وعن نزعات الدول الكبرى في أوروبا والولايات المتحدة والإدارة البابوية، ومناقشة مسائل لها فائدة ملموسة جذابة من وجهة جديدة مجهولة. وبما أن أغلبية قراء هذا الكتاب ليسوا على علم كاف بالمواضيع التي يعالجها، بدا لنا، إيضاحًا، أن نتطرق لتفاصيل قد تبدو للبعض غير مفيدة، وعذرنا لهؤلاء أننا لا نبغي إرشاد عدد قليل من الناس بل ينبغي تنوير سائر الناس بشأن قضية تحظى باهتمام كبير. وقبل أن نصوّر اليهود كما نعرفهم وكما هم عليه اليوم، أردنا ان يعرفوا أولاً بما كانوا عليه وفق الكتاب المقدس، وبما فاخروا به حسب كتبهم المقدسة وتقاليدهم الأكثر قدَما، لأن ماضي الشعب هو الصورة الأكثر أمانة لحاضره ومستقبله. على هذا النحو لن نجازف مثل الآخرين كي لا نتهم بالمبالغة، مع أن لدينا براهين من الكتاب المقدس ذاته إذا شئنا سندًا لمزاعمنا. لكننا احتكمنا لهذا الاحتراز الضروري لقلة من يعرفون الكتاب المقدس أو قرأوه، مع أن كثيرين بينهم حدّثوا به غالبًا وحفظوا قسمًا أخباره مُحَرَّفَةً عن معناها الحرفي كما يفهمها اليهود. ونحن بذلك، لا ننوي نقد تفسر الكنيسة المسيحية الكتابَ المقدس، فإننا نجلُّ التعليم الكتابي المسيحي لأن المعنى المجازي والروحاني كما يضفيه اللاهوتيون على قصص التوراة هو أخلاقيٌّ ويرفع من قيمة العهد القديم. لكنّ التفسير الظاهري الحرفي الذي يقتصر عليه اليهود يجعل هذا الكتاب خطيرًا ولاأخلاقيا ويشكِّل إدانة رهيبة لهم. من هنا أننا في كتابَينا «يقظة الأمة

العربية» والخطر اليهودي العالمي» نرتفع فوق الأحكام الدينية المسْبقة، ونتجرد من عواطفنا وقناعاتنا، غير ناظرين إلى القضية إلاّ من وجهة سياسية محضة، كالتي درسناها خلال ست سنوات في منصب تركناه قبل قليل بملء حريتنا وضد السلطان نفسه، كي نلتزم بعمل مقدس في سبيل الوطنية والعدالة الإنسانية. وطوال كل هذه المرحلة كنا نعايش مواطنينا، وكنا على اتصال وثيق باليهود الذين راقبناهم في البلاد التي هي المسرح الأكثر نشاطًا لجهودهم الصامتة والمؤذية.»

١. ثورة «تركيا الفتاة»

نظرة نجيب عازوري إلى ثورة «تركيا الفتاة» (تمّوز ١٩٠٨) يكشفها مقال له في صحيفة l´Egypte جاء فيه: «نظرًا للتطوّرات الحاصلة نلتزم وعودًا قطعناها لأصدقائنا في تركيا الفتاة ونضع جانبًا السّلاح بغية التّعاون لاستنهاض السّلطنة العثمانيّة ونزْع سلطة عبد الحميد. حاليًّا يفترق مخططنا عن مخطّطهم. وفي حال أظهر البرلمان لاحقًا حيويّةً وليبراليّةً متنوّرة، نتابع العمل سويّةً لوضع نظام الحكم الذاتي لأمّتنا بالطرق القانونيّة».[١٢] لكن الأحداث كشفَت أن وعود «جمعيّة الاتّحاد والترقّي» كانت فارغة، فهرب نجيب عازوري إلى مصر وتابع منها المقاومة السّياسيّة والعسكريّة.

٢. الدّعوة إلى قيام اللامركزيّة:

في ١٦ آذار ١٩١٢ كتب نجيب عازوري إلى وزارة الخارجيّة الفرنسيّة:[١٣] «تجري حركة كبيرة بين المتموّلين في المدن السّوريّة الكبيرة. أرسلوا إلى اللورد كيتشنير Kitchener يطالبون بضمّ سوريا إلى مصر أو بمنحها نظامًا مستقلاًّ. رحبت إنكلترا بهذه الخطوة دون دعمها بشكل ظاهر... مع أنّها تستطيع دخول سوريا كأنّها تدخل في الزبدة... وأنا من سعى في قيام حركة الدّعوة إلى اللامركزيّة وشجّع على قيام رابطة لهذه الغاية في القاهرة...». وشرح أهميّة اللامركزيّة لخير العالم العربي وبدأ المسلمون العرب يؤمنون بضرورة تحقيقها بعد أن كانوا لسنتين خلَتَا شديدي المعارضة لها. ويؤكّد أنّ في حزب اللامركزيّة العثمانيّ ١٠٠٠٠ منتسب في القاهرة وأنّ لديه ٧٥ فرعًا في البلاد العربيّة سنة ١٩١٤.[١٤]

١٢) Eugéne Jung: La Révolte Arabe, p 23

١٣) Op. Cit. p 60–61

١٤) Op. Cit. p 61

L'ORIENT ARABE

« La vrai organisateur de ce Congrès, « c'est Chekri Ganem et les frères Moutran. Les autres sont des moutons de Panurge.

« Quoique mon ami Chekri Ghanem n'ait « jamais été partisan de mes idées sous Ab- « dul Hamid, il gravitait derrière Ahmed- « Riza pour obtenir un poste important.

٣. المؤتمر العربي في باريس:

كتب نجيب عـازوري إلى أوجين جنك في ١ حزيران ١٩١٣ مطالبًا بالعمل على تأخير موعد المؤتمر العربي إلى أواخر تمّوز أو أوائل أيلول لكي يتمكن المصريّون والسّوريّون من المشاركة[١٥]، فـ«المنظّمون الفعليّون للمؤتمر هم شكري غانم والأخوان مطران والباقون كالغنم» mouton de panurge[١٦]، وشرحَ أن شكري غانم لم يكن ليشاركه الأفكار نفسها وإن كانا صديقين، ونصحه بأنّ «العمل على ممالأة الأتراك لن تفيد العرب لأن الأتراك لن يقدّموا أي تنازلات لصالح العرب». وتابع أنّه كان سعيدًا بانعقاد المؤتمر العربي في باريس إنما يتوقّع «فشله وعدم تجاوب الأتراك مع مطالب المؤتمرين، ما سيدفع بالشّعوب العربيّة إلى التّمسّك بأفكارنا». وأخذ عازوري على المؤتمر عدم وجود ممثّلين إلاّ من بيروت ومن لبنان وغياب أي تمثيل للعرب في باقي مناطق سوريا والعراق وفلسطين.[١٧]

٤. مقاومة الحركة الصهيونيّة

في كل مناسبة تحدّث عـازوري عن الوحدة العربيّة وأشـار إلى الدور السّلبي للحركة الصهيونيّة تجاه فلسطين. وكتب في صحيفة L´Egypte (٦ شباط ١٩١٤) مقالاً حول تطرّف يهود استقرّوا في فلسطين وجهد قادة الحركة الصهيونيّة في اعتماد العبريّة لغةً واحدةً معتمدة في التّعليم لدى المدارس التقنيّة اليهوديّة في فلسطين، بالرغم من افتقارها إلى المفردات العلميّة المناسبة. وقررت الإدارة العامة لهذه المدارس (مركزها برلين) جعل الألمانيّة لغة التّعليم ما أثار اعتراضات بعض أعضاء مجلس الإدارة ودفعهم إلى الاستقالة، وأكثر: من جاؤوا إلى تل آبيب وحيفا رفضوا استعمال الألمانية وأصـرّوا على العبريّة لغةً موحدة للتعليم. وأشـار عازوري إلى أنّ صحيفة Berliner Tageblatt كتبت أن «بعض أساتذة مدرسة القدس التّابعة لجمعيّة إسعاف اليهود اعتصموا رافضين التدريس وشاركهم بالاحتجاج الطّلاب لبلوغ الاعتراف بالعبريّة لغة وحيدة للتّعليم. وبهذا الضغط لإجبار الأساتذة على اعتماد الالمانيّة قدموا استقالة جماعيّة[١٨]. وأيّد عـازوري

---

١٥) Op. Cit. p 68

١٦) l´Orient Arabe (revue), Directeur I.S.Naggiar, Rédacteur en chef Eugéne Jung, Paris, N 16, 20 Octobre 1917, p 2

١٧) Eugéne Jung: La Révolte Arabe , p 69

١٨) Op. Cit. p 86–87

أفكارًا للكونت كريساتي Cressaty (فرنسي من أصول سوريّة) أوردها في La revue politique et parlementaire (١٠ حزيران ١٩١٥) جاء فيها: «كيف يمكن أن نفكّر بسلخ فلسطين عن سورية وهي قطعة أساسيّة فيها؟ وكيف القبول بإجبار الشّعب الفلسطيني على رؤية تقطيع أوصال دولته ونقْل حكم أجزاء من هذه الدّولة تحت سلطة غريبة؟». وفنّد شاجبًا منطق الصهاينة في أدّعاء الحق بإقامة دولتهم على أرض فلسطين معتمدين على تفسير حرفي للتوراة: «نحن نُجلّ التعليم الكتابي المسيحي لأنّ المعنى المجازي والروحاني يضيفه اللاهوتيون على قصص التوراة هو أخلاقيٌّ ويرفع من قيمة العهد القديم، بينما التفسير الظاهري والحرفي الذي يقتصر عليه اليهود يجعل هذا الكتاب خطيرًا لا أخلاقيًا يشكّل إدانة رهيبة لهم».

٥. الموقف من زيارة البطريرك الماروني باريس

إثر زيارة البطريرك الماروني الياس الحويك باريس (أيلول ١٩٠٥) ولقائه الرئيس الفرنسي ورئيس الوزراء، أجرت جريدة La presse الفرنسية حديثًا مع نجيب عازوري[١٩] استهله الصحافي روبير أود Robert Eude بالاشارة إلى أنّ السلطان العثماني فوجئَ بالحفاوة التي لقيها البطريرك في فرنسا فاستدعاه سريعًا لزيارته في القسطنطينية، وأشار إلى أنّ البطريرك بدبلوماسيته المحنّكة لم يبُح لأي صحافي بالهدف من زيارته فرنسا. وشرح الصحافي الفرنسي أنْ بعد حديثه مع نجيب عازوري (وعلاقته بالبطريرك قديمة) فهمَ أهداف المهمّة السرية للبطريرك الحويك مع الحكومة الفرنسية. ففي مستهل المقابلة أشار عازوري إلى أنّ هدفَ تركيا إخضاعُ لبنان لسلطتها المباشرة رغم نيله وضعًا خاصًا سنة ١٨٦٠ ما خلق حركة استقلالية يتصدّرها الإكليروس. وتابع عازوري بأنّ فرنسا، بين سائر الأمم، اهتمت بالحفاظ على ما أنتجته سنة ١٨٦٠ بل طورتْهُ بدعمها الأخلاقي والسياسي لأن لبنان يمثل حالة فريدة بالنسبة لدولة أوروبية استعمارية في آسيا والمتوسط الشرقي. وبعد فرنسا تبدو إنكلترا

LA PRESSE
L'AGITATION REVOLUTIONNAIRE EN RUSSIE — LE PRINCE FERDINAND A PARIS

١٩) نجيب عازوري، يقظة الامة العربية، ص ٤٢

LA PRESSE

L'AGITATION RÉVOLUTIONNAIRE EN RUSSIE — LE PRINCE FERDINAND A PARIS

أكثر اهتمامًا بمعرفة خفايا الأمور في لبنان وبدفع التدخل العثماني عنه لأن مكاسبها في الشرق تفوق تلك الخاصة بفرنسا. وعدّد عازوري مشاكل تعيق تدخل فرنسا، ما أتاح للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني السعي إلى وضع اليد على هذا البلد والسيطرة على الاكليروس. وكان حاول في سنوات سابقة أن يُقنع بطاركة الموارنة باللين والاغراء أو بالشدّة والضغط أنّ مصلحةَ طائفتهم الحصولُ على فرمان التعيين العثماني على مثال بطاركة الكنائس الشرقية. وعن عازوري أنّ جواب البطاركة كان الرفض فتلقّوا دعم فرنسا وإنكلترا للإصرار على هذا الرفض، ففي إمكان البطريرك بإشارة واحدة أن يقيم ثورة في الشرق ضد السلطان، ولم يكن ذلك بعيدًا عن أهداف زيارة البطريرك. وأعتبر عازوري أنّ مواقف الرئيس الفرنسي Rouvier طمْأَنَت البطريرك والموارنة، وبقي التزام الحكومات الفرنسية بتنفيذ ما وعد به الرئيس الفرنسي. وحذّر عازوري فرنسا من التراجع لأن ارتباط مسيحيي الشرق بالدولة الفرنسية يعود الى ثقتهم

بها، وتخلّي الحكومة الفرنسية عنهم، ولو مرّة واحدة، سيدفع بهم للتوجه إلى دولة أخرى. ولأن ألمانيا شديدة القرب والارتباط بتركيا ولا توحي لهم بالثقة، فبريطانيا ستخلف فرنسا في الشرق، لأنها أظهرت سياسة خارجية مستقرة، ودافعت عن المرتبطين بها ومحمييها بمعزل عمن يتولى من الأحزاب والشخصيات السلطة فيها.

ثانيًا: النشاط التطبيقي العملي

أورد نجيب عازوري في مقدمة كتابه «يقظة الأمة العربية» ما حدّده الحزب القومي العربي (وهو أنشأه في مصر) في رسالةٍ/بيانٍ إلى الدول الكبرى/ مبيِّنًا خطواتٍ عمليةً ينويها العرب لتحقيق طموحاتهم، وعارضًا للخطر الصهيوني[٢٠]: «إنّ تحولا كبيرًا هادئًا على وشك الحدوث في تركيا. فالعرب الذين اضطهدهم الأتراك لاستمرار تجزئتهم بمسائل تافهة مذهبية ودينية، وعوا تجانسيتهم القومية التاريخية والعنصرية، ويريدون الانفصال عن الشجرة العثمانية المسوّسة ليكونوا دولة مستقلة. وستمتد هذه الأمبراطورية العربية الجديدة ضمن حدودها الطبيعية من وادي دجلة والفرات حتى برزخ السويس، ومن البحر المتوسط حتى بحر عُمان، وسيحكمها سلطان عربي حكمًا دستوريًا متحررًا، وستؤلف ولاية الحجاز الحالية مع منطقة المدينة المنورة أمبراطورية مستقلة يحكمها خليفة جميع المسلمين. هكذا يكون الحل لصعوبة كبيرة بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية في الإسلام لخير الجميع... وسنحترم كل مصالح الأجانب الحالية المباشرة في بلادنا وجميع الامتيازات التي منحهم اياها الاتراك إلى اليوم، وسنحترم الحكم الذاتي في لبنان والوضع الراهن لمقدسات المسيحيين في فلسطين، وسنحترم الإمارات المستقلة في اليمن والخليج الفارسي. فما من شريف مخلص يعادي هذه الحركة الخيرة التي ستفتح منفذًا واسعًا أمام التجارة العالمية، وستؤمن عددًا كبيرًا من التوظيفات المفيدة والأكيدة لرؤوس الاموال الأوروبية. فبانفصالنا عن تركيا تستعيد حريتَها القومياتُ المضطهدة (أكراد وأرمن وألبان)، إذ بالعرب يُخضِع الأتراك الألبان وبالألبان يسحقون البلغار، وبالعرب يضغطون على الأكراد وبالأكراد يقتلون الأرمن. لذا، بانفصالنا عن السلطان تُعلن كل أُمة استقلالها وينعتق العالم من جذوة الشقاق التي تسمّى بالقضية الشرقية...

---

٢٠) La Presse, N 4888, 17 Octobre 1905, p 1

نحن لا نطلب من الدول الكبرى أيّ تضحية ولا أيّ خطوة مسلحة لأجلنا، بل نرجو الدول المستنيرة والإنسانية في أوروبا وأميركا الشمالية أن تساعد حركتنا بمجرد حيادها وتشجيعنا بعطفها، نحن نعرف كيف نبلغ بقضيتنا المقدسة المجيدة حُسن الختام. نحن اثنا عشر مليونًا م العرب مضطهدون ببضع مئات من الموظفين الأتراك الشراكسة، جميعهم كلهم على استعداد لخيانة الباديشاه حالما يرون أننا صرنا أقوياء. قد نُسأل عن دافعنا إلى الكلام عن اليهود في كتاب سياسي يتناول الشطر الآسيوي من القضية الشرقية. فحركتنا تظهر في حين توشك إسرائيل على نجاح خططها الهادفة إلى السيطرة على العالم لتقضي على سائر الخطط».

ولم تقف خطوات نجيب عازوري العمليّة عند حدود التنظيم السّياسي بل توسعت حتى تنظيم ثورة مسلّحة انطلاقًا من نشوء جمعية «الأحد» في مصر بقيادة اللبناني ابراهيم نجيار اللبناني، ضمّت أكثر من ٤٠٠٠ من اللبنانيين والمصريين[٢١]. وبمطالبات القبائل العربية اهتمّ عازوري بعمليّة تسلح دقيقة تتطلب وقتًا لذا طلب آلاف بنادق Vetterli مع مؤن كافية وطالب بنقلها إلى مصر عبر صحراء سيناء، ما تطلّب أشهرًا[٢٢]. وأنشأ عازوري مآوي في مصر للراغبين والمتطوّعين للعمل على تحرير الأمّة. وانتشر الأمر في أرجاء بلاد العرب وضمّ في تشكيلاته أمراء ومشايخ وقادة ومتموّلين وأبناء عائلات وطلاّبًا[٢٣]. ومن محاولاته أيضًا: توسطَ لدى قنصل إيطاليا في مصر (١٨ شباط ١٩١٢) لتسمح دولته بإرسال ١٠٠ ٠٠٠ بندقيّة مع ٢٠٠ خرطوشة لكل بندقية لصالح الثوار[٢٤]، وكتب إلى القنصل الفرنسي في بيروت (١٤ كانون الأول ٢٠١٢) طالبًا منه رفع رسالة إلى وزارة الخارجية الفرنسية لتحويل الضغط الإنكليزي المتواصل للسّيطرة على سوريا وتلكّؤ الفرنسيين فـ «معظم من في سوريا، بمن فيهم الموارنة، متعاونون مع بريطانيا، وتراجعت فرنسا إلى الدرجة الثانية ولم تعد تحوز إلاّ على رضى الإكليروس الكاثوليكي الشّرقي ونفوذهم يتراجع نفوذهم في البلد».[٢٥] ودعا فرنسا إلى حزم أمرها سريعًا وإلاّ وصلت متأخّرة. وفي ١ شباط ١٩١٤ قلِقَ إذ «تشهد سوريا حالة من الغليان والنفوس مهيّأة للقيام

---

٢١) نجيب عازوري، يقظة الامة العربية، ص ٣٧–٣٩

٢٢) Eugéne Jung: La Révolte Arabe, p 32

٢٣) Op. Cit. p 32

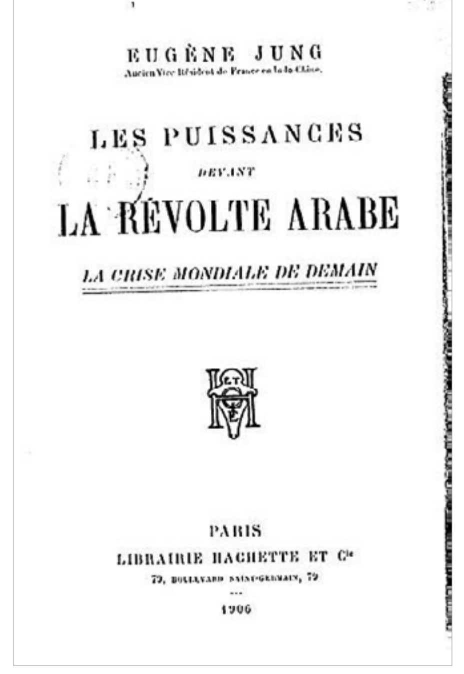
٢٤)

٢٥) Op. Cit. p 33

بانقلاب والضباط العرب ينتظرون الحصول على المساعدة إنما تجب تهيئة الأرض في الخلفيّة وخاصّة في الصّحراء العربيّ. ومئة ألف بندقيّة تكفي مع مؤنها».[٢٦]

ثالثًا: مواقف من أفكار ونشاطات نجيب عازوري.

١. مواقف مؤيّدة

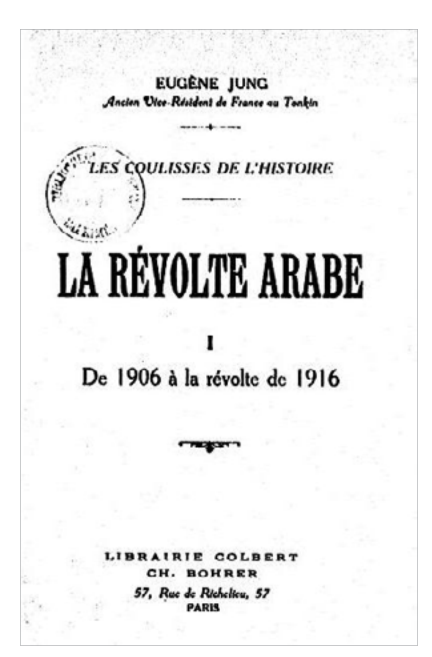

EUGÈNE JUNG
Ancien Vice-Résident de France en Indo-Chine.

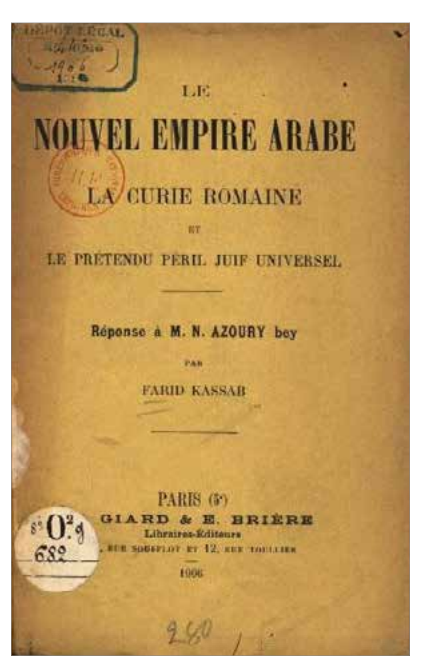
LES PUISSANCES
DEVANT
LA RÉVOLTE ARABE
LA CRISE MONDIALE DE DEMAIN

PARIS
LIBRAIRIE HACHETTE ET Cie
79, BOULEVARD SAINT-GERMAIN, 79
1906

على رأس مؤيدي أفكار عازوري كان الفرنسي اوجين جنك. وهو كاتب ودبلوماسيّ خدم في فيتنام. تعرّف بعازوري سنة ١٩٠٥ وعمل إلى جانبه لأكثر من ١٠ سنوات واستمرّ إلى جانب الثوار بعد وفاة عازوري. أبرز في مجموعة مقالات نشرها في صحف فرنسية في باريس وفي صحيفة L´Egypte في مصر، وأصدر (في ١ شباط ١٩٠٦) كتابه بالفرنسية Les puissances devant La Révolte Arabe, La crise mondiale de demain وأهداه إلى صديقه وصديق فرنسا محرّك حركة القومية العربية نجيب عازوري، وأصدر كتابه الآخر (كانون الثاني ١٩٢٤) La Révolte Arabe de 1906 à la révolte de 1916 وفيه طروحات وأفكار تؤيد مطلقًا طروحات نجيب عازوري واعتبره من كبار قادة الثّورة العربية[٢٧] والمحرّك الأساسي لهذه الحركة التحرّريّة[٢٨] ورأى أن أفكار عازوري سبقت قيام جمعيّات عربيّة ناهضت الحكم العثماني. وأكّد جنك أنّ التّحرّك العربي في وسائل الإعلام الاوروبيّة كان ضعيفًا

٢٦) Op. Cit. p 38–39
٢٧) Op. Cit. p 56
٢٨) Op. Cit. p 82–83


EUGÈNE JUNG
Ancien Vice-Résident de France au Tonkin
LES COULISSES DE L'HISTOIRE
LA RÉVOLTE ARABE
I
De 1906 à la révolte de 1916
LIBRAIRIE COLBERT
CH. BOHRER
57, Rue de Richelieu, 57
PARIS


LE
NOUVEL EMPIRE ARABE
LA CURIE ROMAINE
ET
LE PRETENDU PERIL JUIF UNIVERSEL
Réponse à M. N. AZOURY bey
PAR
FARID KASSAB
PARIS (5e)
GIARD & E. BRIÈRE
Libraires-Éditeurs
RUE SOUFFLOT ET 12, RUE TOULLIER
1906

التأثير على الرأي العام الأوروبي قبل محاولات نجيب عازوري[٢٩].

٢. مواقف مناهضة

أبلغ مواقف ناهضت طروحات نجيب عازوري أوردها اللبناني الماروني فريد كسّاب سنة ١٩٠٦ في الكتاب الفرنسي Le nouvel Empire Arabe,la Curie Romaine et le pretendu peril juif universel, réponse a M. N. Azoury bey، وهو وضع هذا الكتاب لدحض مزاعم نجيب عازوري كما يتضح من عنوان الكتاب، وهو فنّد كتابات عازوري مقدّمًا حججًا تؤكد عدم صوابيّتها. وفي كتاب كسّاب تسخيف فكرة عازوري حول تآمر اليهود، فنقل متهكمًا عن عازوري قوله:[٣٠] «يتآمر اليهود في الخفاء، وفي نيتهم إقامة ملكيّة مستقلّة في فلسطين حلمُها التالي التّوسّع والاحتلال. غير أنّ أمبراطوريّة إسرائيل مصيرها الاصطدام بالقوّة العربيّة، وستحاول كلّ منهما سحق الأخرى، وستنشب حروب دامية ومعارك طاحنة وتجري سواقي دماء وكوارث متعدّدة. وما سيسفر عنه هذا الصّراع سيكتب مصير إحدى الأمّتين ومصير البشريّة، وسيكون الأفق مظلمًا إذا بقي العالم غير مبال، وسيخسر مكاسب كبيرة». وأضاف كساب في تهكّم إضافي «... وسيرى المؤمنون الكاثوليك عندها تحقّق سفر

٢٩) Op. Cit. p 10

٣٠) Op. Cit. p 19

612 CORRESPONDANCE D'ORIENT

Les mécontents

A l'occasion de l'anniversaire de l'Indépendance du Grand-Liban, la dépêche suivante a été adressée :

A S. Excellence, le Président de la République Française,
A M. le Président du Conseil,
A M. le Président de la Chambre des Députés,
et aux principaux journaux de Paris :

« A l'occasion de l'anniversaire de la proclamation du Grand Liban, les soussignés réitèrent le désir d'en être détachés, désir maintes fois exprimé par la majorité des populations des pays qui lui furent annexés contre leur gré et revendiquent à ces populations le droit d'être consultés sur leur propre destinée et d'exprimer librement leur volonté de faire partie de l'Union Syrienne.
Beyrouth, le 1er septembre 1923. »

BEYROUTH :
Dr. Hassan Abeid ; Mohammed Makzoumi ; Said Sabbagh ; Omar Naja ; Mohammed Jamil Beyhum ; Dr. Farid Kassab ; Dr. Sameh Farouri ; K. Ksein ; Hanib Seikali ; Philippe Sabyoun ; Tah Medawar ; Hassan Makzoumi ; M. Kalil Daouk ; Osman Naja ; Moustapha Abeis ; Anis Sitaoui ; Emir Amin Arslan.

TRIPOLI :
Abdul-Hamid-Karameh ; Monnir Malek.

SAIDA :
Ahmed Aref Ezzein.

TYR :
Ismail Kalil.

DAMAS :
Emir Taher Djezairi ; Wacer Mouayad El-Azm ; Loutfallah Kanam.

DALBEK :
Muhammad Haidar

La menace turque

Constantinople, 31 août

Voici quelques passages significatifs d'un récent article du

رافضو الاعتراف بدولة لبنان الكبير،
وبينهم فريد كساب

الرؤيا»[٣١] ويضيف واصفًا عازوري بالمقتنع والمتيقن «أنّ اليهود سيعمدون إلى إعادة إنشاء نظام حكم في فلسطين، منطلقين من أراض لم يستطع أجدادهم استملاكها».[٣٢] ويشير الى انتقاد عازوري الأوروبيّين وسلطاتهم القنصليّة الضّعيفة والقليلة العدد في فلسطين والتي بنظر عازوري لا تهتمّ سوى بتحصيل الثّروات وتتجاهل مسؤوليّة الفواجع التي ستحصل».[٣٣] ويتابع كسّاب بانتقاد لاذع دور عازوري باستعطاف كاثوليك أوروبا والدّوائر البابويّة بغية دفعهم للمساعدة في إنشاء الدّولة العربيّة، ويورد كسّاب أساليب للإرساليّات مستهجنةً في وضع اليد على خيرات الشّرق عبر طرق براقة تؤدي إلى السيطرة والغنى على حساب شعوب البلاد الأصلية.[٣٤]

ويناقض فريد كساب فكرة عازوري بضرورة قيام الثورة العربية، ويصفه بأنه أضاع البوصلة، وأن ما يدّعيه تنبُّؤٌ في غير محله، وتعبير «الأمة العربية» يجافي الحقيقة إذ يعتبر كساب أن ملايين القاطنين يحميهم الدين الإسلامي لكنهم منقسمون عشائر وقبائل غالبًا ما تتعارك وتتحارب وتمارس الارتحال ولا تستهويهم حياة الاستقرار داخل حدود، فينقض قول عازوري إنهم أدركوا تمازجهم التاريخي والأثني.[٣٥]

٣١) Farid,Kassab: Le Nouvel Empire Arabe, La Curie Romaine, Le Prétendu Pèril Juif universel, Rèponse à M. N.Azoury bey, Paris, 1906, p 7

٣٢) Op. Cit. p 9

٣٣) Op. Cit. p 11

٣٤) Op. Cit. p 11

٣٥) Op. Cit. p 25–27

ويعتبر كساب أن هدفَ عازوري وحزبه وكتابه الوضيع زرعُ الحقد والانقسام، وأن ما يتفوه به حصيلةُ ما تربّى عليه لدى أديار عاش فيها ونشأ، وأن حقده على تركيا لأنها استاءت من تصرفاته فراقبتْه وأدركت نواياه.[٣٦] ويضيف بأنْ لا حل كما يرتإي عازوري: وضع القدس بتصرف البابا ونزْع المسلمين من تركيا بعد لَيْتَنَتِهم، فحلُّ المسألة بنظره: ترْك الشرق للشرقيين تحت السيطرة العثمانية، ويضيف بالتأكيد على أن المسيحيين لا يريدون حماية ممن قام سابقًا بتعذيبهم[٣٧].

يورد فريد كساب في كتابه/الردّ أن الشرق مكون ومميز بمسلميه، وأن عدد المسيحيين يتناقص بالهجرات، وأن الشرقيين المحليين من هؤلاء لن يكونوا سوى غرباء[٣٨] وأن قبول هؤلاء المسيحيين بكل جديد واختراع أجنبي، أكان سيئًا أو صالحًا، سيساهم باقتلاعهم من أوطانهم وإبعادهم عن مواطنيهم.[٣٩] وينتقد تركيز عازوري ضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، واصفًا المهاجرين اليهود بعائلات فقيرة تعرضت للاضطهاد في روسيا وبولونيا ولا يريد عازوري الإشارة إليها، وهي بمجيئها إلى فلسطين تتجذر من جديد بأصولها الشرقية ما يثير غيرة عازوري. ويصف عازوري بالصارخ طالبًا النجدة عندما يرى عائلاتٍ تعشق هذه النواحي التي كانت وطنًا لها وتنشئ لها مستوطنات وتحوّل الأراضي غير الصالحة إلى مزارع وقرى وتنشئ المدارس.[٤٠] ويصف كساب هؤلاء القادمين بعُزّل مسالمين بشعور صالح، وهم مواطنون عثمانيون، لذا يصف عازوري بالحقود المنافق الكاثوليكي المتعصب اليسوعي عدو الفقراء والضعفاء، وما زال يحمّل اليهود وزر صلب المسيح ماضيًا و حاضرًا ومستقبلاً وأنهم مستحقون نار جهنم.[٤١] ويجاهر كساب: «لماذا يصرخ عازوري وهؤلاء (اليهود) لم يأخذوا منه أراضيهم التي أقاموا فيها، ولا من الدوائر البابوية ولا من المسيحيين ولا من القوى التي يصرخ عازوري طالبًا منها النجدة، أخذوا أراضيهم من حكومة الباب العالي التي يخضع الشرق لسلطتها. ويُطَمْئِنُ عازوري إلى روح التسامح لدى اليهود مفترضًا أنّهم غير معنيّين بالاستيلاء على مقدّسات للمسيحيّين لا تهمهم ولا يريدون إنشاء كيان خاص بهم بل يريدون

٣٦) Op. Cit. p 28

٣٧) Op. Cit. p 29–30

٣٨) Op. Cit. p 33

٣٩) Op. Cit. p 37

٤٠) Op. Cit. 38

٤١) Op. Cit. p 39

الذوبان روحيًّا مع السكان المقيمين بغية تشكيل أمّة واحدة.[٤٢] والمفارقة الكبرى إيراد كسّاب ملاحظات حول عازوري تنعَتُه برؤية اليهود ينشئوون أمبراطوريّة ويعمدون إلى قلب العالم. ويتساءل كساب كيف يمكنهم ذلك وهم حفنة معذّبة ومضطّهدة؟ ويصف عازوري بمتطرّف يحاول أن يكون عربيًّا ووطنيًّا ومتحمّسًا لكونه ضدّ اليهود anti-juif، وأنه ضدّ السّاميّة ناسيًا أنّ العرب واليهود يتحدّرون من عرقٍ واحد.[٤٣] وهكذا طالب فريد كسّاب بالعودة عن إعلان دولة لبنان الكبير، ووقَّع على عريضة بتاريخ ١ أيلول ١٩٢٣ رُفِعَت إلى السلطات الفرنسيّة.[٤٤]

٣. مواقف مُحذّرة

أدركت القوى الصهيونيّة فترتئذٍ خطر قيام دولة عربيّة موحّدة ضد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، فتصدّت لمفكّرين طرحوا تلك الفكرة وعملوا من أجلها، في طليعتهم نجيب عازوري. لذا اعتبرت صحيفة Ha-Shiloah (ناطقة بالعبريّة باسم الحركة الصهيونيّة، (صدرت سنة ١٨٩٦ واستمرّت حتى ١٩٢٧) أن صدور كتاب عازوري «يقظة الأمّة العربيّة» مقلق يشكّل أخطارًا مستقبليّة.[٤٥]

٤. مواقف إسرائيليّة معاصرة

المؤرّخ الإسرائيليّ المعاصر جوناثان شنير Jonathan Shneer (أستاذ للتاريخ في جامعة جورجيا الأميركية) في كتابه «وعد بلفور، أصل الصراع العربي الإسرائيلي» The Balfour origin of the Arab-Israeli conclict declaration. The

أشار إلى أهميّة كتاب عازوري «يقظة الأمّة العربيّة» معتبرًا إياه استبق الأحداث الّتي تلت وعد بلفور، قبل ١٢ سنة من صدور «الوعد»[٤٦]. وفي دراسة لإيتامار رابينوفيتش (موقع Tablet Midle East) في ١٥ أيلول

٤٢) Op. Cit. 40

٤٣) Op. Cit. 42

٤٤) Op. Cit. 44–45

٤٥) Correspondance d orient, 16 eme année,N 310, Octobre 1923, p 612
وهي جريدة نصف شهرية مديرها: شكري غانم وجورج سمنة وقد صدرت سنة ١٩٠٨ واستمرت الى سنة ١٩٤٥ مع توقف لسنوات ١٩١٥ و١٩٤١—١٩٤٤.

٤٦) Le Nationalisme arabe..., p 127

٢٠١٠[٤٧] إشارة لافتة: «سنة ١٩٠٥ نشر نجيب عازوري – مفكّر مسيحي لبناني وسياسي ناشط – كتابًا رؤيويًّا Le Réveil de la Nation Arabe dans l´Asie turque». وهو اعتبره رؤيويًّا وفق «ظاهرتين هامتين متشابهتَي الطبيعة متعارضتَين لم تجذبا انتباه أحد بعد، تتضحان حاليًّا في تركيا الآسيوية: يقظة الأمة العربية، وجهْد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة على نطاق واسع. مصير هاتين الحركتين أن تصطرعا باستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأخرى، وعلى نتيجة هذا الصراع بين شعبين لهما مبدآن متضاربان يتعلق مصير العالم بأجمعه». أهمية هذه الإشارة أنها صدرت عن رابينوفيتش الذي كان في التسعينات سفير إسرائيل في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وبين ١٩٩٣ و١٩٩٦ كبير المفاوضين مع سوريا، وترأّس جامعة تل أبيب، وكان أستاذًا في جامعة نيويورك، ويحمل الدكتوراه في التاريخ وأستاذ التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، ومدير «مركز موشيه دايان لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا».


إيتامار رابينوفيتش

خاتمة

من يقرأ كتابات نجيب عازوري في مطلع القرن العشرين يدرك كم كان هذا المثقف اللبناني رؤيوي الأفكار، سبّاقًا في طرحه الوحدة العربية وفْق خارطة طريق واضحة المعالم، ووفْق طروحات فكرية كانت سائدة في تلك الحقبة التاريخية، مستشرفًا خطط الصهيونية للسيطرة على فلسطين، مدركًا خطرها الكبير على مستقبل الوحدة العربية.

٤٧) Shneer, Jonatha: The Balfour declaration, The origin of the Arabe-Israeli conflict, Random House, Trade Paperback, New York. 2010, p 22

سكّة الحديد في لبنان: غُرُوبٌ ينتظر عودة الشُرُوق

د. كريستيان الخوري

سنة ١٩٤٤ صدر كتاب المدير العام لسكة الحديد الشام – حلب وتمديداتها إلُوتير أَلِفْترِيادِس «خطوط سكة الحديد في سوريا ولبنان – دراسة تاريخية ومالية واقتصادية»[١]. وحيال دراسات تناولت تاريخ سكة الحديد في لبنان وسوريا، اعتُبر الكتاب مرجعًا أَساسيًّا بمعلوماته الدقيقة حول نشأة خطوط سكك الحديد وتطورها في البلدين.

ذات فكرة... ذات فرنسيّ متقاعد

أعاد الكاتبُ بدءَ التفكير بإنشاء خط سكة حديد دمشق–حلب وتمديداتها إلى سنة ١٨٥٦ عندما الضابط الفرنسي البحري المتقاعد الكونت إدمون دو بِيرْتْوِي Edmond de Perthuis (١٨٢٢–١٩٠٤) قدَّم طلبًا إلى السلطات العثمانية للحصول على امتياز يمتدّ ٥٠ عامًا يتيح له المباشرة بتعبيد طريق للعربات يصل مرفأ بيروت بمدينة دمشق ثم باستثمارها[٢]. فترتئذٍ كان الطريق بين بيروت (سكانها نحو ٦٠٠٠٠ نسمة) ودمشق (سكانها نحو ١٥٠٠٠٠ نسمة) مسارًا وعرًا يقطعه القاصد طيلة أربعة أيام بين المدينتين، عدا غارات وتعدّيات لقطّاع الطرق.

في ٢٠ تموز ١٨٥٦ نال الكونت دو بيرتوي الفرمان من السلطان، فأسس شركة عثمانية برأسمال ٣ ملايين فرنك، وحصل على الرخص اللازمة وبدأ العمل في في ٣ كانون الثاني ١٨٥٩.



كتاب تقاعُد أحد عمّال سكة الحديد

١) Elenthère, Elleftériadès: Les chemins de fer en Syrie et au Liban: étude historique, financière et économique, Beyrouth 1944

٢) Ibid, p 37.



محطة بيروت الرئيسة

بدءًا من فرن الشباك

في ١٦ تشرين الأول بدأ نقل الركاب بين بيروت ومنطقة الصنوبر في فرن الشباك. في ١٨ أيلول ١٨٦١ تم افتتاح طريق بيروت – زحلة. وفي أول كانون الثاني ١٨٦٣ تمت أول عملية لنقل البضائع بين بيروت ودمشق، على مسافة ١١١ كلم أمكن عبورها بـ١٣ ساعة.[٣]

شقُّ هذا الطريق حرّك تطورًا كبيرًا للحركة التجارية، وساهم بتفوق مرفإِ بيروت على مرافىء حيفا وصيدا وطرابلس. وإذ بلغت قدرة الطريق على النقل حدّها الأقصى، بدأ العمل على إنشاء خط سكة حديد دمشق – حيفا[٤]، ما هدّد بنقل النشاط التجاري من بيروت إلى حيفا، ودفع الشركة مستثمرة الطريق إلى تحويلها طريقًا للسكة الحديدية .[٥]



كامل منظر محطة بيروت الرئيسة (١٨٩٥)

٣) Ibid, p 40.

٤) منصور، جوني، الخط الحديدي الحجازي تاريخ وتطور قطار درعا-حيفا، مؤسسات الدراسات المقدسية، ٢٠٠٨، ص ٧٢

٥) REVUE GÉNÉRALE DES CHEMINS DE FER, mémoires et documens concernant l établissement, la construction et L exploitation technique et commerciale des voies ferries, Vve Ch. Dunod et P. Vlcf, Editeurs, Paris, 19eme Années, 1er semester, Juin 1896, p 342.

مبنى المسافرين في محطة بيروت ١٨٩٥

أجريت الدراسات واختيرت دراسة مدير الإنشاءات في الشركة: إنشاء خط بطول ١٤٧ كلم، وسكّة بعرض ١,٠٥ م وبتكلفة ١٤ مليون فرنك، ونال الإذنَ التاجرُ البيروتي حسَان بيهم. وكان التاجر البعلبكي جوزف مطران نال سنة ١٨٨٨ امتيازَين: تطوير مرفإٍ بيروت وإنشاء خط سكة حديديّة يربط دمشق بمزيريب (في حوران – ١٠٣ كلم جنوبيّ دمشق)، وتمّ الحصول على رخصة لإنشاء شركة لتحقيق هذه المشاريع. وإذ كانت الشركتان تواجهان منافسة شركة إنكليزية تسعى إلى إنشاء خط سكة دمشق–حيفا، ولتحقيق الطاقة القصوى إسراعًا في التنفيذ تمّ دمجُ الشركتين والحصولُ على الفرمان العثماني بالموافقة على إنشاء «شركة الخطوط الحديدية العثمانية بيروت – دمشق – حوران»، وباشرت الشركة عملها في ٤ كانون الثاني ١٨٩٢.[٦]

رياق منتصف المسافة

وضع اخر سكة في الخط (دمشق - ٢٥ حزيران ١٨٩٥)

جرى افتتاح خط دمشق – مزيريب (١٠٣ كلم) في ١٨ تموز ١٨٩٤، واستمرت أعمال خط بيروت – دمشق ثلاث سنوات وكان افتتاحه في ٣ آب ١٨٩٥، وسُجِّل قطع المسافة (١٤٧ كلم) بتِسْع ساعات، مع الصعوبة القاهرة بصعود القطار إلى ارتفاع ١٤٨٧ مترا (ضهر البيدر) وبإنشاء أربعة ٤ أنفاقٍ يبلغ أطْوَلها ٣٥٠ مترًا.

سنة ١٨٩٣ حصل البعلبكي حبيب مطران على الامتياز بإنشاء خط حديدي يربط دمشق بحمص وحماه وحلب وبيردجيك (على الفرات) وتمّ

٦) كرد علي، محمد، كتاب خطط الشام، الجزء الخامس، مطبعة الترقي، دمشق، سوريا، ١٩٢٧، ص ١٧٨


وصول ملك العراق فيصل الى محطة رياق

نقل الامتياز لصالح الشركة لقاء ٢٧٣٤٠٠٠ فرنك، وزِيدَ رأسمال الشركة إلى ١٥ مليون فرنك وسُمّيَت «الشركة العثمانية للسكك الحديدية في بيروت – دمشق – حوران وبيردجك على الفرات».[٧]

خط جديد

اختارت الشركة ريَّاق (نصف المسافة بين بيروت ودمشق) نقطةَ انطلاق الخط الجديد، فاعترضت السلطات العسكرية التركية لدواعٍ ستراتيجية وتأخر العمل بالمشروع حتى تمّ الاتفاق على رياق إنما ألاّ تبدأ الأعمال قبل الأول من كانون الأول ١٨٩٧ (إعطاء الأسبقية لشركة ألمانية بإنشاء خط بغداد)، وهذا رتّب مصاعب مالية كبيرة على الشركة فرضخت لشروط البنك العثماني بالحصول على القرض المالي لمتابعة الأعمال إنما بنقل مقر الشركة من بيروت إلى اسطنبول، وإنشاء شركة جديدة باسم «الشركة العثمانية لسكة حديد دمشق – حماة وتمديداتها».


محطة سكة الحديد في رياق عام ١٩٠٠

سنة ١٩٠١، نتيجة صعوبة إعادة نقل البضائع وتخزينها من المرفإ إلى محطة القطارات في بيروت أو بالعكس، اتفقت الشركة مع الإدارة العامة للمرفإ والمستودعات والأرصفة على إنشاء واستثمار خط حديدي بين المحطة والمرفإ تم إنشاؤُه وافتُتح في ١ آذار ١٩٠٣ .

سنة ١٩٠٩ طلبت الدولة العثمانية من الشركة إنشاء خط متفرع (حمص – طرابلس) وربط خط رياق – حلب بالبحر كي تربط السلطات خط بغداد بالبحر في طرابلس. وهكذا جرى سنة ١٩١١ الاستثمار الفعلي[٨]. كان الخط من ١٠٢ كلم من دون أنفاق إنما بثلاثة جسور طول كل منها ٣٠ مترًا،

٧) Elenthère, Eleftériades : Les chemins ... p 52

٨) Ibid, p 66.

وجسرين كل منهما بطول ٢٠ مترًا. وفي ٢٣ آب ١٩١٣ منح وزير المالية العثماني امتيازًا للشركة بإنشاء خط رياق – الرملة (فلسطين) وإنشاء خط حمص – دير الزور.



محطة رياق اليوم... الشجر نبَتَ في المقطورة الصدئة عوض الركاب

ازدهار قصفَتْهُ الحرب

قبيل الحرب العالمية الأولى ازدهرت الشركة وسجلت أرقامها في النصف الأول من ١٩١٤ زيادة عمّا كان في النصف الأول من ١٩١٣ كما يلي: خط بيروت – دمشق – مزيريب ٢٤٨٥٢٣ فرنكًا، خط رياق – حلب ٨١٩٥٤٣ فرنكًا، خط حمص – طرابلس ٢٨٠٠٥٦ فرنكًا. سوى أن ذاك الازدهار خَبَا مع اندلاع الحرب العالمية الأُولى فتوقفت الشركة منذ ٢ آب ١٩١٤ عن دفع التزاماتها.

وفي ١٥ آب بدأت تظهر الاستعدادات العسكرية التركية في طرابلس ودمشق وحلب، وإزاء اعتراض الشركة بدأت السلطات العسكرية التركية أعمالها لربط محطة دمشق بخط حديد الحجاز.[٩]



مقبرة القطار في طرابلس اليوم

٩) كرد علي، محمد، كتاب خطط الشام، ص ١٩٥

في ٣ تشرين الثاني صادرت السلطات التركية خطوط الشركة ومعداتها وعمالها تحت سلطة القيادة العسكرية التركية تعاوُنًا مع إدارة خط حديد الحجاز، وصادرت أموال الشركة في البنك (١١٣٦٤٧٦ فرنكًا).[١٠]



محطة بعبدا ١٨٩٥



محطة بعبدا ١٩٤٤، وفي الخلفية سراي المتصرفية

«طوروس إِكْسْبْرِس»

لدى انتهاء الحرب وضعت الشركة خدماتها في تصرف القوات الحليفة، بإمرة الجيش البريطاني عاودت العمل متجاوزةً أضرارًا فادحة بالمعدّات والخطوط فلم تُعِد العمل إلاّ في خط بيروت – دمشق – حلب.

في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٩ منحت السلطات الفرنسية شركة خط حديد دمشق – حماة وتمديداتها حقَّ استثمار خطوطها مع أجزاء خط بغداد المارّ في سوريا. وظل القرار ساريًا حتى ٣٠ حزيران ١٩٢٢ حين وُضعت شروط جديدة للاستثمار، وتمَّ في ١١ أيلول ١٩٢٥ التوقيع على تفاهم جديد لإدارة العمل بين الشركة وحاكم لبنان الكبير.

خلال الانتداب الفرنسي جرى تطوير الخطوط واستخدام قطارات حديثة، وسنة ١٩٣٠ أُطلِقَ قطار «طوروس إكسبرس» الفخم الذي حقق رحلة لندن – القاهرة في سبعة أيام. وكان ينقل الركاب من رِياق إلى بيروت ودمشق ثلاث مرات في الأسبوع،



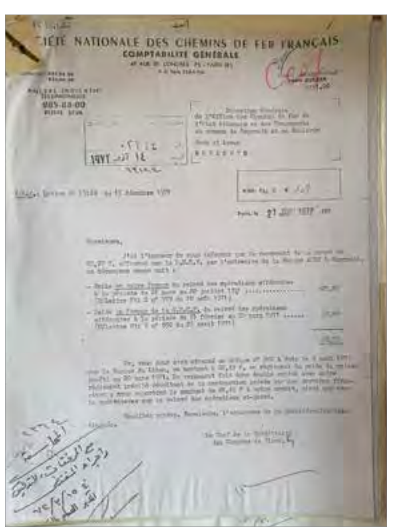
غلاف كتاب Les chemins de fer

١٠) Elenthère, Eleftériades : Les chemins ... p 81

ومرتين من حلب وطرابلس. وشكّلَ بلوغ القاهرة عائقًا أمام الشركة فلم تنجح بإنشاء خط يصل طرابلس بحيفا.

الدولة اللبنانية تسترد سكة الحديد

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية اتُّفِقَ على استخدام الخطوط للأغراض العسكرية، فنفذت القوات العسكرية البريطانية والأسترالية خط طرابلس – بيروت – الناقورة لنقل جيوشها من الشمال إلى الجنوب والعكس[١١]، وتأسس خط طرابلس – حيفا رابطًا أوروبا بأفريقيا، عمِلَ ست سنوات حتى ١٩٤٨ عند اندلاع الحرب العربية – الإسرائيلية.


IÉTÉ NATIONALE DES CHEMINS DE FER FRANÇAIS
COMPTABILITÉ GÉNÉRALE

كتاب من مصلحة سكة حديد فرنسا بمبالغ لصالح سكة حديد لبنان

في ٦ حزيران ١٩٥٦ استردت الدولة اللبنانية الخطوط والتمديدات وأدارتها باسم «سكك الحديد اللبنانية». وفي ١٤ نيسان ١٩٦١، أنشئت «مصلحة سكك حديد الدولة اللبنانية والنقل المشترك لبيروت وضواحيها»، ثم عّدل اسمها إلى «مصلحة السكك الحديد والنقل المشترك» لاستثمار الخطوط الحديدية بمجلس إدارة على رأسه مدير عام وفيه مفوض عن الحكومة. وتخضع المصلحة لوصاية وزارة الأشغال العامة والنقل ولرقابة مجلس الخدمة المدنية ووزارة المال.

دولة لم تطوّر قطاعها

حركةُ السيارات والشاحنات أَثَّرت على سير القطارات، ولم تضع الدولة اللبنانية خططًا لتطوير هذا القطاع فيُواكب التطورات العالمية، وأوقفت التوظيف في المصلحة سنة ١٩٦٤ ما قلّص تباعًا أعداد الموظفين.

مع اندلاع الحرب سنة ١٩٧٥ توقفت القطارات عن نقل الركاب واستمرت عملية نقل البضائع بشكل متقطع وفق جولات القتال. وسيّرَت

١١) Elenthère, Eleftériades : Les chemins ... p 84

المصلحة قطارات على الخط الجنوبي لنقل الفيول إلى معامل الكهرباء، ما أمَّن الكهرباء في لبنان طيلة. لكن جولات القتال أضرَّت بالإنشاءات والتجهيزات والمباني والآليات والمعدات، وتمّت تعديات على الأَملاك العامة التابعة للمصلحة.

في كانون ١٩٨٣ توقف نقل المحروقات بسبب العدوان الاسرائيلي على خط السكة. وكانت المصلحة طلبت عامئذٍ من شركة سفريراي الفرنسية وضْع دراسة تأهيل خط بيروت – صيدا لنقل الركاب، فتَمّ شراء ستة قطارات ألمانية مستعملة، وتمَّ تلزيم تأهيل الخط لكنَّ الاجتياح الاسرائيلي أوقف الأعمال.

بيروت–البترون– جونيه–جبيل

سنة ١٩٨٥ قررت الحكومة المباشرة بنقل الركاب قطارًا بين بيروت والبترون، لكن جولات جديدة القتال عرقلت المشروع، فبقي تسيير القطار لنقل الفيول من الدورة إلى معمل الذوق الحراري.

سنة ١٩٨٩ توقف القطار نهائيًا حتى ١ تشرين الاول ١٩٩١ عند قرار الحكومة تسيير «قطار السلام» بين الدورة وجونيه وجبيل، وانطلق الخط في ٧ تشرين الاول ١٩٩١ بين الدورة وجبيل، واستقلَّه خلال ٤٩ يومًا ١٤٧٢٧ راكبًا. وعن إحصاءات المصلحة أن ذاك القطار حقق ٤٠١ رحلة خلال تشرين الأول وتشرين الثاني، وأثبتت التجربة نجاحها رغم عوائق واجهت مصلحة السكك بسبب التعديات على طول الخط وحال السكة



محطة قطار جبيل ١٩٤٥



نفق المديرج

وقطارات احتاجت إصلاحات وتحسينات. وكان أن توقف القطار عن نقل الركاب لحاجته إلى الصيانة وتجديد العربات والمعدات، لكنه استمر ينقل البضائع حتى ١٩٩٤.[١٢]

مصدر اقتصادي ضائع

في لحظات تاريخية من أواخر القرن التاسع عشر نجح اللبنانيون في وضع مدنهم على لائحة المراكز التجارية المحورية بفضل متنوِّرين من تجار بيروت وطرابلس أدركوا أنّ وصول القطارات إلى مدنهم يشاركها بحركة التجارة في شرق المتوسط، فاندفعوا يَنْشُدون تأييد القوى الأُوروبية لمطالبهم وبذلوا أموالاً طائلة لدى السلطات العثمانية لنيل فرمانات الامتياز. واستمرت خطوط القطار مصدر دخل اقتصادي وساهمت في ازدياد الحركة التجارية بين المدن والبلدات التي مرّت فيها، وكانت مصدر عيش لعدد كبير من عائلات العاملين في هذا القطاع وهم بنشاطهم اليومي المميز يستحقون دراسة خاصة عن واقعهم التاريخي اقتصاديًّا واجتماعيًّا.

وحاليًّا تتعدّد دراسات علمية تؤكد أهمية سكك الحديد في الاقتصاد الوطني، منها دراسات حديثة تتناول إعادة إحياء هذا القطاع في لبنان لما فيه من خير من الناحية الاقتصادية. لعل عودة «قطار السلام» يبشِّر بعودة السلام إلى وطن الأرز.

١٢) عقيقي، فيفيان، جريدة «الأخبار»، بيروت، ٣٠ أيلول ٢٠١٧، ص ١٢.

تراثُنا النسوي

د. ليندا رزق

المرأة اللبنانية اجتماعيًّا وإعلاميًّا
مطلعَ القرن العشرين

المرأة اللبنانية اجتماعيًا وإعلاميًا مطلعَ القرن العشرين

د. ليندا رزق

يهدف هذا البحث إلى استكشاف دور المرأة اللبنانية في نشر المعرفة، والقيام بأنشطة ثقافيّة وعلميّة واجتماعية لنصرة المرأة ومساعدتها على إبراز شخصيّتها أمًّا وزوجةً وشابةً، وإنشاء جمعيات نسائيّة ضمَّت مجموعة مثقفات ومتعلّمات قدّمنَ مساعدات للأطفال والنساء ودعمنَ المدارس، وساعدن تلميذات متفوّقات على إكمال دراساتهنّ في المعاهد وإثبات قدراتهن على التطوّر والنموّ، وإظهار المرأة اللبنانيّة عنصرًا اجتماعيًّا فعّالاً لا شخصًا رديفًا يخضع لسلطة الرجل.

Abstract

This research aims to explore the role of Lebanese women in spreading knowledge, and carrying out cultural, scientific, and social activities in order to support women and help them highlight their personality as a mother, a wife and a young woman, aiming to establish women's associations that included a group of intellectuals and educated women who provided assistance to children and women as well as supported schools. They helped a number of outstanding female students to complete their studies in educational institutes, in order to prove their abilities to develop and grow, and to show the Lebanese woman as an effective social element, and not as a subordinate person subject to the authority of men.

الكلمات المفاتيح:

امرأة لبنانيّة – جمعيّة نسائيّة – مجلّة – مجتمع لبناني – نشاط اجتماعي – نشاط إعلاميّ – مجلة إعلاميّة.

مدخل

المرأة عنصر بشريّ ذو طاقات إنسانيّة قلَّ أن نجدها في رجل، لا بالقوّة البدنيّة ولا القوّة العملانيّة، بل بطاقة عاطفيّة تمثّلها الأمومة. فالأمّ كيان عاطفيّ ذو طاقة إنسانيّة هائلة. والمرأة تؤدّي واجبها الحياتيّ توازيًا مع الرجل في تحمّل مسؤوليات ومهام عدة في الحياة وتقلّباتها المتعدّدة. ولها خصوصًا قدرتها التوجيهيّة في تربية الأطفال وتنشئتهم على مبادئ الحياة الاجتماعية والعادات السليمة، وتعزيز طاقاتهم، وزيادة وعيهم في الأمور الدينية والفكرية والسياسية والثقافية التي ترسخ القيم والسلوكيات الصحيحة. من هنا أنها ما خُلِقت فقط لتؤدّي دور الأمومة والاعتناء بالأسرة.[١]



تظاهرة نسائية كبرى في بيروت (١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣) مطالِبَةً باستقلال لبنان (وهو ما تحقق بعد ١٠ أيام من تلك التظاهرة)

حضور المرأة الفاعل في المجتمع

المرأة عمومًا واللبنانيّة خصوصًا، حين يفتح لها مجال العمل، تسجل نجاحًا ساطعًا بقدرتها على العمل الاجتماعيّ والسياسيّ والتربويّ والاقتصاديّ[٢]. فهي، منذ مطلع النهضة العربيّة الحديثة، كانت ولا تزال متكيّفة مع أجواء التعلّم والتثقّف والاهتمام بمناحي الأوضاع الاجتماعية،

---

١) ابتهاج محمد (٢٠١٠)، مساهمة المرأة الفلسطينية في التنمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية (نابلس): جامعة النجاح الوطنية، ص ٩.

٢) عن قاسم أمين في كتابه حول المرأة الجديدة: «المرأة بطبيعتها مساويةٌ الرجلَ في العقل، وهذا أثبته العلم الحديث». وعرض قاسم أمين آراء العلماء المحدثين في هذا الشأن، والعلم الحديث يقر باختلافات تشريحية وفيزيولوجية بين الرجل والمرأة. إلا أنّ هذه الاختلافات لا تعني أن الرجل أفضل وأرقى من المرأة إنما هي اختلافات أوجدها الله نظراً لاختلاف دور كل من الرجل والمرأة في الحياة.

اهتمامًا بأسرتها، أو بالنشاطات الثقافية والإنسانية المتنوّعة. كان لها متنفَّسٌ ضئيل إبّان الحكم العثماني، وخصوصًا أيام متصرفيّة جبل لبنان، لكنّه لم يكن على مستوى أحلامها وتطلّعاتها الفكريّة والثقافيّة والتربويّة.

وعلى الرغم من هيمنة رجال الحكم السلطويّ على المجتمع اللبناني، استطاعت المرأة أن تجد لها متنفّسًا انتقلت منه لإثبات ذاتها، والتعبير عن قدراتها الفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة، وأثبتت قدرتها على تأدية أدوارها البنّاءة في الحياة الوطنيّة توازيًا مع الرجل: حرّكت الأعمال الاجتماعية والمدنية، تولّت المسؤوليات بجدارة بلا تهرّب أو تقاعس، ونجحت غالبًا في توفير الدعم الاجتماعي والإنساني لعناصر عدة في المجتمع اللبناني والعربيّ، وخدمت المجتمع وبرزت في المجال الثقافيّ والتربويّ في مطلع النهضة اللبنانيّة الحديثة، وشجعت الأنشطة الاجتماعية والفكرية في لبنان، على محورين أساسيين بصورة لائقة: العمل الاجتماعي والعمل الصحافيّ.

أولاً – حضور المرأة اللبنانية اجتماعيًا

منذ اندحار الحكم العثمانيّ عن الشرق الأوسط وبخاصّة عن لبنان ودخول الفرنسيين إليه، تبدلت الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فيه، فبات واقعًا تحت سيطرة الانتداب الفرنسيّ. وبدأت أحوال المجتمعات اللبنانيّة في المناطق تتبدّل تدريجيًّا، وانتقلت من حال كانت فيه خاضعة لقوانين عثمانية قيّدت الحريات إلى أوضاع مختلفة فتنفّس اللبنانيون هواء الحريّة، ووجدت المرأة اللبنانية متنفّسًا لتنطلق وتعبّر عن آرائها بطريقةٍ حرّةٍ لم تكن متوفّرة لها تحت سلطة العثمانيين الذين كانوا يقيّدون حريّة النساء داخل المجتمع العربيّ عمومًا. لكن المرأة



حضور المرأة القوي في مختلف قطاعات المجتمع (هنا مشغل خاص بالخيَاطة)

لم تضعف أمام هول مصائب ضربت اللبنانييّن نتيجة الحروب وتفشّي المجاعة وتدهور الأوضاع الاقتصاديّة، بل كانت سبّاقة للاعتناء بكلّ ما يسهّل أمر أولادها وأسرتها ومجتمعها.

التطوير الاجتماعي

هنا دور المرأة الكبير في تطوير الحياة الاجتماعيّة، بتطوير وضعيّة أسرتها والسّهر على راحتها. فالأسرة الصغيرة نواة الأسرة الكبيرة: المجتمع البشريّ الذي تنتمي الأسرة إليه. فالمرأة توزّع الأدوار الاجتماعيّة لأنّ تربية أولادها تترك بصماتها على شخصيّاتهم فيلعبون في المستقبل الأدوار المهمة في تحسين وتطوير مجتمعهم حيث ينتمون، نحو الأحسن أو نحو الأسوأ وفق تربية نشأوا عليها[٣]. لذا يتطلّب دور المرأة في المجتمع الحديث ثقةً بالنفس، سموًّا في الطموح والأفكار، ومبادرة ومواظبة ورغبة في العمل والإنجاز والإبداع. المرأة هي الأم والقائدة القادرة على تربية شبان المجتمع وشاباته تربيةً طيبة، وهي الأكثر تأثيرًا فيهم وإسهامًا في نجاحاتهم. هنا لها الدور الإنساني الأكثر تأثيرًا في المجتمع[٤]. وعن الكاتبة لبيبة الهاشم أنّ نساء قد لا يحسِنَّ سياسة الصّغار لجهلهنّ قواعد التربيّة فيشبّ أولادُهنّ على التمرّد والعصيان. واتصل الأمر ببعضهم أن يعصى والدته ويهينها لكنها تبسم له استحسانًا[٥].

الخدمات الاجتماعية

أدّت المرأة اللبنانية قسطًا كبيرًا في الخدمات الاجتماعيّة، وإن كانت أغلب النساء تتستّر داخل منازلها وتنأى عن دخول معترك الحياة الاجتماعيّة، لكن من النساء اللبنانيات من خرقت الخوف وانخرطت في الأنشطة الاجتماعيّة، وأدّت واجباتها إزاء لبنانيين كثيرين كانوا يعانون الأزمات الاقتصادية المتلاحقة انطلاقًا من الحكم العثماني، مرورًا بحكم

---

٣) «الأمّ الراقية تعرف واجبات الأمومة وتربّي أولادها بدون مشقّة كبيرة مهما كانوا كِثاراً، وتقوم بأشغال أخرى عدة كالأعمال المنزليّة والدرس والمطالعة وغيرها من الأعمال المفيدة، تساعدها على ذلك رابطة الألفة وعوامل الحبّ الطبيعيّ بينها وبين أولادها. فإذا عرفت كيف تستعمل تلك العواطف في سبيل فائدتهم، خضعوا لها وكانت ثقتهم بها غير محدودة» (لبيبة الهاشم، «كتاب في التربية»، مطبعة المعارف، مصر،١٩١١، ص ٢٠).

٤) هيفاء البشير (٢٠١٢)، «دور المرأة الأردنية في تنمية المجتمع: ملامح ورؤى تاريخية»، الأردن: دار البيروني للنشر والتوزيع، ص ٧٣.

٥) لبيبة الهاشم (١٩١١)، «كتاب في التربية»، مطبعة المعارف، مصر، ص ١٨.

متصرفية جبل لبنان، وصولاً إلى الانتداب الفرنسي. فكيف برزت هؤلاء النساء، واستطعنَ أن يخضنَ غمار المعركة الاجتماعيّة في لبنان؟





ميرنا بستاني أول امرأة لبنانية تدخل المجلس النيابي في مقعد والدها إميل البستاني إثْر وفاته غرقًا في حادثة الطائرة التي سقطت في البحر

الرائدات اللبنانيات

مع بداية عهد الانتداب ظهرَت في لبنان نشاطات ومؤتمرات نسائيّة ارتبط ذكرها بأسماء رائدات طليعيات في الحركة النسائيّة اللبنانيّة. وشهد المجتمع اللبنانيّ ولادة جمعيّات نسائيّة تميّزت بأهدافها الخيريّة والاجتماعيّة، منها «الاتحاد النسائيّ في سوريا ولبنان» وهو ضمّ رائدات أمثال لبيبة ثابت، سلمى الصايغ، ابتهاج قدورة، إفلين بسترس وغيرهنّ ممن كنّ يهتممن بالحياة الاجتماعيّة يومذاك. وحينما نال لبنان استقلاله تعزّز حضور المرأة اللبنانيّة تدريجيًا، وبخاصّة في عالم الصحافة والأدب والتعليم. وزادت مشاركتها في المؤتمرات النسائيّة العربيّة والدوليّة. وكانت مقولات الغرب التحرّرية في صلب مؤسّسات الدولة الحديثة النشأة في لبنان. ونصّ الدستور على المساواة التامّة بين اللبنانيّين في الحقوق والواجبات، بمعزل عن الجنس أو القوميّة أو الانتماء الطائفي، فنشطت الحركة النسائيّة لوضع تلك الموادّ الدستوريّة موضع التطبيق العمليّ وإن بدون نجاحٍ كبير[٦].

لقاءات وتجمعات

اجتماعيًّا كانت المرأة اللبنانية متحمّسة إلى جمع النساء في لقاءات تجمّعيّة مع صديقات وعاملات في مدينة بيروت لإنشاء تجمّع نسائيّ يبحث شؤون المرأة والمطالبة بحريتها بعدما لم تكن تستطيع أن تعبّر عن آرائها أو مطامحها خوفًا من سلطة الرجل. هكذا نشأ أول تجمّع للنساء عام ١٩١٤ بخمس آنسات[٧] جمعن لاحقًا عددًا من رفيقاتهنّ وأسسنَ الجمعيّة النسائيّة الإسلاميّة «يقظة الفتاة العربيّة»، نالت الرخصة الرسمية من والي بيروت، وترأَّستها نجلاء بيهم (زوجة محمد بيهم المعروف بدفاعه عن حقوق المرأة العربيّة). وبدأت تتوالى أسماء السيدات للانضمام إلى

٦) مسعود ضاهر، مسيرة متميّزة لنضالات المرأة اللبنانيّة، في جريدة «اللواء» (https://aliwaa.com.lb)

٧) عُرفَ منهنّ: ابتهاج قدورة، عادلة بيهم، أمينة حمزة. نجلاء بيهم.

هذه الجمعيّة، منهنّ: زليخة قباني، أسما غندور، عنبرة سلام. وتركزت أهداف الجمعيّة على حريّة المرأة والدفاع عن حقوقها والبحث في ترقيتها وتطوير أوضاعها وإيجاد مكان لها في عالم السياسة والاقتصاد.


جاكلين مسابكي أول محامية مسجَّلة في نقابة المحامين – بيروت

من أبرز نشاطات هذه الجمعيّة: إرسال رسائل إلى أعلام لبنانيين وعرب تدعوهم إلى دعم الجمعيّة ماديًّا، لمساعدة الفتيات المتفوّقات على استكمال تعليمهنّ في المدارس والمعاهد العلميّة. لكن نشوب الحرب العالميّة الأول صيف ١٩١٤ أوقف نشاطات الجمعيّة نهائيًّا. لكنّ رئيسة الجمعيّة السيدة نجلاء بيهم لم توقف نشاطها الاجتماعيّ في أثناء الحرب فشكّلت لجانًا من فتيات بيروت لأداء الخدمات للأهالي: لجنة للملاجئ، لجنة للخدمات الاجتماعيّة، لجنة المصنع. باشرت اللجان عملها بتأمين الفرش والثياب وأدوات المطبخ والأكل للأهالي في الملاجئ. وساعدت الحكومة العثمانية هذه الجمعيّة ففتحت بعض المدارس ملاجئ للأهالي، ودعمتهم بالمؤن والأموال اللازمة، وسعت رئيسة اللجان إلى تأمين غرف في بعض المدارس لتعليم الفتيات والسيدات مختلف الأشغال اليدوية وغيرها.


ناديا تويني رائدة في الشعر والحضور الثقافي


مي زيادة رائدة في الأدب والصالونات الأدبية

للفتيات المسْلمات

سنة ١٩١٧ أسست نساء، منهنّ عنبرة سلام وداد محمصاني ووحيدة الخالدي «نادي الفتيات المسلمات» (في منزل بشارة الخوري خلف المدرسة البطريركيّة) لخدمة المجتمع البيروتي بإعداد برامج تربويّة وأدبيّة واجتماعيّة. وأخذ نشاط النادي يتوسّع فأصبح يعيّن المعلمات

المتخصصات لتدريب الفتيات على الموسيقى أو على تعلّم اللغة العربيّة والفرنسيّة، وأقام ندوات علميّة بحضور الأطباء والعلماء، وبحث في مواضيع تهمّ المجتمع اللبناني والعربيّ، واستقبل مسؤولين عربًا وأمراء ورجال سياسة كبار. وسنة ١٩٢٠ بدأت الحركة النسائيّة في بيروت تنمو فبرزت جمعيات نسائيّة جديدة في بيروت والمناطق اللبنانية حتى بلغت نحو ١٠٠ جمعية.

سلمى الصائغ

أنشأت السيدة سلمى الصائغ سنة ١٩٢٥ جمعيّة «النهضة النسائيّة» ترأَّستْها السيدة لبيبة ثابت وسعت أن تكون هذه الجمعيّة منارة لكلّ امرأة لبنانية، تستمد منها قوّتها وحريّتها. وسنة ١٩٢٨ انعقد المؤتمر النسائي الأول في بيروت بدعوة من الاتحاد النسائي، ودعيت إليه مندوبات الجمعيات من لبنان وسوريا. كان هدف المؤتمر لا خدمة قضايا المرأة فحسب بل خدمة قضايا المجتمع ككل، ووضع التوصيات الخاصة بتحسين مستوى أفراد المجتمع وتكريم العربية وتطوير الصناعات الوطنية وقضايا تتعلق بالتربية. بعد انتهاء المؤتمر علّق وفد من النساء برئاسة حياة بيهم صورة الشاعرة وردة اليازجي في دار الكتب الوطنية مع صور كبار الكتَّاب والشعراء والأدباء.

إميلي فارس ابرهيم

إلى هذه الجمعيات وحضورها البارز في المجتمع اللبنانيّ، برزت نساء ذوات حضور مهم في تطوير المجتمع ثقافيًّا وتربويًّا، في طليعتهنّ السيدة إميلي فارس إبراهيم[٨]، التي اهتمت منذ صباها بالحركة النسائية فأصبحت عضوًا فاعلاً في اللجنة التنفيذية للهيئات النسائية في لبنان، وأمينة السر العام لـ «جمعية أهل القلم»، وانتمت إلى «جامعة نساء لبنان»، وشاركت بأعمال اجتماعيّة وخدمات للأهالي وتلاميذ المدارس، وانضمّت إلى «جمعيّة الهيئات النسائيّة». تزوجّت إميلي باكرًا لكنّ زواجها لم يمنعها من أن تمارس حياتها الاجتماعيّة وتتابع نشاطات الجمعيّات وتساعد في تقديم الخدمات، فاكتسبت ثقة زميلاتها في مكافأة مجتمعها بمعرفة كبيرة. لم تَحُلْ انشغالات أسرتها دون تحقيق رسالتها الإنسانيّة، فاستمرت في نشاطها يدعمها زوجها لتحقيق رسالتها وتأكيد حضورها في المجتمع والسياسة والأدب.

---

٨) ولدت في نيويورك عام ١٩١٤. كانت وجهًا بارزًا للحركة الاجتماعية اللبنانية.

مثّلت إميلي لبنان في مؤتمر عموم نساء الهند عام ١٩٤٥، وزارت الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٧، واشتركت في مؤتمر أحوال المرأة الدولية عام ١٩٤٧، وفي مؤتمر أنصار السلم في باريس عام ١٩٤٩. ونظرًا لجرأتها ومزاياها ترشحت للنيابة وفشلت. لها مؤلّفات وترجمات عدة، منها: «كيف يجب أن تطرح قضية المرأة» و«أديباتنا اللبنانيات»، «كيف نثير موضوع المرأة»، «كاتبات لبنانيّات»، «الحركة النسائيّة اللبنانيّة».

نازك العابد بيهم

ومن رائدات العمل النسائيّ في بيروت ودمشق منذ العهد العثماني: السيدة نازك العابد بيهم[٩]. اهتمت بشؤون مجتمعها وعملت لنشر المعرفة والثقافة بين أفراد الوطن اللبنانيّ والعربيّ عمومًا. أسهمت في أعمال إنسانية ورعائية فأسّست «جمعية نور الفيحاء»، وأسست «مجلة نور الفيحاء»، اهتمت بالفتاة العربية فأنشأت مدرسة لإيواء بنات شهداء العرب.

بعد زواجها من الوجيه البيروتي البيروتي العلاَّمة محمد جميل بيهم نشطت لنهضة المرأة البيروتية واللبنانية والعربية فأسّست في بيروت «جمعية نقابة المرأة العاملة» عام ١٩٣٢، ومدرسة وميتمًا ومشغلاً في بيروت لأطفال شهداء فلسطين، فعملت على الاهتمام بتعليمهم وتربيتهم.

رائدة أخرى في خدمة المجتمع: السيّدة لور خلاّط عام ١٩٢١. انتسبت إلى جمعية الصليب الأحمر اللبناني، ثم أسست عام ١٩٢٣ «جمعية حماية الفتاة اللبنانية»، و«جمعية مساعدة المستشفى اللبناني»، وانتسبت إلى جمعية النهضة النسائية، وجامعة نساء لبنان، وأخوات الرحمة، وترأست مؤسّسة الصليب الأحمر اللبنانيّ بين ١٩٣٨–١٩٤٥. ونظرًا لنشاطها المميز في حقوق المرأة السياسيّة، انتُخبت رئيسة لجامعة الهيئات النسائيّة. مثّلت لبنان في المؤتمر النسائيّ الدوليّ في البندقية (وانتُخبت نائبًة لرئيسه) وفي لجنة حقوق المرأة المنبثقة عن جمعيّة الأمم المتحدة في مؤتمرات عُقدت في جنيف ونيويورك وموسكو واسطنبول وأثينا. عُيِّنَت عضوًا في مجلس بلدية بيروت عام ١٩٥٣. تحمل وسام الاستحقاق اللبنانيّ من درجة كومندور، ومدالية المساعدة الفرنسيّة، ووسام الجيش اللبنانيّ.

---

٩) زوجة العلامة محمد جميل بيهم. من مواليد دمشق عام ١٩٠٠، والدها الوجيه الدمشقي مصطفى باشا العابد. تلقت علومها ولغاتها الخمس في مدارس دمشق والموصل وإزمير. عادت من المنفى مع والدها عام ١٩١٨. انضمت إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين والحركة القومية والوطنية، ونالت رتبة ضابط في الجيش العربي الفيصلي.

عادلة الجزائري

السيدة عادلة بيهم الجزائري من مواليد بيروت عام ١٩٠٢. تلقَّت علومها الأولى في مدرسة بروسيا (الألمانية)، واللغة العربية على العلامة الشيخ عبد الله البستاني. أسهمت في نهضة المرأة البيروتية واللبنانية والعربية، وفي تأسيس «جمعية يقظة الفتاة العربية» و«جمعية الأمور الخيرية للفتيات المسلمات» وضمّت إليها مدرسة وناديًا ومصنعًا ومأوى عجزة، بتمويل الأغنياء والدولة اللبنانية. ضمت هذه الجمعية ما يقارب ١٨٠٠ فتاة وسيدة عاملة، اشتغلن في ميادين الغزل والنسيج والحياكة.

في وحدتهنّ نجاحُهنّ

هؤلاء النساء الرائدات اهتممن بشؤون المرأة العربيّة، والمجتمع اللبنانيّ بشكل خاص. كرسنَ حياتهنّ للخدمة العامة والبحث عمّا يسهّل أمور النساء والأطفال في نيل حقوقهم داخل مجتمع عربيّ يقيم وزنًا للرجل قبل المرأة. استطاعت هؤلاء الرائدات أن يقدّمنَ الخدمات لكلّ مقيم على أرض الوطن، ويرفعنَ من شأن المرأة، ويطالبنَ بحقوقها وحريتها من خلال جمعيات نسائيّة تفاعلت مع المجتمع، وتركت بصماتها في الوطن العربيّ عمومًا. من هنا مقولة مي زيادة: «في اتحاد الأندية أرى رمزًا لاتحاد الأمّة. وفي ارتفاع صوت المرأة قرب صوت الرجل أرى دليلاً على تنبّه الكرامة فيها واستعداد الرجل لمساعدتها والاعتراف بحقوقها. وفي اتفاق المحمديّ والعيسويّ على الترحيب بأختٍ سوريّة آتية من بعيد، أرى عنوانًا لمحو فروق المذاهب ومتانة الوحدة القومية»[١٠].

ثانيًا – حضور المرأة اللبنانية إِعلاميًا

برزت المرأة اللبنانيّة مميّزة في عالم الصحافة. سعت بإرادتها وثقة بالنفس إلى أن تؤسّس مجلاّت وصحفًا أعطت لبنان والعالم العربيّ ما يتوق إليه ويتمنّاه، كأن يكون حرًّا، ويعيش بدولة مستقلّة ومتطوّرة. وتناولت تلك المجلاّت مواضيع فكريّة واجتماعيّة وعلميّة وتربويّة، كان لها التأثير الكبير في عقول ونفوس اللبنانيّين والعرب.

الكاتبة إلهام كلاّب البساط، في حوار أجراه معها الشاعر هنري زغيب بمناسبة يوم المرأة العالميّ، أشارت إلى أنّ الصحافة اللبنانيّة النسائيّة

---

١٠) مي زيادة، المؤلفات الكاملة لمي زيادة، جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٠٨

تتالت في الظهور أواخر القرن التاسع عشر، فأصدرت لويز حبالين مجلّة «الفردوس» عام ١٨٩٦، وألكسندرا الخوري مجلّة «أنيس الجليس» عام ١٨٩٨، وأستير أزهري مجلة «العائلة» عام ١٨٩٩، ومريم سعيد مجلتَي «الهوانم» و«الزهرة» عام ١٩٠٢[١١]. واستطاعت المرأة أن تعبّر عن آرائها وتطلّعاتها المستقبليّة بإنشاء صحف ومجلات لتؤكّد على دور النساء في الحفاظ على مجتمع لبنانيّ متطوّر ومتضامن مع حقوق المرأة.



ليلى الزغبي
أول ملكة جمال
في لبنان

جورجينا رزق
أول لبنانية
ملكة جمال الكون
(١٩٧٠)

سلمى أبي راشد

سنة ١٩١١ أطلّت سلمى أبي راشد (١٨٨٧–١٩١٩) من وادي شحرور على المجتمع أول محامية تدافع عن الحق أمام المحاكم اللبنانية، وعملت في المجال الصحافيّ أيضًا فكانت مسؤولة إداريّة لصحيفة «النصير» التي أصدره شقيقها عبُّود سنة ١٩١٠. أثبتت جدارتها في عملها وأصبحت من الرائدات البارزات في العمل الصحافيّ وفي خدمة المجتمع اللبنانيّ. وسنة ١٩١٤ أسّست مجلة «فتاة لبنان» تهتم بالشؤون الأدبيّة والعلميّة والأبحاث عن المرأة، وتنشر ما يدعم النشاط النسائيّ في لبنان والعالم العربيّ، وركّزت على نشر حقّ المرأة في أن تتساوى مع الرجل في العمل والحقوق وجميع المجالات التي عمل بها الرجال منذ القديم. وكانت المجلة تنقل الآراء المؤيّدة لحق المرأة في أن تتساوى مع الرجل في المصنع أو الشركة أو الإدارة وتعمل إلى جانبه. كما أسّست في بلدتها وادي شحرور مدرسة لبناء أجيال ناشئة على حبّ الوطن وحبّ الآخر والتعاون والتضامن بين أفراد المجتمع، فكانت من المربيّات الناجحات في خدمة المجتمع اللبنانيّ تربويًّا وإعلاميًّا وحقوقيًّا[١٢].

---

١١) جاندارك أبي ياغي وريما ضومط، لبنانيات رائدات في الصحافة، مجلة الدفاع الوطنيّ، عدد ٣٣٤، نيسان ٢٠١٣.

١٢) جرجي باز، النسائيّات، كتاب أدبيّ أخلاقيّ اجتماعيّ، منشور في جريدة الحقيقة، ١٩١٩، ص ٦١.

لبيبة الهاشم

سنة ١٩٠٠ أصدرت لبيبة الهاشم[١٣] مجلة «فتاة الشرق» (حتى ١٩٢٩)، تُعنى بشؤون المرأة وتدافع عن حقوقها وتدعو إلى تحريرها من سلطة الرجل. نشرت فيها مقالات تتناول مواضيع تربويّة واجتماعيّة، فكانت مرشدة القرّاء إلى التقيّد بالأخلاق الحسنة والعلم والتفوّق في المجال الإنسانيّ. وساهمت في الإنتاج الأدبيّ فأصدرت روايتها «قلب الرجل» عام ١٩٠٤، وعُدّت إنجازًا أدبيًّا كبيرًا في تطوّر الأدب الروائيّ النسائيّ. وورد في أحد تعليقاتها: «إيماني عميق بأهمية الصحافة لما لها من تأثير كبير في حياة الأمة. فهي المدرسة الثانية في تنبيه الأذهان وتهذيب العقول»[١٤].

عفيفة صعب

سنة ١٩١٩ أسّست عفيفة صعب[١٥] مجلة «**الخدر**» نسائية علمية أدبية، صدر عددها الأول في تموز ١٩١٩، واستمرت حتى ١٩٢٧. كتبت في افتتاحية العدد الاول: «علينا ألاّ نستسلم لحالتنا الحاضرة بما فيها من خمول وفتور، بل ننهض مع طلوع الصبح الجديد في هذه البلاد، صبح الحرية والمعرفة، إلى الاستفادة من هذا النور الباهر وليس هذا بالأمر العسير على كل من أرادت وسعت. فقبل اختراع فن الكتابة كان الأقدمون يعبّرون عن أفكارهم ويدوّنون معارفهم برسم صور مختلفة وأشكال شتى. فكيف بنا اليوم والمطابع كثيرة والمؤلفات والصحف جمّة غزيرة الفائدة والكهرباء بأسلاك وبدونها تربط أقصى العالم بأقصاه وتخبرنا اليوم ما اكتشفه علماء الكون بالأمس. إن الحالة المتقدم شرحها قد شحذت فينا الغيرة الجنسية فكرّسنا وقتنا حبًا بخدمة بنات طائفتنا فأنشأنا مجلتنا هذه». وتختتم عفيفة افتتاحيتها مبيّنة أهداف مجلتها وأسباب تسميتها بـ«الخدر»: «أسميناها «الخدر» لأنها ستكون السلك الموصل بين خدور

١٣) لبيبة هاشم (١٨٨٠–١٩٤٩) أديبة وصحافية. اهتمت بحقوق النساء، وكانت أول من نادت في الشرق الأوسط بإنشاء جمعية نسائية. هاجرت إلى مصر وألقت محاضرات في القسم النسائيّ لدى الجامعة الأهلية المصرية ثمّ سافرت إلى البرازيل سنة ١٩٣٩ حتى وفاتها.

١٤) حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، مؤسسة فراكلين للطباعة و النشر، القاهرة–نيويورك، ١٩٧٢، ص ٨٧

١٥) ولدت في الشويفات سنة ١٩٠٠. والدها قاسم فندي صعب. تلّقت علوم المرحلة الابتدائية في مدرسة الانكليز في بيروت وتخرجت في مدرسة «بروكر» (لاحقًا «مدرسة الشويفات الوطنية») أو مدرسة القسيس طانيوس سعد. أسست كلية الصراط في عاليه سنة ١٩٢٥ مع شقيقتيها فطينة وزباد. وكانت عضواً بارزاً في الجمعيات والهيئات النسائية. نالت وسام الاستحقاق اللبناني برتبة ضابط في العام ١٩٥٨.

ربات الخدور ورسالة تصدر شهريًا من خدر إلى أمثاله، ملتزمين فيها كل ما تسرّهنّ قراءته ويفيدهنّ الاطّلاع على زبدة ما نستطيع جمعه من أقوال أفاضل الكتبة وفاضلات الكاتبات في العلم والتربية وتدبير المنزل. وتنتظر مجلتنا هذه معاضدة ذوي الغيرة من كتبة وكاتبات بأقلامهم وتشجيع ذوات الخدور بإقبالهنّ وعلى اللّه الاتكال[١٦]». وذات يوم أرسل الكاتب بشارة أفندي البستاني كلمة في مجلة «الخدر» جاء فيها: «لم نكن نتوقع أنّ يكون صرير قلم كاتبات «الخدر» يسترعي السمع ويستميل الفكر، ولم يدُر في خلَدنا أن قلمهنّ ينشط من عقاله ويستيقظ من رقاده، وأنه سهم مريش يصمي، وحسام مرهف يفري، يجول في مضمار العلم جولة الأبطال، ويخوض بحار المعارف، يلتقط دررها فيجعلها عقدًا في نحور النساء، وقرطًا في آذان الأديبات، ما يدلُّ على أنّ النساء يجارين الرجال في العلم والأدب ويبارينهم في القول والعمل. فمنهنّ المعلمات والممرضات والطبيبات والكاتبات والتاجرات والمزاولات لكلّ حرفة يزاولها الرجال[١٧].

ألكسندرا الخوري

مطلع السنة ١٨٩٨ أصدرت ألكسندرا قسطنطين الخوري[١٨] (معروفة باسم عائلتها الإيطالية «أفيرينو») مجلّتها «أنيس الجليس» وكتبت في افتتاحية العدد الأول: «لما رأيت أنّ السيدات الفاضلات في هذا القطر تعوزهن مجلة مخصوصة بهنّ، مقصورة على النصح لهنّ وبيان فضلهنّ وأدبهنّ، استخرت اللّه في معاناة هذا العمل الجليل، على ما أعلمه من عجزي عن القيام بعبئه الثقيل، برجاء أن أنفع به مُحبّات المطالعة وربّات الآداب مهما عدا دون ذلك من العوادي الصعاب. وقد سميت مجلتي هذه «أنيس الجليس» إرادة أن يدل عنوانها على ما تتضمنه من الأبحاث المستطرفة واللطائف المستظرفة التي تلذّ الجنان وتبعد الملل عن الأذهان. واللّه أسأل أن يأخذ بيدي ويكون مرشدي وعضدي»[١٩]. ونالت المجلة شهرة واسعة وتوفر لها عدد كبير من القرّاء، ودخلت قصور الأميرات والسلاطين والأعيان في الشرق.

---

١٦) نجيب البعيني، جريدة الحياة، ٢٠٠١/٧/٢٣.

١٧) نجيب البعيني، «الخدر»، مرجع سابق.

١٨) من مواليد بيروت وفيها نشأت ثم انتقلت وأباها إلى الإسكندرية فدرست في مدرسة الراهبات، وتلقت العربية على يد أستاذ خاص.

١٩) مركز المعرفة الرقميّ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، https://ddl.mbrf.ae/book/5139581

من أبرز المجلات التي صدرت أيضًا وتركت بصماتها في المجتمعين اللبنانيّ والعربيّ:

«**العروس**»: مجلة نسائيّة علميّة لصاحبتها ماري عبده عجمي، صدرت سنة ١٩١٠، تضمّنت أخبارًا عن نشاط النساء في المجتمعين اللبنانيّ والسوريّ، إضافة إلى أخبار مضحكة وساخرة. كانت أول مجلة نسائية بالعربية تدخل بلاد الشام، وتجرأت وهاجمت الطغيان والاستبداد وطالبت بإعطاء الحقوق لأصحابها، ودافعت عن المرأة في وقت كانت الأفواه مغلقة.

«**الفجر**»: مجلة نسائية أخلاقية تهذيبية، صاحبتها ورئيسة تحريرها، نجلاء أبي اللمع معلوف[٢٠]. لم تكن للنساء حصرًا لكنها ركزت على مساهمات المرأة وإنجازاتها. استمر إصدارها في بيروت ست سنوات (١٩١٩–١٩٢٤) حتى هجرة أبي اللمع إلى الولايات المتحدة وإصدارها إياها سنةً بالإنكليزيّة والعربيّة. اشتهرت نجلاء بزاويتها الأسبوعيّة المعروفة «أفضل ما قرأت وسمعت»، وفيها كتبت الأديبة سلمى صايغ في كتابها «صور وذكريات»: «الأميرة نجلا ابتعدت عن لبنان الذي أحبته وحملت همومه إلى نيويورك فكانت من الذين تتبعهم بلادهم حيثما ساروا. هؤلاء الذين تشرب القضية العربيّة من كوبهم إن شربوا، وتأكل من صحنهم إن أكلوا، كان لها حقل في جريدة «الهدى» تنشر فيه الطريف والجريء الذي عرفت به منذ فجرها». وبقيَت نجلا تكتب في «الهدى» حتى عودتها إلى لبنان سنة ١٩٥٤. ومن طريف ما جرى لها في صباها أنها ألقت سنة ١٩٢٠ كلمة في احتفاء الجامعة الأميركية بمرور ١٠٠ عام على ولادة المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ – ١٨٨٣) برعاية يوسف بك العظمة وزير الحربية في الحكومة العربية (بعد تمليك الأمير فيصل بن الحسين دمشق). كان لافتًا أن تقف شابةٌ خطيبة بين ٦٠ من رجال الفكر والأدب الذين تعاقبوا على المنبر. تقدم منها يوسف العظمة مهنئًا: «أنا فخور أن تكون في بلادي إنسانة بمثل هذه الفصاحة والشجاعة الأدبية، وإنني لعلى استعداد أن أقوم بأية خدمة تحتاجينها».

ناضلت نجلا مع رفيقات لها منهن: ابتهاج قدورة، ماري يني عطا-لله، عفيفة صعب من جيل الرائدات الثاني، وسبقتْهن من الجيل الأول للحركة النسائية اللبنانية: جوليا طعمة دمشقية، سلمى صايغ، نازك العابد بيهم، لبيبة ثابت، لودي سرسق، أمينة الخوري المقدسي، وهدى ضومط. ومن

٢٠) أديبة وصحافية لبنانية (١٨٩٥–١٩٧٠) لقبت بأميرة المنابر، ولدت في بلدة برمانا، ودرست على بطرس البستاني.

النماذج الكثيرة لنضال الرائدات أيامها أن الأميرة نجلا ورفيقاتها قُمن بمشروع لدعم وتنشيط الصناعة الوطنية فأعلنَّ أنهنَّ لن يرتدين من المنسوجات إلا ما حاكته الأيدي اللبنانية والعربية. وكان لحركتهن أعظم الأثر فأصبحت المرأة اللبنانية تستحي إن هي ارتدت كنزة من صناعة أوروبية أو قدمت لضيوفها ما ليس من صنع لبنان. وحين أقامت جامعة الهيئات النسائية اللبنانية حفلا تكريميًّا للأميرة وقلَّدها عمر الداعوق وسام الاستحقاق اللبناني برتبة فارس، وقفت الأميرة لتشكر صديقتها ابتهاج قدورة على بادرتها، والدولة على وسامها قائلة: «إنّ هذا الإنعام الذي أتقبله بمزيد من التقدير والاعتزاز هو على سبيل التشجيع والتنشيط، لا عن جدارة أدعيها أو مكافأة لخدمة أديتها لبلادي عبر البحار. فهذه الثقة التي أولتني إياها الحكومة اللبنانية الموقرة هي في عيني فوق رموز الأوسمة ومعاني الشارات ويكفيني فخرا أن هذه البادرة النبيلة صدرت بمساعي أختي المرأة التي لها من كفاحها المستمر، مقاييس الهمم والنفوس، تتلاقى عندها ثقة الرجل ومناصرته لها لتأدية رسالة وطنية، وإنها لرسالة غالية[٢١].

«المرأة الجديدة»: أسّستها الكاتبة جوليا طعمة دمشقيّة بهدف بثّ روح التربية الاستقلالية للمرأة وتحسين الحياة العائلية وترقية المرأة العربيّة أدبيًا وعلميًا واجتماعيًا. وكانت جوليا تكتب افتتاحياتها بعنوان «إلى بنات بلادي» وتتوجه إلى المرأة كأمّ وزوجة وشابّة، وترشدهنّ إلى كيفيّة تنظيم حياتهنّ وتأمين قدراتهنّ من أجل سعادة العائلة وسعادة الآخرين. ودعت النساء إلى احتلال مكانهنّ الصحيح في المجتمع، ولعبت دورًا محوريًا في تأسيس الاتحاد النسائي اللبناني. تزوّجت بدر دمشقية، وهو رجلٌ مسلم وعُدّ زواجهما المختلط ثوريًا في ذلك الزمن إذ لم يكن مقبولاً على الصعيد الاجتماعيّ. وكان زوجها بدر المساعد والمشجع الأول على إنشائها المجلة وانطلاقتها فصدرت سبع سنوات حتى مرض جوليا.[٢٢]

«الجنس اللطيف»: لصاحبتها **ملكة سعد**. كانت تنتقد نساء لا ينشغلن إلا بمظهرهنّ ويبتعدن عن المشاركة في النشاطات الاجتماعيّة. كان للمجلة أثر بليغ في المجتمع النسائيّ، إذ دعت النساء إلى التثقُّف عبر الإلمام بصورةٍ أفضل بالفنون والأدب. وتابعت تقدّم الحركات النسائية في

٢١) حنيفة على الكاتب، تاريخ تطوّر الحركة النسائية في لبنان وارتباطاتها بالعالم العربي – ١٨٠٠–١٩٧٥، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٤، ص. ١٠٦.

٢٢) حنيفة على الكاتب، تاريخ تطوّر الحركة النسائية في لبنان بالعالم العربي – مرجع سابق، ص. ٨٩.

المنطقة العربيّة. وفي افتتاحية العدد الأول كتبت ملكة سعد: «هدف هذه المجلّة أن تأخذ المرأة مكانتها كإنسانةٍ تعرف أنّ الحرية ليست التبرّج والتزيّن بالملابس الفاخرة وجرّ ذيول الافتخار والسير وراء هوى النفس. لكنّ الحرية هي أن نعرف ما لنا، وما علينا من الحقوق فلا نُهان ولا نُباع كأَمةٍ بثمن، ولا نكون ألعوبةً في يدي الرجل الذي يتصوّر أنّنا لم نُخلق لنكون له عونًا، وإنّما خُلقنا لنكون في وهاد الذلّ راتعات، نُضرب كالأنعام ونُحرم من الاشتراك معه في الأعمال النافعة العمومية».[٢٣]

دارت مواضيع المجلة على أهمية تعليم المرأة تعليمًا يؤهّلها أن تكون أمًّا صالحة عالمة بشؤون المنزل وأولادها، لا تعليمًا يخرج بها عن نطاق هذا العمل. استمرّت المجلة حتى الحرب العالمية الأولى فباتت تصدر كل عددين معًا ابتداءً من ١٩١٨ في ٢٤ صفحة بعدما كان عدد صفحاتها يبلغ ٤٠ صفحة للعدد الواحد[٢٤].

«السيدات والبنات»: أصدرتها روز أنطون حداد[٢٥] عام ١٩٠٣ في الاسكندرية بمساعدة شقيقها فرح، وعاشت في ظلّ رائدَي فكر وصحافة: شقيقها فرح أنطون وزوجها نقولا الحداد، فضاعت عطاءاتها وتناستها الدراسات الصحافيّة والأدبيّة وذابت شخصيتها في الاهتمام بما أنتجه فرح ونقولا على حساب ما قدمته هي في صحافة مارستها عمليًّا منذ ١٩٠٣ عندما ساعدها شقيقها على إنشاء مجلة «السيّدات والبنات» في الإسكندرية، وأعانها في تحريرها لمدة سنتين.

ويرى أحمد أصفهاني أن «روز أنطون كانت على دراية بذلك الواقع المؤلم، إذ قالت في محاضرتها «تأثير الأم في تربية الأولاد»: «حتى إذا عملت المرأة عملاً خارجًا عن دائرة اختصاصها نسبوه إلى الرجل لا لها. فإذا كتبت أو ألفت أو نظمت قالوا الرجل هو الذي كتب وألّف ونظم، وكم كان هذا سببًا ليأس النساء في شرقنا مع أنّ النجاح في فنون الكتابة والإنشاء والنظم إلى غير ذلك ميسور للمرأة كما هو ميسور للرجل على السواء».

٢٣) عبير حسن، مجلة أدبية اجتماعية شهرية لصاحبتها ومحررتها ملكة سعد، دار العربيّ للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

٢٤) اسماعيل ابراهيم، صحفيات ثائرات، الدار المصريّة اللبنانية، مصر، ٢٠١٠، ص ٨٧.

٢٥) ولدت في طرابلس. هاجرت إلى مصر ملتحقة بأخيها فرح الذي سبقها سنة ١٨٩٧. ووقعت عقداً مع المرسلين الأميركيين لإدارة مدرسة للبنات في الإسكندرية ودرّست ثلاث سنوات.

كان شقيقها فرح أسّس سنة ١٨٩٩ مجلة «الجامعة العثمانية»، فكتبت روز فيها أحيانًا. وعندما انتهى عقد العمل مع المرسلين الأميركيّين بقيَت إلى جانب شقيقها في الإسكندرية فساعدها سنة ١٩٠٣ على تأسيس مجلة شهرية خاصّة بها «مجلة السيدات والبنات» توقفت عن الصدور في عامها الثاني ثم عادت في عامها الثالث بعنوان «مجلة السيدات»، وظلت تصدر حتى سنة ١٩٠٦ [٢٦].

«مينرفا»: مجلة أدب وفن واجتماع، رئيسة التحرير ماري يني عطا للّه، وصفها جبران خليل جبران في إحدى رسائله بأنها «أحسن مجلة نسائيّة في الشرق الأدنى». كانت ماري يني تكتب في صحف ومجلات كـ«الحسناء» و«النفائس» و«المراقب» وغيرها. هدفت من مجلتها إلى نشر المقالات الأدبية لكبار الأدباء والشعراء الذين عاصروها، كما اهتمت بنشر القصص المترجمة والموضوعة بالعربية. أفسحت لكبار الأدباء والكتّاب في نشر أفكارهم بدون تحفظ، ما أعطاها تنوّعًا يطلبه القراء من مجلة تعكس أحداث العصر. وبين كتّابها كبار الأدباء والشعراء اللبنانيين والعرب في الربع الأول من القرن العشرين. وكتبت ماري يني في إحدى افتتاحيات مجلتها: «في حياة الناس لذة غير السعي وراء المادة، وفي النفوس أمنية غير كسب المال وحشده، وللمرء حياتان: حياة خاصة وحياة عامة، وعليه واجبان: واجبه نحو أخيه، وواجبه نحو نفسه. فبتلك الحياة المزدوجة اليوم أتحرك وبذيّاك الواجب المضاعف أسير، تقودني هاتيك اللذة الخفية التي تتصل بحياتي الخاصة وهي سرّ بيني وبين الأقدار بل واجب نفسي نحو نفسي»[٢٧].



فيروز الخالدة منذ بداياتها (١٩٤٩)



طابع بريدي تخليدًا «شحرورة» لبنان صباح

٢٦) أحمد أصفهاني، روز أنطون، كاتبة نهضوية مجهولة، دار الوراق للنشر، الأردن، ٢٠١٨

٢٧) حنيفة على الكاتب (١٩٨٤)، تاريخ تطوّر الحركة النسائية، مرجع سابق.

المرأة اللبنانية: حضور ساطع

بدا من هذا البحث أن المرأة اللبنانيّة حددت مكانًا في مجتمع كان يضيّق عليها حريتها ويحول دون انطلاقتها نحو التحرّر والاستقلاليّة. وتبيّن أن نساء مثقفات كثيرات برزن في مجالات كثيرة، بينها الإعلاميّ والثقافيّ، وقسم منهم أنشأن الجمعيات والنوادي النسائيّة بهدف نشر الفكر النسائيّ، ومساعدة اللواتي يعشن في ضيق وأزمات اجتماعيّة.

كانت المرأة اللبنانية تتمتّع بثقافة مميّزة وطاقة فكريّة فعّالة فأسست مجلات ثقافيّة واجتماعيّة وعلميّة، ونشرت الكتب لتثقيف المجتمع النسائيّ أمثال مي زيادة وسلمى الصائغ ولبيبة الهاشم وغيرهن. كان للصحافة النسائيَّة اللبنانيَّة دور فاعل في لبنان توسَّع إلى العالم العربيّ فالعالم وساهم عند نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، في تغذية أحلام النهضة الأَدبيّة والثقافيّة والاجتماعيّة ومراحل الاستقلال الوطنيّ.

المراجع

- ابتهاج محمد (٢٠١٠)، درجة مساهمة المرأة الفلسطينية في التنمية من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية.
- أحمد أصفهاني (٢٠١٨)، روز أنطون، كاتبة نهضوية مجهولة، دار الوراق للنشر، الأردن.
- اسماعيل ابراهيم (٢٠١٠)، صحفيات ثائرات، الدار المصريّة اللبنانية، مصر.
- جاندارك أبي ياغي وريما ضومط (٢٠١٣)، لبنانيات رائدات في الصحافة، مجلة الدفاع الوطنيّ، عدد ٣٣٤، نيسان ٢٠١٣.
- جرجي باز (١٩١٩)، النسائيّات، كتاب أدبيّ أخلاقيّ اجتماعيّ، منشور في جريدة الحقيقة.
- حسين سعيد (١٩٧٢)، الموسوعة الثقافية، مؤسسة فراكلين للطباعة و النشر، القاهرة–نيويورك.
- حنيفة على الكاتب (١٩٨٤)، تاريخ تطوّر الحركة النسائية في لبنان وارتباطاتها بالعالم العربي، دار الحداثة، بيروت.
- عبير حسن (٢٠١٣)، مجلة أدبية اجتماعية شهرية لصاحبتها ومحررتها ملكة سعد، دار العربيّ للنشر والتوزيع.

- لبيبة الهاشم (١٩١١)، كتاب في التربية، مطبعة المعارف، مصر.
- مركز المعرفة الرقميّ، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة https://ddl.mbrf.ae/
- مسعود ضاهر، مسيرة متميّزة لنضالات المرأة اللبنانيّة، في جريدة اللواء (https://aliwaa.com.lb).
- مي زيادة (١٩٨٢)، المؤلفات الكاملة لمي زيادة، جمع وتحقيق سلمى الحفار الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت.
- نجيب البعيني (٢٠٠١)، «الخدر» مجلة شهرية أدبية أسستها عفيفة فندي صعب في فترة الانتداب الفرنسي، منشور في جريدة الحياة، ٢٠٠١/٧/٢٣
- هيفاء البشير (٢٠١٢)، دور المرأة الأردنية في تنمية المجتمع: ملامح ورؤى تاريخية، الأردن: دار البيروني للنشر والتوزيع.

تراثُنا الاجتماعي

د. مجدولين سعد الترس

العادات والتقاليد بين بيروت وجبل لبنان
في عيون رُحّال القرن السابع عشر فالعشرين

العادات والتقاليد بين بيروت وجبل لبنان في عيون رُحَّال القرن السابع عشر فالعشرين

د. مجدولين سعد الترس

منذ أقدم العصور حتّى القرن العشرين، زار الشرق رحالٌّ كثيرون (رحَّال: جمع رحّالة) متعددو الهوايات والأهداف. وكان لبنان لهم محطّة جذب رئيسة، فتأثّر كثيرون بينهم بجماله وعادات أهله وتقاليدهم. ودوّن كثيرون مشاهداتهم اليوميّة خلال إقامتهم فيه.

هذه الدراسة تضيءُ على عادات وتقاليدَ لدى اللبنانيين بين القرن السابع عشر والقرن العشرين، مقارنة بينها وبين ما كان منها بيروت وجبل لبنان، في مذكّرات رحالٍ زاروا لبنان فترتئذٍ ودوّنوا مشاهداتٍ يوميّة باتت مصدرًا مهمًّا للتعرّف علًى تاريخ بلادنا. وتركّز هذه الدراسة على العائلة ووضع المرأة والولادة واحتفالات الزواج والاحتفالات الجنائزية والأعياد والأزياء والضيافة والطعام، وتبيّن الفرق في عادات وتقاليد لدى الطوائف المسيحية والإسلامية والدرزية خصوصًا في الزواج والاحتفالات الجنائزية وغيرها...

مدخل

منذ أقدم العصور كان الشّرق حلم رحّال أجانب كثيرين ومحطّ اهتمامهم. وكانوا من جنسيّات وانتماءات اجتماعيّة مختلفة كرجال دين وعلماء وأطبّاء وسياسيين وأدباء وشعراء وفنّانين، يقصدون بلادنا بدوافع مختلفة: علميّة ودينيّة واجتماعيّة وسياسيّة، أو حبًّا بالاستطلاع والتعرّف على دول جديدة، يسكنون فيها فترةً ويدوّنون عنها انطباعاتهم ومشاهداتٍ تراوحت بين إيجابيّة وسلبيّة[١]، حول الكثير من الأمور التاريخيّة والجغرافيّة والديموغرافيّة والدينيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، محلّلين عادات شعوبها.

---

١) عبدالله الملاح، في كتاب «لبنان في كتابات الرحالة» (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانيّة، ٢٠٠٨) ص ١٤.



فبلدان الشرق تجمع، إلى ثرواتها الطبيعية الغنية، رصيدًا فكريًّا وحضاريًّا متميّزًا باعتبارها مهبط الأديان السّماوية، وخصوصًا الأراضي المقدّسة، إذ كان الحجّاج من جنسيّات مختلفة يتقاطرون إليها. وكان طبيعيًّا مرورهم بلبنان الذي تأثر به عدد كبير منهم لتنوّع مناخه وجمال طبيعته وتنوّع أشجاره ومزروعاته، ما شكّل عشقًا روحيًّا للسياح والمستشرقين على اختلاف انتماءاتهم[٢]، ومنهم لامارتين [٣] الذي كتب: «أحبّ لبنان كمسقط رأس أحلامي... واللّه مرئيّ هناك أكثر منه في بلادنا، لذا أتمنّى أن أشيخ فيه وأموت». وعبّر الأب دي داماس (De Damas)[٤] عن عشقه لبنان: «هذا هو لبنان، وطني الذي أفضّله على كلّ ما شاهدت في أوروبا»[٥]. وأثّر آخرون بواقعه الديموغرافي وفئاته الاجتماعيّة ونمط عيش أسره وعلاقاتهم الاجتماعيّة وعادات سكّانه وكرم الضيافة اللبنانيّة،[٦] وغيرها من الأمور الاجتماعيّة.

حُلم الحجّاج والرحّال الذين مرّوا في جبل لبنان كان رؤية أرز الرب، فيمرّ المسافر بإهدن ويزور الوادي المقدّس المهد الأوّل للموارنة الذين سكنوا الأوديّة الوسطى، والسلاسل الجبليّة الأكثر ارتفاعًا من جبل لبنان[٧] بحسب الرحّالة فرنسوا دو باجيس (François de Pagès)[٨] وأيّده بذلك لامارتين.[٩]

---

٢) عبداللّه إبراهيم سعيد، الريف اللبناني من خلال كتابات القنصل الفرنسي هنري غيز ١٨٠٣ – ١٨٤٢، ودراسة في كتاب «لبنان في كتابات الرحالة»، إعداد الدكتور عبداللّه الملاح، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٨) ص ٢٦٦.

٣) لا مارتين زار لبنان عام ١٨٣٢.

٤) الأب دي داماس: مرسل يسوعي زار لبنان بعد أحداث ١٨٦٠.

٥) De Damas, souvenirs du mont Liban, V.I, (Lyon Paris) Lib Felix Gerard, 1870, p 11.

٦) أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعيّة اللبنانيّة في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الرّحالة فرنسوا دو باجيس، في كتاب لبنان في كتابات الرحالة، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانيّة، ٢٠٠٨)، ص ١٣٠.

٧) المرجع نفسه، ص ١٣٦.

٨) فرنسوا دو باجيس: (١٧٤٠ – ١٧٩٢): فرنسي الأصل، زار لبنان عام ١٧٧٠.

٩) أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعيّة اللبنانيّة في القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص ١٣٦.

مدينة بيروت

كانت مدينة بيروت تتمتّع بشهرة واسعة، وتعتبر نقطة التقاء الطرق بين قارّتي آسيا وأوروبا بسبب موقعها على الشاطئ الشرقي للمتوسط. كانت مدينة صغيرة، سكّانها مسلمون ومسيحيّون، متّفقون بشكل ذاتي[١٠]، سهولها مزروعة بأشجار التوت. وهي مدينة تجارية مهمّة، فيها مرفأ يعتبر الأكثر ازدحامًا في المنطقة كلّها[١١]. ازدهر مرفأها في تجارة الحرير والزيت والقطن والسمسم والنبيذ والصوف وخاصّة الحرير، وسلع أخرى ينتجها جبل لبنان[١٢]. وتحوّل هذا المرفأ إلى مركز للمبادلات التجارية إذ كانت ترسو فيه من جميع البلدان. وفيه الخانات المبنية بإتقان،[١٣] وأسواق يتوفّر فيها مختلف أنواع البضائع والسّلع، كالمنسوجات الحريرية والقطنية والطرابيش والأحذية والغلايين والزجاج...

كانت جميلةً منازلُ العائلات الميسورة في المدينة، أوروبية المظهر بسطوحها القرميدية،[١٤] مبنية بأتمّ إتقان وأحسن هندام، والنوافذ تطلّ على البحر فيتجدّد الهواء في البيوت.[١٥] أمّا منازل العامّة فكل منزل من طبقة أرضيّة، تستخدم كمطبخ وغرفة نوم للعائلة، يعلوها سقف ترابي سميك.

تحيط المنازل أشجار النخيل وخمائل البرتقال تفوح منها الروائح العطرية، ومزارع الزيتون ولا حصر لعدد أشجار التوت[١٦]. تأثّر فيها معظم

---

١٠) أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعيّة اللبنانيّة في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الرّحالة فرنسوا دو باجيس، مرجع سابق، ص ١٣١، ومسعود ضاهر، بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين، دراسة في التاريخ الإجتماعي من خلال مذكرات العالم الروسي الكبير أ. كريمسكي – رسالة من لبنان ١٨٩٦ – ١٨٩٨، قدمته الباحثة السوفياتيو م. سميليل نسكايا، نقله إلى العربية يوسف عطاالله، (لبنان: دار المدى، ١٩٨٥)، ص ٨٣.

١١) Émile Gentil, Souvenires D'orient – Malte, Le Liban, La Syrie & L'Égypte, (Paris: Metz, Verronais – le coffre, 1855), p 49.

١٢) كارستن نيبوهر، مشاهدات في سوريا وبخاصة في جبل لبنان – رحلة إلى بلاد العرب وسائر البلدان المجاورة، ترجمة وتعليق ناصر الجميل ومارون الخوري، (بيروت: مطبعة دكاش،١٩٩١)، ص ٨١.
Émile Gentil, Souvenires D'orient, op cit, p 49

١٣) المرجع نفسه

١٤) جان نخول، مناطق لبنانية من خلال رحلة ده فوغيه ١٨٧٢، دراسة في كتاب لبنان في كتابات الرحالة، إعداد الدكتور عبدالله الملاح، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، ٢٠٠٨) ص ١٦٦.

١٥) مسعود ضاهر، بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٨٧.

١٦) جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، من كتاب سوريا والأرض المقدسة وآسيا الصغرى...، إختار فصولها وعربها عن الإنكليزية رئيف خوري،

الرحّال فوصفها الأب لاورتي (Laorty): «حزام أنيق من الحدائق الدائمة الاخضرار... غدت بهجة السياح ومكان إقامتهم المفضّل»[١٧]، أمّا الأب ده فوجيريه (De Fougerais) فكتب عند دخوله بيروت: «آه إذا كان الاغتراب بهذا الجمال فماذا يمكن أن يكون الوطن»؟[١٨]

جبل لبنان

يسكن جبل لبنان الموارنة والدروز، أمّا المسلمون والأرمن فعددهم قليل. وصف بلداتِه الرحّالة الفرنسي دو باجيس (Francois de Pagès): «إنّها مليئة ببساتين التوت وعرائش الكرمة وحقول في أعالي السفوح زرعت بمختلف أنواع الحبوب، وتتدفّق منها شلالات غزيرة»[١٩]. فيها أراض صعبة المسالك ووعرة.

أمّا بيوت جبل لبنان فهي «كالأكواخ ذات السّطوح المربّعة المغطاة بالتراب المنقول على الأكتاف. يسوى ويرصّ بمحدلة حجرية في فصل الشتاء منعًا تسرُّبَ الأمطار، ويزال الثلج الذي يتراكم ليلاً على الأسطح»[٢٠].. «يتكوّن معظمها من شبه رواق للجلوس، وغرفة للنوم، أمّا أثاث البيت فبسيط يتألّف من حصيرة وفراش ووسادة أو وسادتين، ومن صندوقين أو ثلاثة صناديق مدهونة باللون الأخضر والأحمر، ومن مرآة بحجم ٢٠ سنتم. وكذلك بعض الأواني الكبيرة من الفخّار والنحاس والصحون التي تستخدم في قضاء بعض حاجات المنزل».[٢١] وفي غرفة ثانية زريبة لتربية الحيوانات كالطيور الداجنة والبقر والماعز والخنازير والحمير، وتساعد هذه الحيوانات على التخفيف من أعباء العمل في الأرض وتوفّر المؤونة.

(لبنان: منشورات دار المكشوف، الطبعة الثانية، ١٩٨٤)، ص ٢٧٠.

١٧) أميرة جبر، الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، دراسات وإنطباعات عبر القرن التاسع عشر (١٧٩٨ – ١٩١٨)، (لبنان: مؤسسة خليفة للطباعة، ١٩٩٣)، ص ٥٦.

١٨) أميرة جبر، الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، مرجع سابق، ص ٥٦.

١٩) أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعيّة اللبنانيّة في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الرّحالة فرنسوا دو باجيس،مرجع سابق، ص ١٣٣.

٢٠) جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، من كتاب سوريا والأرض المقدسة وآسيا الصغرى...، مرجع سابق، ص ٧٦ و ١١٤، ١٤٦.

٢١) Henri Guys, Beyrout et le liban: Relation d'un séjour de plusieurs années dans ce pays, t.2 precédée d'une Lettre de M. Poujoulat, (Paris: Imprimerie de W. Remquet et Cie, 1850), p 85.

بالإضافة الى حديقة صغيرة لكلّ بيت[٢٢]، يزرع فيها حاجات المنزل الأساسيّة.

غير أنّ بيوت الأغنياء كانت تتألّف من ثلاث أو أربع غرف واسعة[٢٣]. وللتدفئة في فصل الشتاء كانت توقَد النار وسط الغرفة بوضع عدّة أحجار متقاربة وتولّع فيها الأغصان اليابسة، أو من خلال المنقل على الفحم.

أنشطة ترفيهيّة

تحوّلت ظلال الأشجار في مدينة بيروت إلى مقاه في الهواء الطلق يرتادها اللبنانيون أيام العطلات[٢٤]. وفي سائر الأيام كان سكان بيروت من الرجال يرتادون المقاهي في أحيائهم للاستماع إلى قصص الحكواتية.[٢٥] أو يتمتّعون بأشعّة الشمس على شواطئ البحر في فصل الصّيف. وفي القرى اللبنانية كان السكان يستريحون نهار الأحد والأعياد من أشغالهم، وبعد الغداء تخرج الفتيات والنساء متبرّجات بأثمن أثوابهنّ، يجلسن على أبواب المنازل يتحدّثن مع الجارات والصّديقات. أمّا الرجال والصبيان فيجتمعون تحت سنديانة كبيرة قرب أحد الينابيع، يقضون النهار جالسين على الحصر يقصّون القصص العجيبة ويرتشفون القهوة.[٢٦]

الزواج

الأعراس مستحبّة كثيرًا في مدينة بيروت أو في جبل لبنان، وتتواصل الاحتفالات أيّامًا قبل إتمام مراسم الزفاف. ففي القرن االثامن عشر لم يكن يستطيع الرجل مقابلة عروسه إلاّ بعد الزواج، وغالبًا ما تكون المرأة من ضمن الأسرة الواحدة، وغالبًا ما كان أولياء الطرفين تعاهدوا على الزواج منذ سنّ مبكرة. وكانت المرأة تخضع لزوجها منذ اليوم الأوّل

٢٢) أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعية اللبنانية في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الرّحالة فرنسوا دو باجيس، مرجع سابق، ص ١٤٠.
Henri Guys, Beyrout et le liban, t1, op cit, p 84

٢٣) Ibid

٢٤) Ibid, p 40

٢٥) Ibid, p 21

٢٦) اغناطيوس سركيس، لامارتين في لبنان وسوريا، مقالة في مجلة ”المشرق“، العدد ٨، ١ آب ١٩٣٣، ص ٦١٢.

بحسب العادات والتقاليد. عندما تُطلَب فتاة للزواج تكون عادة بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة، فيوافق الأب دون استشارة زوجته أو ابنته مكتفيًا بإبلاغهما أنه قد أعطى كلمته والزفاف سيتمّ ويحدّد التاريخ. وأحيانًا كثيرة لم تكن تعرف العروس حتّى اسم خطيبها، ولم تكن رؤيته إلاّ خلسة[٢٧].

أمّا في القرن التاسع عشر فاختلفت صورة الزواج: عند المسيحيّين يختار الشبان نساءهم ويطلبون الحصول على موافقة كاهن الرعيّة أوّلاً أو المطران[٢٨]. وبعد موافقة الوالدين تكون الخطوبة في الكنيسة لفترة لا تزيد عن سنة، بعدها يتمّ العرس أمام شهود بينهم الكاهن أو كاهنان، وتنتقل العروس على الحصان من منزلها إلى مكان الاحتفال، ترافقها مجموعة من أهالي قرية العريس وهم يهلّلون ويرتدون أجمل ملابسهم. وفي بعض الأحيان يطلقون العيارات النارية، ويتوقّفون من وقت إلى آخر ليغنّوا دفعة واحدة أو ليرقصوا. ولم يكن العريس يحلق ذقنه قبل وصول العروس. وبعد انتهاء مراسم الزفاف يتوجّه الجميع إلى منزل العروسين الجديد لتضع العروس الخميرة على الباب وترمي رمانة لاعتقادهم بأنّها تجلب الحظ الحسن بحسب عادات وتقاليد اللبنانيين.

عند مسلمي بيروت كانت الدعوات توجّه إلى الأمراء والأعيان والأقارب، فيلتقون في مكان متّسع مفروش بالرياش الفاخرة، مع تخصيص مكان لقراءة «المولد»... وبعدها توزّع «قراطيس من اللوز والملبَّس والسّكَّر والفاكهة والشّراب، ثمّ يختتم الحفل بعقد الزواج ويكون من شهوده وليّا العريسين والعلماء والأمراء متوّجين ذلك بقراءة الفاتحة «لتمام الخير والإصلاح».

في بيروت كما في جبل لبنان تُحضر العروس معها صندوقها الذي تكون حضّرته أمّها، وفيه «الجهاز» الذي ستأخذه معها العروس إلى بيتها الزوجيّ. ويتكوّن – وفقًا لثروة الأب – من الملابس والأواني والأثاث. وتتواصل التهاني أحيانًا لثلاثة أيّام فيجلس العريس إلى جانب العروس وعلى رأسها منديل طويل يغطي جسدها.

في مجتمع منغلق إلى هذا الحدّ طبيعيٌّ أن يتأثّر الجبليّون بأقلّ الأمور التي تتعلّق بعرض العائلة، فيبدون اهتمامًا كبيرًا بالحفاظ على النساء وشرفهنّ. ومن عاداتهم أن يأتي العريس غداة العرس حاملاً علامة فضيلة

---

٢٧) أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعية اللبنانية في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الرّحالة فرنسوا دو باجيس، مرجع سابق، ص ١٤١.
Henri Guys, Beyrout et le liban,t1,op cit, p 88.

٢٨) Ibid, t2, p 104 – 105.

العروس إلى أمّها، وإلاّ تدفع الفتاة حياتها ثمنًا للعار الذي حملته إلى عائلتها[٢٩].

واللافت أنْ لم يكن المشايخ يزوّجون بناتهم إلاّ من أبناء العائلات المعروفة في الجبل، وإلاّ فمصير البنت العزوبة أو دخول الدير. وكان على عامّة الشعب تقديم القهوة أثناء أعراس المشايخ.[٣٠] أمّا بالنسبة للدروز فالزواج عندهم عقد مدنيّ، والطلاق مسموح إنما لا يجوز لهم الزواج بأكثر من زوجة واحدة[٣١].

المرأة

كان الفرق بيِّنًا في وضع المرأة بين القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. فعن الرّحّالة الفرنسي فرنسوا دو باجيس (Francois de Pagès) في القرن الثامن عشر أن يقام في المجالس العامة كما في الحياة الاجتماعية، فصل النساء عن الرجال مراعاة للحشمة ووقاية لكلا الجنسين. كما يمنع على الصبيان بعد الرابعة عشرة الاختلاط بالإناث من أفراد أسرهم. ومن مظاهر وقار الرجال واحترامهم المرأة: نُدرة الحديث عن النساء في مجالسهم، كما لا يرنو الرجال بأنظارهم إلى النساء في دروب القرية وأزقّتها أو عند مرورهم في أماكن تواجدهن. ويعاب على الرجال إلقاء التحية على المرأة، لا احتقارًا بل تعبيرًا عن تقديرهم إياها.[٣٢]

في مذكّرات العالم الروسي أ. كريمسكي (Agatangel Krymskii)[٣٣] في القرن التاسع عشر (١٨٩٦ – ١٨٩٨) تختلف الصورة بين بيروت وجبل لبنان. ففي مسرحيّة (على مسرح الآباء اليسوعيين) أعدّت على أساس ألاّ

٢٩) راجع:
François de Pagè, Voyage autour du monde, (1767 – 1771), Supliée et annotèe par Numa Broc, (Parie: Imprimerie nationale, 1991), P 245.
Henri Guys, Beyrout et le liban, t1, op cit, p 77.
Henri Guys, Beyrout et le liban, t2, op cit p 105 – 106 – 107 – 108

٣٠) Baptistin Poujoulat, la verité sur la syrie et L'expédition Francaise, (Paris: Gaume Fréres et J. Duprey, 1861), P 59.

٣١) Henri Guys, Beyrout et le liban, t1, op cit, p 77.

٣٢) François de Pagès, Voyage autour du monde, (1767–1771), op cit, p 246.
أحمد حطيط، ملامح من الحياة الإجتماعية اللبنانية في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الرّحالة فرنسوا دو باجيس، مرجع سابق، ص ١٤٣.

٣٣) أغاتانغيل كريمسكي (١٨٧١ – ١٩٤٢): أوكراني الأصل، زار لبنان عام ١٨٩٦.



يكون للنساء دور بين الممثّلين، لم يلاحظ بين الحضور امرأة واحدة. بينما في إحدى الندوات التي أقامتها الجامعة الأميركية في بيروت كان حضور النساء فيها بارزًا.[٣٤]

في جبل لبنان كان المجتمع القروي يشهد حضورًا دائمًا للمرأة في جميع مجالات العمل والإنتاج والعلاقات الاجتماعية.[٣٥] كانت المرأة شريكة الرجل في تكوين العائلة وخاصّة عند الموارنة، لكنّها لا تشارك العائلة وجبات الطعام بل تأكل على حدة. والأرجح أنّ هذا الاختلاف يعود إلى الوجه الطائفي لمناطق زارها أولئك الرحَّال. ففي البيئة المسيحيّة حضور نسائيّ بارز في المجتمع، عكس المناطق الإسلاميّة. فللطوائف تأثير كبير على عادات وتقاليد اللبنانيّين وخاصّة في الأرياف.

ينتقد هنري غيز[٣٦] عادات اللبنانيّين بعدم احترام المرأة، فالرجل عندما يتحدث عن المرأة يقول: «أجلَّك، أو أعتذر عن هذا التعبير، الحرمة، أم العيال...» وإذا فقد الرجل زوجته يَعتبره كألم كوع اليد سيزول بعد فترة. أمّا المرأة فلا تتحدّث عن زوجها بشكل مباشر بل تنعته «بابن عمّها، بالسيّد...».[٣٧] كانت تعتبر نفسها عبدة وخادمة له. وطبعًا للمرأة النبيلة نمط حياة يختلف عن المرأة الجبليّة: لها خادمات ولها الوقت الكافي للاهتمام بمظهرها وحضور الحفلات.

الـولادة

كانت الأسرة التي لا ترزق أولادًا تشعر بالإهانة وتعتبر ذلك غضبًا من الله. لذا كان أهالي لبنان حقْبَتَئذٍ يكثرون من إنجاب الأولاد حتى ليتعدى عدد الأولاد لديهم الاثني عشر أو الخمسة عشر ولدًا.[٣٨]

لأهالي بيروت وجبل لبنان عادات متشابهة جدًّا، فالطفل لا يُلفّ بالأقمطة ويحمَل على ذراعي مرضعته، بل يُربط على مهد في شكل مخصوص، وتركع

---

٣٤) مسعود ضاهر، بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين، مرجع سابق، ص ٣٥.

٣٥) المرجع نفسه، ص ٣٥.

٣٦) هنري غيز: دبلوماسي فرنسي، قنصل فرنسا في لبنان بين عاميّ ١٨٠٨ – ١٨٢٨.

٣٧) Henri Guys, Beyrout et le libanm t2, op cit, p 98–102

٣٨) Baptistin Boujoulat, Récits et souvenir d'un voyage en Orient, op cit, P 136 – 137.

أمّه إلى جانب مهده تلقّمه ثديها ساندة ذراعها على جسر من خشب معدّ لهذا الأمر، ولا تحلّ رباطه إلاّ كلّ أربع وعشرين ساعة.

في المدن، كما في الريف، عندما تزور النساء امرأة ولدت، على المرضعات أن يعطين ثديهن للمولود الجديد. كما يُستقبَل المولود الجديد بالتهاليل والأغاني والصيحات إذا كان صبيًّا، وإذا كانت فتاة تُستقبل بصمت حزين.[٣٩]

نساء الجبال قويّات: يلدْن ويواصلن الذهاب إلى بيوتهن وأعمالهن. وكانت تُطلّق على الرجال من اليوم الأوّل لولادة مولوده الأوّل كنية "أبو فلان". وقسم كبير منهم يتكنّون حتّى قبل أن يتزوّجوا. ويَغضبون إن أصبحوا آباء في حال ناداهم أحدهم باسمهم بدل الكنية الجديدة فمن قلّة الأدب أن يخاطب الرجل باسمه.

العقم لديهم عقاب إلهيّ وربّانيّ. كانت المرأة العاقر تتوسّل السيّدة العذراء لتُنجب، لأنّ المرأة في لبنان إذا خلا بيتها من الأولاد، كانت بمثابة خادمة لا قيمة لها.

العائلة

لاحظ عدد كبير من الرّحال أنّ القرى اللبنانيّة خلايا حيّة من أُسر تعيش حالة اكتفاء ذاتيّ على الأصعدة كافة.

البيت يديره الأب ربّ العائلة لأنّه السيّد ويقدّره الجميع، وسلطته مطلقة يمارسها بحكمة[٤٠] ويعاونه أولاده الذكور. والأم تعنى بشؤون المنزل تساعدها بناتها اللواتي دربتهنّ على هذه المهمة (كتنظيف المنزل وغسل الثياب والطبخ وتحضير الخبز...)، إضافة إلى تربية الحيوانات. وكانت الأم تصنع الملابس لعائلتها، وترضع طفلها، وتعدّ الطعام، وتعجن العجين لتصنع الخبز، وتخدم زوجها وأطفالها[٤١]، وتملأ المياه من النبع، وتقطع الحطب للشتاء.

---

٣٩) Henri Guys, Beyrout et le liban, t1, op cit, p 90 – 91– 92.
لويس لورته، مشاهدات في لبنان، نقلها إلى العربية وعلق حواشيها كرم البستاني، (بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٥١)، ص ٦٦.

٤٠) Amédée de Damas. Souvenirs du Mont Liban,t1, (Paris: Félix Girard, Libraire Éditeur 1870), p 23

٤١) De Damas, souvenirs du mont Liban, V.I. op cit, P 23
Henri Guys, Beyrout et le liban, t1, op cit, p 82

الأعياد

فترة الأعياد للرّاحة لدى جميع الطوائف في بيروت وجبل لبنان: يتوقّف الناس عن أعمالهم. وفي بيروت تبدأ الأعياد بالصلاة في مسجد البلد الكبير الجامع المسلمين، وفي الكنائس عند المسيحيّين، ثم يكون تبادل الزيارات في البيوت وتقديم أصناف الحلوى الرطبة والجافة.[٤٢] أمّا في جبل لبنان فتتوافد العائلات المارونية إلى الكنائس عند سماع صوت قرع الأجراس، وبعد انتهاء القداس، يتجمّعون في ساحات الكنائس ويبدأون برقص الدبكة والغناء.[٤٣]

الاحتفالات الجنائزية

عند الوفاة كان الخبر في بيروت ينتشر بسرعة، ويبدأ المعزّون بالتوافد إلى منزل الفقيد. أمّا عاداتهم في المآتم فهي خفيفة الكلفة. يموت الميت فيجهّزونه، ويحضّره من كان يريد أن يشيّعه، إمّا في البيت أو في المسجد الجامع، وموعدهم للصلاة إمّا الظهر وإمّا العصر. فإذا قضيت الصلاة المكتوبة وصلاة الجنازة، خرجوا به من المسجد وأمامه الفقهاء والقرّاء. البعض يقرأ القرآن والآخر يقرأ البردة، وأهل الطرق يقرأون في أورادهم ويذكرون اللّه تعالى، والنساء خلف الرجال سكوت لا يرفعن أصواتهن بالصراخ ولا العويل بل يبكين بصمت. عند وصولهم الى المقبرة يوارونه الثرى وينصرفون إلاّ أهل الميت وبعض الوجوه، يدعوهم أحد الكبار من أهل البلد أو أقارب للميت إلى منزله، فيكون الغداء عنده نهارًا أو العشاء والسهرة ليلاً. ولا يكلّفون أهل الميت بشيء في الأيّام الثلاثة أو السبعة الأولى.[٤٤]

في القرى، عند وفاة أحدهم، يهتم الأقارب والأصدقاء والمعارف بإسكان وإطعام الضيوف من القرى المجاورة. وتجلس النساء حول الميت وترثينه. كما يرسل الأمراء والأميرات عدّة قطع من الأقمشة الغنية المطرّزة بالذهب والفضّة لتغطية التابوت في حال كان الميت من أعيان القرية.

مقابر المسيحيّين كانت تبنى إلى جانب الكنيسة أو في ضواحي القرية. كلّ عائلة لها بناء حجريّ، نحو أربعين مترًا مربّعًا، تدفن فيه العائلة

---

٤٢) محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨١)، ص ٤٤

٤٣) Émil Gentil, Souvenirs D’orient, op cit, p 95

٤٤) محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، مرجع سابق، ص ٤٤.

موتاها. أمّا الأسر المسيحية الغنية فتكون على مقابرها قبَب صغيرة[٤٥].

عادات الدروز في المأتم هي ذاتها نفسها كما عند المسلمين: يدفنون موتاهم بالطريقة ذاتها ولكن لا يغسلون الميت. وفي اليوم التالي للدفن تبكي النساء عند القبر ويلوّحن بمناديلهن علامة الخسارة الكبرى.

الأزياء

لفتت الأزياء والزينة انتباه معظم الرحّال الذين زاروا لبنان، فوصفوا أزياء الرجال والنساء وبخاصّة الطنطور.

رجال بيروت في الملبس على أقسام: قسم يشكّل الأكثرية الغالبة، يلبس طربوشًا من لبّاد أحمر[٤٦] والسترة والبنطلون، ويحلق لحيته ويبقى شعر رأسه. وقسم يلبس القنباز وفوقه الجبة أو السّترة الطويلة. ويلبس كلّ من القسمين في قدمه الجزمة، وقسم يلبس البدلة العثمانية القديمة، وهي الشّروال الكبير الواسع وعلى رأسه الطربوش.

نساء بيروت أقسام أيضًا: قسم يلبسن الملاءة الحريرية الحمراء أو المناويش أو الخضراء أو الصفراء أو الزرقاء وعلى وجوههن المناديل الرقيقة وفي أقدامهن الجزم الفرنجية ولا يظهرن من أبدانهن شيئًا، وخاصّة المسلمات. وقسم آخر يلبسن الفساتين الواسعة من الشيت والصوف الافرنجي والحرير الملوّن، وعلى رؤوسهن الطرح الرقيقة أو المناديل فقط. ونساء النصارى مكشوفات الوجوه، وقسم كنساء أوروبا تمامًا في إرخاء الذيول ولبس الأعراف والبرانيط على رؤوسهن ولا يفترقن عنهن إلاّ باللسان واللغة، وذلك غالبًا عند نساء النصارى.[٤٧] وكانت المرأة تطلي أظافرها وكفّي يديها بالحنّة.[٤٨]

في جبل لبنان كانت النساء يلبسن المآزر المصنوعة من النسيج الأحمر، ويضعن على رؤوسهنّ مناديل بسيطة، والرجال يلفّون الطربوش

---

٤٥) جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ١٤١.

٤٦) لويس لورته، مشاهدات من لبنان، نقلها إلى العربية وعلق على حواشيها كرم البستاني، (بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، ١٩٥١)، ص ٥٣.

٤٧) محمد عبد الجواد القاياتي، نفحة البشام في رحلة الشام، مرجع سابق، ص ٤٧.

٤٨) Lamartine, Voyage en Orient, Vol 2, (Paris: Librairie Hachette, 1855), p 345, 355.



بمنديل يغطي الرأس[٤٩]. أمّا في أيام الآحاد والأعياد فيرتدين الفساتين الملوّنة، وعلى رأسهنّ الطنطور. أمّا الفلاّحات الفقيرات فيلبسن الساتان المقلّم مكان النسيج، وجبّة من الجوخ يحيط بها كشكش صغير. وتزيّن سراويلهن بالخيوط الحريريّة الملوّنة.

النساء الدرزيّات والمارونيات لا يلففن كلّ جسدهن بملاءة مثل نساء المدن، إنّما يضعن على قمّة الطنطور قطعة من القماش أو الحرير، تبلغ مترين أو ثلاثة أمتار، يحجبن بها وجوههن إذا شاهدن رجلاً مسلمًا أو درزيًّا فقط.

والطنطور زينة تعود إلى العصور القديمة : قرن من الفضّة مجوّف، مزيّن بتزيينات منقوشة أو بارزة، يتجاوز طوله أحيانًا بضع أقدام، وعلى صفحته الأماميّة حجارة كريمة وذهب. تثبّته النساء على رؤوسهن بأربعة أبازيم.[٥٠] ولا تختلف أزياء عامّة الشعب عن المشايخ إلاّ بألوانها وجودتها. وزيظهر الفقر على الفلاّحين الجبليّين بعدم امتلاكهم أكثر من قميص واحد، وفي أوقات العمل يرتدون ثياب العمل الممزّقة.

الطعام والضيافة

أغلب الرُحّال الذين زاروا بيروت ذكروا خانات ميّزت هذه المنطقة التي كان يزورها كلّ من يصل إلى مرفإِ بيروت، لتناول الطعام أو للتسلية وتدخين الأركيلة أو السجائر. وكان في بيروت فنادق لاستقبال الضيوف، فيقيم أهالي بيروت الولائم في الأعياد والمناسبات، ويقدّمون فيها الكبّة واللحم المطبوخ مع الأرزّ ومأكولات طيّبة[٥١] كالكُسْكُس والمحاشي كورق العنب والقرع وغيرها والحساء والكشك والأسماك واللحوم المشوية ولحوم الدواجن والخراف والبيض والحليب ومشتقّاته: كالزبدة والأجبان والألبان، وأصناف حلويات كالدبس والعسل والمربّيات والثمار المجفّفة كالعنب والتين والمشمش والمشروبات. والماء لم يكن متوافرًا في منازل بيروت بل كان يجلب من نبع على ساحل رأس بيروت[٥٢].

---

٤٩) Henri Guys, Beyrout et le liban, op cit, p 35.

٥٠) جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ١٠.
Henri Guys, Beyrout et le liban t2, op cit, p 110.
لويس لورته، مشاهدات في لبنان، مرجع سابق، ص٦٢.
Lamartine, Voyage en Orient, vol 1, op cit, p 153.

٥١) Henri Guys, Beyrout et le liban, t1, op cit, p 65

٥٢) أميرة جبر، الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، مرجع سابق، ص ٢٠١.

في جبل لبنان كان القرويّون يتّصفون بحسن الضيافة. فالجبليّ مطبوع على حسن الضيافة والكرم/إذا مرّ بهم الضيف يقدّمون له كلّ ما يحتاجه من مأكل ومشرب ومأوى. خاصّة أنّ القرى تفتقر إلى الخانات والمقاهي والفنادق. وكلّ غريب يمرّ أمام منازلهم يصرّون عليه بالدخول. وهذا ما يميّز أهالي جبل لبنان من الفلاّحين أو الأغنياء، يستقبلون الضيف بكلّ احترام وبحسن الضيافة بحسب التقاليد اللبنانية.

كان غداء الفلاّح من الخبز والفواكه المجفّفة، أو الفاكهة الطازجة عندما يتيح الموسم ذلك. وفي المساء يأكل البرغل والعدس المتبّل بالزيت أو الزبدة ويغسل باللبن الرائب مع البصل. أمّا الزيتون فوجبة فاخرة للفلاّح، واذا توفّرت تعتبر أساس وجبات الغذاء. أمّا احتياطات الفلاّح فمن لحم الغنم الذي تربّيه كلّ عائلة ويذبحونه ببداية فصل الشتاء. كما تعتبر الأعشاب التي يجمعونها من الحقل ويطبخونها مع البرغل من الأكلات المميّزة. وثمة الكبّة التي تدقّ في جرن لتحويلها إلى معجون ناعم. وكانت القورمة من مؤونة البيت عند القرويين، يصنعونها من لحم الغنم، وتحفظ في جرار فخارية.[٥٣] عند موعد الغداء، يجلس الجميع حول الطاولة ويأكلون من الطبق ذاته فلا ملاعق ولا سكاكين ولا صحون ولا أقداح[٥٤] إلاّ في بيوت المشايخ أو الأغنياء. أمّا البكوات فعلى مائدتهم أجود أنواع المأكولات الشهية. وذكر الأب دي جيران (DE GERAMB)[٥٥] أنّ الطعام الذي تناوله على مائدة الشيخ بطرس كرم في إهدن، كان شهيًّا إلى درجة جعلته يعتقد أنّه من صنع أحد الطهاة الفرنسيّين[٥٦].

سكان الجبل والعديد من سكان المدن لهم مذاق واضح جدًّا للزعتر، يأكلونه في الصباح مع الخبز لتقوية المعدة كما يقولون[٥٧]، كما أنّ القهوة لدى اللبنانيّين تعدّ أمّ جميع التشريفات في بيروت وجبل لبنان، وتقدّم في جميع المناسبات، ولدى جميع الطوائف[٥٨]. كانت تسكب في قصعات فخارية صغيرة موضوعة في أغلفة معدنية، تمنع وصول الحرارة الى يد الشارب. والماء كان يشرب في أباريق دون ملامسة الشفاه.

٥٣) Henri Guys, , Beyrout et le liban, t.1, op cit, p 288.

٥٤) De Damas, souvenirs du mont Liban, V.I, op cit, P 27.

٥٥) الأب ماري جوزيف دي جيرامب (١٧٧٢ – ١٨٤٨): زار لبنان عام ١٨٣١.

٥٦) أميرة جبر، الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، مرجع سابق، ص ٢٠١.

٥٧) Henri Guys, Beyrout et le liban, t.2, op cit, p 90.

٥٨) Henri Guys, Beyrout et le liban,t1, op cit, p 19.

أمّا الخبز فيختلف بين المدينة والقرى: الخبز المرقوق معروف في القرى، وكذلك خبز الصاج والتنّور، ويختلف عن خبز المدن السميك. فالخبز المرقوق يخبز على طبق من الحديد محدّبة فوق النار إذ تقطع المرأة العجينة وتمددها بأصابعها داخل راحة يدها حتى تصبح رقيقة وتبسطها على طبق الحديد الحامي حتى تخبز. أمّا التنّور فثقب منقور في الأرض بشكل جرّة، يغطي جدرانه الداخلية التراب الصلصالي الممزوج بالصوّان المسحوق. يحمى جيّدًا بإشعال النار داخله وتلصق العجينة على جدرانه حتى تخبز.

أمّا الخمور فلا يشربونها عادة إلاّ في المرافع وفي بعض الأعياد، وتحفظ في خواب من الفخار. ومن العادات في لبنان شرب الأنخاب، ويُتبَع كلّ نخب بقصيدة، وعند انتهائها تدقّ الكؤوس بعضها ببعض على شرف صاحب النخب. وهذا ما كان يطيل أوقات الوجبات في لبنان.[٥٩]

خاتمة

هذا بعض ما دوّنه عن عادات لبنان وتقاليده رُحّالٌ من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين زاروا لبنان. وفي مذكّراتهم مشاهدات ووثائق باتت مستندًا تاريخيًّا مهمًّا جدًّا، ومصدرًا مهمًّا للغوص في دراسة التاريخ الاجتماعي لهذا البلد الذي بهر كلّ من زاره. وهو تاريخ صادق عن واقع الحياة الاجتماعية التي تظهرها جليّة البيئة الاجتماعيّة والأسريّة ومناسبات الزواج والأعياد والوفيات والولادات والمسكن والأزياء والطعام... وصفوها بشكل دقيق، حتى لهي مادّة دسمة للمؤرخين عن الجوانب الاجتماعيّة والدينيّة والاقتصاديّة.

---

٥٩) أميرة جبر، الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، مرجع سابق، ص ٢٠١.

tête de la flotte anglaise – dépendait toute la destinée orientale de Bonaparte – et toute une page de l'histoire moderne tint quelquefois, en ces jours, à très peu de choses.

Saint-Jean-d'Acre emportée, c'était le ralliement immédiat et décisif des populations orientales, et peut-être, la chute d'Istambul, la perte de la route des Indes pour l'Angleterre, le retour à Paris par Vienne et l'économie de la campagne de Russie de 1813 – avec toute ses implications et ses conséquences.

Saint-Jean d'Acre emportée, c'était surtout la chute de l'Empire Ottoman cent vingt ans à l'avance, l'économie de la question d'Orient au XIXe siècle et peut-être même, l'absence de nombre de problèmes au XXe.

Bonaparte ne prit pas Saint-Jean-d'Acre ! Mais de ces 63 jours d'arrêt il devait dire, plus tard, à Sainte Hélène : « J'ai passé là de bien mauvais moments »[35].

En fait, et tout autant que l'arrêt matériel et physique, Saint-Jean-d'Acre a constitué dans la course de Bonaparte un arrêt moral et spirituel, point culminant de sa campagne d'Orient et moment du déclin de son rêve.

Ceci dit et bien que la relation de Bonaparte avec le Liban ait été somme toute marginale, il y lieu de relever qu'à un moment déterminé de sa campagne sur la côte méditerranéenne, il a bien considéré l'apport stratégique que l'Émirat du Mont-Liban pouvait lui assurer pour ses succès, mais dont il a été privé par les hommes, les circonstances et le Destin.

35) Las Cases : Mémorial, t.1, p 929, Édition de la Pléiade.

adressé. Il l'accepta, le garda dans ses meubles, se glorifiant de ce cadeau qu'il faisait porter lors des cérémonies religieuses et les fêtes devant lui par un soldat. Après la mort de Soliman Pacha, Abdallah Pacha a offert ce fusil à l'émir Béchir Chehab lorsqu'il l'a envoyé pour combattre (les troupes) de Damas au temps de Darwich Pacha en 1236 (1820) lors de la guerre dénommée la guerre de Mazzé ».

Roufayel Karamé

Il y a lieu de signaler également l'ouvrage du Père Roufayel (Raphaël) Karamé (1730–1800) intitulé « Sources historiques pour les évènements du Liban et de la Syrie de 1745 à 1800 » et publié à l'Imprimerie Catholique de Beyrouth en 1929 par le métropolite grec-catholique de Beyrouth Bassile Cattan. Certes la référence à l'expédition de Bonaparte tient dans cet ouvrage aux quelques lignes suivantes – mais il y a bien lieu de les relever :[34]

« 1799, cette année, les vaisseaux anglais sont arrivés à Acre pour la protéger des armées françaises puis Bonaparte est arrivé par terre avec son armée et l'a assiégé. Les chrétiens ont été contents de l'arrivée des Français et les Druzes ont eu peur. Bonaparte a écrit à l'émir Béchir lui demandant assistance. Celui-ci a refusé et n'a pas répondu à sa demande. »

Conclusion :
Bonaparte l'Émirat du Mont-Liban

Tels sont les témoignages des chroniqueurs libanais de cette approche de Bonaparte envers le Liban et qui sont partie de l'histoire napoléonienne. Et en conclusion, il est bien approprié de rappeler que, sa vie durant et exception faite de Sainte Hélène, Bonaparte ne prit le temps de s'arrêter qu'une seule fois : ce fut sur la côte méditerranéenne devant Saint-Jean-d'Arce en Palestine qu'il assiégea vainement durant 63 jours du 19 mars au 21 mai 1799.

De la conquête de cette ville – farouchement défendue, en droit, par le gouverneur turc Ahmed Jazzar, dit Ahmed le Boucher, mais, en fait, par le Commodore Sydney Smith à la

34) Roufayel Karamé : Sources historiques pour les évènements du Liban et de la Syrie, p. 157.

4. Ibrahim Aoura

Le quatrième historien libanais qui a rappelé un fait relatif à Bonaparte est Ibrahim Aoura dans son « Histoire de la wilaya (gouvernorat) de Soliman Pacha » publié en 1936 par les soins du père Constantin Pacha à l'Imprimerie du Couvent du Saint-Sauveur – Saida.

Ibrahim Aoura (1796–1863) né à Acre est entré au service du wali de cette ville Soliman Pacha dès l'âge de 17 ans. Féru d'histoire, il a tenu une chronique régulière des évènements anecdotes et faits et gestes dont il a eu connaissance se rapportant à la région proche-orientale de l'Empire ottoman de la fin du XVIIIe siècle en passant par le gouvernement de Jazzar Pacha jusqu'à 1853. Son ouvrage intitulé « Histoire de la wilayet de Soliman Pacha » conservé auprès de son fils Hanna (Jean) à Beyrouth a été publié en 1936 par les soins du Père grec-catholique Constantin Pacha à l'Imprimerie du Saint Sauveur – Saida Liban en un volume de 520 pages.

Aux pages 69 et 70, Aoura a rapporté l'histoire suivante relative à l'envoi par Bonaparte, devenu Empereur, d'un fusil finement ciselé à Jazzar.

Un fusil en cadeau de Bonaparte à Soliman Pacha

« En 1220 (1806) Soliman Pacha a reçu un fusil en cadeau de Napoléon Bonaparte roi (Empereur) de France qui avait auparavant, du temps de Jazzar, assiégé la ville de Akka (Saint-Jean d'Acre). Ce dernier après avoir levé le siège d'Akka, retourné en France et accédé à la royauté (Empereur) et en un moment de tranquillité loin des fatigues qui l'avait assaillies, a adressé à Jazzar un fusil de grande valeur avec une crosse en or d'Ibriz finement ciselé et une bascule de 2 coudées et demi avec des filaments en fer comparables à des fils de soie et gravés entièrement en or – sans compter que c'était un cadeau du roi (Empereur) de France à Jazzar.

Le cadeau arriva aux mains du Consul à Alexandrie avec ordre de l'adresser à Jazzar. Le Consul (du nom de Drovetti, ancien militaire choisi par Napoléon pour ce poste pour sa sagacité) après la mort de Jazzar a gardé chez lui le fusil et a informé Bonaparte de la situation réclamant un nouvel ordre pour le fusil. La réponse vint qu'il devait la remettre au successeur de Jazzar. Lors de la réception de la réponse de France, Soliman Pacha était devenu le gouverneur d'Akka et donc le fusil lui fut

Bonaparte est arrivé par terre avec son armée et l'a assiégé. Les chrétiens se sont réjouis de l'arrivée des français et la peur s'est installée dans le cœur des Druzes qui se sont réunis (au village) de Abeih pour voir ce qu'ils devaient faire et se sont accordés dans le sanctuaire de l'Émir Alsayyed (Al Tannoukhi) à résister aux français et à l'Emir (le Prince Béchir Chehab). Cheikh Abdallah Alqadi de Bayssour s'est opposé à eux. L'Emir content de sa position, lui a octroyé le droit de disposer de ses biens-fonds et l'a conforté ! Jazzar a écrit à l'Emir lui demandant le soutien de son armée, l'Emir a répondu en s'excusant du fait de la désobéissance du peuple envers lui car il leur est parvenue la nouvelle de la nomination des princes fils de l'Emir Youssef (son oncle et prédécesseur) à l'Emirat (de la montagne). Jazzar s'est fâché de cette réponse. Entretemps (la famille) des Imad s'est mouvementée dans la Békaa coupant la route de Akka et saisissant une caravane venant du (village) de Bikfaya avec le vin pour l'armée française. Les Emirs Abillama (dirigeants de la région) mis au courant de cela ont adressé (des émissaires) aux Imad réclamant le retour de la marchandise à son propriétaire. Les Imad refusèrent. Alors les Émirs (Abillama) ont envoyé des hommes à la Békaa pour punir les Imad et ils ont attaqué et pillé le village de Kamed Al haouz (dans le fief des Imad).

Entretemps vinrent des troupes de Damas pour aider Jazzar à Akka et l'Emir leur assura le nécessaire pour la route. Bonaparte écrivit à l'Emir une première fois lui demandant assistance et ce dernier refusa et ne répondit pas. Il lui écrivit une deuxième fois lui reprochant de n'avoir pas répondu et cette lettre tomba entre les mains du responsable de (la ville) de Saida qui l'envoya à Jazzar ce qui calma le courroux de ce dernier et son excuse de ne lui avoir pas envoyé des renforts. Puis il (Jazzar) lui adresse une lettre lui réclamant assistance et il répondit comme pour la première qu'il ne pouvait pas.

Dès que Bonaparte leva le siège de Akka, l'Émir et les chrétiens eurent peur de Jazzar. L'émir adressa au commodore anglais (Sidney Smith) une réponse aimable à une lettre amicale de celui-ci et la lui fit remettre par un émissaire doué de sagesse… »

Et à partir de là Tannous Chidiac a développé toutes les tractations, les intrigues, la fourberie de Jazzar, le soutien de la Sublime Porte à l'Émir Béchir suite au retrait de Bonaparte de Akka et de ses conséquences politiques.

ils l'ont envoyé par mer à Acre. Alors qu'il était dans le bateau, il vit un vaisseau de la flotte anglaise près de lui. Il fait des signes de secours. Les Anglais l'ont fait monter sur leur vaisseau dans lequel se trouvait l'amiral anglais Smith. Il l'interrogea sur sa situation et son rang. Il lui raconta de quoi il s'agissait et d'où il venait. Puis il (Smith) l'interrogea sur le gouvernement de la montagne et sur le gouverneur. Il répondit en faisant l'éloge de l'Emir Béchir de manière excessive. Smith souhaita faire sa connaissance et avoir des relations avec Béchir. Il libéra l'homme lui remettant une lettre à l'Emir réclamant son amitié, lui proposant de satisfaire tout ce dont il aurait besoin. »[32]

Et Mounayyar de développer les bonnes relations instaurées entre Smith et l'Émir Béchir – dont les cadeaux adressés par ce dernier et la grande hospitalité offerte au neveu de Smith pour sa convalescence suite à une blessure – au point que Smith deviendra l'avocat de Béchir auprès de Jazzar et des autorités ottomanes.

Querelle druze-maronite

Et Mounayyar de citer une querelle entre la famille druze des Imad (alors en conflit avec Béchir) et la famille des princes Abillama, responsables de la région du Metn au Mont – Liban suite à la saisie par les Imad d'une cargaison de vins adressée aux Français à Acre. Et sur le refus des Imad de libérer les convoyeurs et de restituer la marchandise, les Abillama ont attaqué et pillé les villages dépendants des Imad dans la Békaa – et n'était-ce les bons offices des quelques émirs Chéhab et Cheikhs Talhouk les évènements auraient connus des déroulements dramatiques.[33]

3'. Tannous Chidiac

Un chroniqueur libanais tardif Tannous Chidiac (1798–1861) auteur d'une importante chronique intitulée « Histoire des notables du Mont-Liban » publié en 1859 à l'imprimerie américaine de Beyrouth relevait ce qui suit pour l'année 1799 aux pages 448-451 de cette première édition :

« En 1799, les navires anglais sont arrivés à Akka pour la protéger des armées françaises avançant vers elle. Puis

32) Mounayyar : o.c. p. 117 – 118.

33) Mounayyar o.c. p. 123

3.Hananya Mnayyar

Le troisième auteur à avoir rappelé l'expédition française en Orient est le curé Hananaya (Jean) Mounayyar. Né en 1756 à Zouk (Kesrouan) entré dans les ordres en 1774, le Père Mounayyar devait décéder en 1823. Il est l'auteur de plusieurs ouvrages historiques et littéraires dont l'un d'eux a été publié sous deux titres différents: le premier « Les perles tressées de l'histoire du Chouf » paru en 1954 dans la revue des pères Jésuites du Liban « al Mashrek » et réédité en 1985 sous le même titre ; et le second « Histoire » publié en 1955 par les soins du Père Chebli et du Père Khalifé aux éditions de la librairie Antoine. Dans cet ouvrage donc et pour l'année 1799, l'auteur rappelle brièvement le siège d'Acre disant même que « Ces gens (les français) étaient durs à la guerre. Toute ville qu'ils assiégeaient était prise et toute armée qu'ils combattaient était vaincue… »[29]

Dans l'ouvrage « Les Perles Tressées », Mounnayyar rapporte des évènements survenus se rapportant à la présence de l'armée de Bonaparte devant Saint-Jean-d'Acre dont ce qui suit [30]: « En 1798 (1799) l'armée française est arrivée en Égypte et après avoir conquis Alexandrie et le Caire s'est dirigée vers Gaza et Jaffa puis arrivée à Acre l'ont encerclé. Ahmad Pacha Al Jazzar a contrôlé la route maritime, saisissant tout ce qu'il pouvait trouver dans les bateaux et ordonnant de faire sortir les Chrétiens des Echelles (Ports) maritimes et se préparant fortement à la guerre contre les Français ».

Jazzar et Béchir Chéhab

Plus loin Mounayyar écrit: « Au cours de l'année de l'arrivée des Français, Jazzar s'est fâché de l'Émir Béchir l'accusant de vouloir la présence des Français dans le pays et qu'il correspondait secrètement avec eux… »[31]

Et encore

« A cette époque, les musulmans de Beyrouth ont saisi un homme chrétien du Chouf, convoyant du vin français à Acre et

---

29) Mounayyar: Histoire, p. 46, édition librairie Antoine, Beyrouth 1955.

30) Mounayyar: Les perles Tressées de l'histoire du Chouf, réédition de 1984, p. 116.

31) Mounayyar:o.c. p. 116

référence précieuse et très substantielle sur la vision d'un chroniqueur libanais du début du XIXe siècle sur la Révolution et Napoléon.[27]

Ce même Émir Haydar Chehab est également l'auteur d'une « Histoire de Ahmad Jazzar » qui a été publiée pour la première fois en 1955 aux éditions de la Librairie Antoine. Les pages 123 à 135 comprennent les firmans et les ordres du Sultan Ottoman pour combattre Bonaparte ainsi que le déroulement des opérations militaires devant Saint-Jean-d'Acre.

Colonel Churchill

Il semble d'ailleurs à lire ces pages que le Colonel Charles Churchill – frère du grand-père de Winston Churchill qui a longtemps résidé au Liban et qui a publié divers ouvrages d'importance à ce sujet auxquels nous avons précédemment fait mention – ait consulté l'ouvrage de l'émir Haydar – car certains faits y sont textuellement relatés dans les textes arabes et anglais comme il s'en déduit du texte suivant : [28]

« The Talhooks guarded the passes of the River Damour, near Sidon and having seized a Maronite in the act of conveying a mule– load of provision to the French camp at Acre, sent him tied and bound to the mutsellim of Beirut, who immediately forwarded the culprit in a boat to Sir Sidney Smith.

This circumstance led to somewhat unforeseen consequences, for the british Commodore, on the prisoner being brought before him, questioned him minutely to the state of feeling amongst the mountaineers, and especially as to the character and popularity of the emir Béchir. The replies which this examination extracted were such, that Sidney.Smith. determined on opening an intercourse with that Prince, which he at once commenced, by making the prisoner the bearer of a letter to Ebtedeen, soit donc le village de Beiteddine, siège du gouvernorat de l'emir Béchir.»

27) Ce n'est qu'en 1950 que le manuscrit complet de l'ouvrage de Nicolas el-Turk sera publié intégralement par l'orientaliste Gaston Wiet dans les publications de l'Institut Français d'Archéologie orientale d'Égypte. En 1993 une autre édition intégrale bien plus méthodique avec commentaires verra le jour par les soins de Dr Amal Bachour dans les publications de Jarrous Press, Tripoli – Liban.

28) Churchill : o,c. p. 188–189, tome 1.

bibliothèque de l'érudit Issa Iskandar Maalouf (1869–1956) – et 149 pages du texte arabe n'avaient pas été traduites.

Il faut toutefois reconnaitre, à ce propos, que la partie traduite par Desgranges Ainé concernait la partie la plus originale de l'œuvre– celle où Nicolas Al-Turk en tant qu'employé dans les bureaux de l'armée française avait pu constater de visu les évènements dont il parle.

En outre et bien que l'auteur ait retenu dans son histoire le rappel année par année, des évènements – ainsi que cela était généralement usité par les chroniqueurs du temps – sa présentation des faits, son souci du détail et de l'observation, sa recherche des informations l'ont rendu suffisamment intéressant pour que Desgranges Ainé l'ait traduit et publié en français.

Il y a lieu de noter également qu'en 1838, Alexandre Cardin drogman chancelier du consulat général de France en Égypte avait publié à la librairie orientale à Paris le journal de Jabarti pendant l'occupation française qu'il avait fait suivre du « Précis de la même campagne par Mouallem (maître) Nicolas El-Turk » rendant ainsi accessible une partie du manuscrit de Al Turk.

2. Haydar Chéhab

Le second chroniqueur qui s'est intéressé à Bonaparte – et incidemment à la Révolution française est l'Émir Haydar Chehab qui est un des historiens libanais majeurs du XIX^e^ siècle. Né le 21 février 1761 à Deir el Kamar, décédé en 1835, l'Émir Haydar Chehab a laissé une œuvre historique monumentale qu'il n'est pas de notre propos d'analyser ici. Dans son ouvrage publié in extenso en 1900 en Égypte par Magabghab et repris en partie en 1933 puis réédité en 1970 dans les publications de l'Université Libanaise en trois volumes sous le titre « Le Liban au temps des Émirs Chehab ». Le tome deux de cet ouvrage contient de la page 213 à la page 342 le récit de la Révolution française (p. 213 à 219) et de l'expédition de Bonaparte en Égypte (pages 229 à 342). Une bonne partie de l'ouvrage rappelle celui de Nicolas Al Turk, et même une copie du texte de ce dernier car Turk était très lié à l'Émir Haidar au point qu'il lui a sans doute passé son manuscrit. Mais comme à l'époque l'œuvre de ce dernier n'avait pas encore été publiée intégralement en arabe et que l'édition française n'est plus disponible il pallie heureusement cette situation permettant de disposer d'une

en Syrie[26] *où je l'ai connu et y termina sa carrière en 1828. Sa famille est originaire de Constantinople, comme il nous l'apprend lui-même au sujet d'une ode qu'il a composée en l'honneur de Bonaparte, et dont M. Marcel, ancien directeur de l'Imprimerie royale, a donné une traduction avec un fac-simile lithographié d'après l'écriture de l'auteur. On lit en tête de cette ode* نظم هذه القصيدة نقولا الترك ولد يوسف الترك الإستنبولي الأصل *« Nakoula el-Turk, fils de Iouçouf el-Turk, Constantinopolitain d'origine a composé cette pièce de vers.*

Nakoula el-Turk était au service de l'Émir Béchir, chef des Druzes. Ce prince l'ayant envoyé en Egypte vers l'époque de notre expédition, il s'y trouva les trois années pendant lesquelles nos armées occupèrent cette province, et c'est là qu'il réunit les matériaux qui lui servirent ensuite à écrire son histoire.

Pour composer l'édition que je publie, j'ai eu sous les yeux trois manuscrits l'un, que j'ai fait transcrire en Syrie, d'après une copie donnée par l'auteur lui-même à un cheïkh maronite de ma connaissance; un autre, qu'a bien voulu me prêter M. Caussin de Perceval, professeur d'arabe; et le troisième, appartenant à la Bibliothèque royale. Ce dernier et le mien paraissent avoir été copiés sur le même original ; celui de M. Caussin de Perceval est plus abrégé et renferme quelques versions différentes mais il est écrit plus correctement. Je dois prévenir que ces manuscrits comprennent tous trois des fautes contre les règles de la grammaire ; j'ai corrigé dans cette édition les plus saillantes mais il en sera nécessairement resté quelques-unes qui auront échappé à mon attention, ou que j'ai cru devoir conserver pour ne pas nuire à la rime, dont l'auteur, qui était poète, orne souvent sa prose. Ces fautes, qui consistent en général dans l'emploi des cas des noms et des adjectifs pluriels réguliers et dans celui des aoristes se retrouvent presque toujours dans les écrits modernes. »

Desgranges et Turk

Il y a lieu de noter toutefois que Desgranges a présenté dans son ouvrage une partie de l'œuvre de Nicolas Turk.

En effet la traduction française concerne uniquement les pages 1 à 163 du manuscrit original – dont copie existait dans la

26) En fait la principauté du Mont-Liban gouvernée par la famille des Émirs Chehab



qui circulaient au Caire. Cette dernière remarque s'applique surtout au préambule qui précède le récit de l'expédition, et dans lequel l'auteur a voulu tracer les principaux évènements de 1793, ainsi qu'à la révolution du 18 brumaire, dont il parle à l'occasion du retour de Bonaparte en France.

Il ne faut pas non plus s'attendre à trouver dans l'ouvrage de Nakoula el-Turk la critique qui accompagne ordinairement dans nos annales le récit des faits historiques et qui en rend la lecture aussi utile qu'intéressante. Cette manière d'écrire l'histoire est étrangère aux Orientaux, et leurs compositions en ce genre ne sont le plus souvent qu'une simple chronique dénuée de toute recherche sur la cause des évènements, sur leur liaison entre eux et leurs conséquences. On pourra toutefois remarquer… quelques réflexions judicieuses, de la chaleur dans le récit des combats, et des portraits tracés avec art.

Quant aux travaux des savants qui ont accompagné l'armée et auxquels la France doit le magnifique ouvrage de la Description de l'Egypte, l'auteur ne pouvait point les apprécier, et il n'en parle pas.

Nakoula el Turk, fils de Iouçouf el-Turk, était de la religion catholique grecque. Il naquit dans l'année 1763 à Dair el-Kamar,

Desgranges à Baalbeck

Puis de Zouk les frères Desgranges allèrent en Juin 1816 visiter les ruines de Baalbeck et la ville de Damas – puis ils se séparèrent. Antoine-Jérôme alla passer huit mois en Égypte pour continuer à se familiariser avec la langue arabe et Alix, son frère, retourna à Constantinople.

De retour en France, Antoine-Jérôme nommé secrétaire interprète-adjoint pour les langues orientales continua une carrière administrative.

En quittant le Liban, Desgranges avait rapporté la copie d'un ouvrage en langue arabe intitulé « Histoire de l'expédition des Français en Égypte » par Nakoula El Turk et dont il publia le texte arabe et la traduction française comme relevé auparavant.

L'avertissement écrit par Desgranges l'ainé placé au début de la traduction française mérite en partie d'être relevé pour les clarifications qu'il apporte à la publication de cet ouvrage.

« En publiant l'histoire de notre expédition d'Égypte, écrite en arabe ..., le but que je me suis proposé n'est pas seulement d'offrir aux jeunes orientalistes, qui se livrent à l'étude de la langue de Mahomet, un texte facile et dont le style cependant n'est pas dépourvu d'élégance, mais de répandre parmi les Arabes eux-mêmes la gloire du nom français.

Je n'ai point eu la prétention, en joignant une traduction au texte arabe, de présenter une relation plus complète et plus exacte que celles déjà publiées en français sur cette partie de notre histoire militaire; j'ai pensé seulement qu'on verrait avec quelque intérêt le témoignage éclatant rendu par un Arabe au courage de l'armée d'Egypte, et l'impression que produisit notre présence dans cette contrée sur une population étrangère à nos mœurs et à nos usages. Cet ouvrage parait d'ailleurs avoir été fait avec conscience et impartialité; mais son auteur, Nakoula el-Turk, à qui la langue française était inconnue, n'a pu consulter aucun document officiel et nous transmettre avec une exactitude rigoureuse les faits dont il n'était pas témoin. On lui pardonnera donc d'avoir commis quelques erreurs, dont la plupart ne portent que sur des détails peu importants, tels que le nombre des soldats qui composaient les différents corps d'armée, celui des morts, des blessés et des prisonniers. On lui pardonnera également de n'avoir pas toujours assigné exactement aux généraux la part de succès qui était due à chacun d'eux dans les combats et les batailles, et de n'avoir été quelquefois que l'écho des nouvelles

circonstance m'a empêché de me procurer les firmans d'usage, mais n'ayant vu aucun inconvénient à m'en passer, je me suis mis en route avec un passeport, au nom du Roi, signé de M. Ruffin. Lorsque j'arrivai à Bairut, les autorités de cette ville ne firent aucune difficulté de me laisser passer pour me rendre dans le Liban.

Au lieu de me retirer dans un monastère comme j'avais annoncé à Votre Excellence devoir le faire, je me suis établi dans un grand village. J'ai pensé que j'y trouverais plus de secours pour acquérir promptement la pratique de l'arabe que parmi les moines continuellement occupés des devoirs de leur état.

Celui que j'ai choisi, appelé Zouk Michaïl, est situé sur la première chaine du Liban à quatre lieues à l'est de Bairut et à une de la mer ; il est la résidence d'un cheiqh, gouverneur du Cassérwan (Kesrouan) pour l'Emir Béchir.

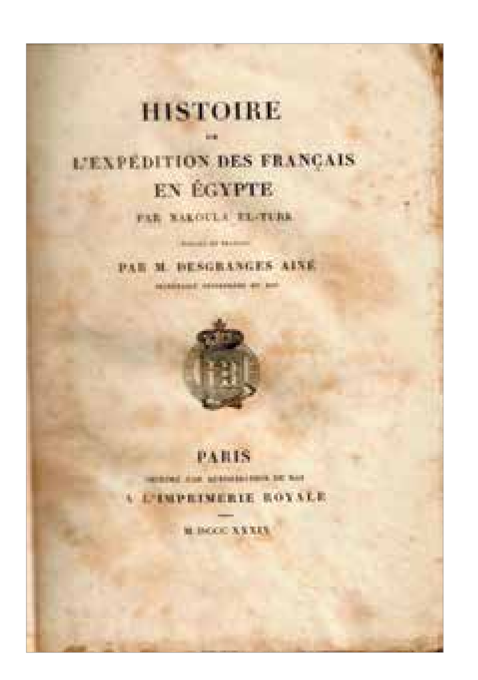
Le Cassérwan, exclusivement habité par des Maronites, fait partie du domaine que la Porte afferme aux Princes Druzes ; il n'a que deux lieues de large et douze dans sa plus grande longueur, on y compte cependant vingt-sept villages, vingt-deux couvents pour les hommes et quinze pour les femmes. Le nombre des contribuables pour la capitation est de trois mille, ce qui fait supposer une population de douze mille âmes ; il faut y joindre mille autres habitants exempts de cette taxe, ce sont les cheiqhs ou notables, ceux qui sont à leur service et tout le clergé tant séculier que régulier.

Le Prince perçoit, outre la capitation, deux autres impôts ; le premier sur le produit des terres, il est du vingtième environ ; le second est extraordinaire et n'existe que depuis la mort de Djazzar pacha, il est réparti entre tous les habitants, suivant la fortune de chacun. Ces trois impôts réunis se montent à cent cinquante huit bourses par an.

Un plus long séjour ici me mettra peut-être à même de recueillir des détails plus étendus. Je m'empresserai de les communiquer à Votre Excellence non point avec la prétention de lui donner des renseignements d'une haute importance, mais dans le désir de lui prouver le zèle, dont je suis animé pour le service de son ministère.

Je vous prie, Monseigneur de vouloir bien agréer l'hommage du profond respect avec lequel j'ai l'honneur d'être de Votre Excellence le très humble et très obéissant serviteur.

Desgranges »


HISTOIRE

DE

L'EXPÉDITION DES FRANÇAIS

EN ÉGYPTE

PAR NAKOULA EL-TURK

PAR M. DESGRANGES AINÉ

PARIS

À L'IMPRIMERIE ROYALE

M DCCC XXXIX

tous deux orientalistes firent un séjour au Liban pendant les années 1815 et 1816 pour y apprendre l'arabe. Sans vouloir retracer toutes les péripéties qui les ont conduites au Liban,[25] il y a lieu de relever qu'arrivés à Larnaca (Chypre) les frères Desgranges après avoir recueilli les informations nécessaires sur les lieux du Liban propices à leurs études et à leur séjour et ayant le choix entre un monastère établi au village de Antoura au Kesrouan et le village de Zouk Mikael – au Kesrouan également – où résidait un curé fort instruit dans la langue arabe optèrent pour ce village et s'y établirent en 1815 et en 1816 – expliquant leur choix comme suit à Talleyrand alors ministre des affaires étrangères dans une lettre datée du 24 Novembre 1815 :

« *Monseigneur,*

« *Malgré que je n'aye été chargé d'aucune mission pour la Syrie et que mon voyage n'ait d'autre but que celui de venir apprendre l'arabe vulgaire, je crois qu'il est de mon devoir de faire sçavoir à Votre Excellence que je suis arrivé à ma destination.*

À mon passage à Constantinople, les communications entre la Porte et l'ambassade de France étaient suspendus. Cette

25) Henri Dehérain : Les orientalistes Desgranges dans le Liban en 1815 et 1816 – article publié dans le Journal des Savants – 1924 p. 115 – 124

Quatre auteurs libanais ont évoqué l'expédition d'Égypte de Bonaparte. Il s'agit respectivement de Nicolas Turk (1763–1828), de l'Émir Haydar Chéhab (1761–1835), du père Hananaya (Jean) Mounayyar (1756–1823) et de Ibrahim Aoura (1796–1863). Un historien tardif Tannous Chidiac auteur de l'« Histoire des notables du Mont-Liban » paru à Beyrouth en 1859, a également rappelé ces évènements dans son ouvrage.

1. Nicolas Turk

Nicolas Turk reste à coup sûr, le principal chroniqueur libanais de l'expédition d'Égypte. Né en 1763 à Deir el Kamar, Nicolas Turk avait déjà effectué un premier séjour en Égypte entre 1789 et 1793. Lors de la conquête de Bonaparte, il est envoyé à nouveau en Égypte par l'Émir Béchir prince du Liban – pour le tenir au courant des évènements. Il est engagé dans les bureaux de Bonaparte en Égypte et il ne rentre à Deir-el Kamar (Liban) qu'en 1804.

Entretemps, Nicolas Turk devait adresser des rapports réguliers à l'Émir Béchir. Traversant nécessairement la région d'Acre gouvernée par Jazzar ces courriers devaient causer la mort d'un de ses frères établi à Acre.[24] Ces rapports et ces informations devaient constituer un ouvrage important que des lecteurs et des orientalistes libanais et étrangers semblent avoir apprécié à leur juste valeur. C'est ainsi qu'en 1839 paraissait à Paris l'ouvrage suivant en 286 pages en langue française et 240 pages en langue arabe et dont nous reproduisons les pages de titre en français et en arabe.

Desgranges au Liban

La publication de cet ouvrage dans les deux langues exige des clarifications sur l'auteur de la traduction. Antoine–Jérôme Desgranges (24 Décembre 1784 – Octobre 1864) dit Desgranges l'ainé –pour le distinguer de son jeune frère Alix Desgranges–

24) Ce fait est rapporté par Alexandre Cardin, drogman chevalier du consulat général de France en Égypte dans sa publication « Journal de Gabarti ... suivi d'un précis de la même campagne par Mou'allem (maitre) Nicolas El Turk..., p. 2, Paris 1838.

Voir aussi le « Diwan » recueil de poésies de Nicolas El Turk, réédité en 1970, tome 1, p. c. dans les publications de l'université libanaise par Fouad Efrem Al Boustany.

l'« Histoire de Cheikh Zaher Omar Al Zidani gouverneur d'Acre et de Safad »[23] de Mikhael Nicolas Sabbagh d'Acre où, après avoir raconté les tribulations de Cheikh Zaher alors gouverneur d'Acre avant Jazzar, affirme ce qui suit « *Des enfants de Zaher restés à Safad, nous n'en savons rien excepté pour Abbas qui a résidé à Nazareth ainsi que sa descendance jusqu'a nos jours. Napoléon Bonaparte l'a engagé comme collaborateur*… » (p. 163).

Pour compléter cette dernière information. Il y a lieu de relever qu'en 2016 paraissait à Beyrouth un ouvrage intitulé « Pages de l'histoire de Bilad Al Cham (région de Damas) 1697–1809 » reproduisant le manuscrit We. 979.377 de la Bibliothèque d'État de Berlin et dont l'auteur était anonyme. Cet ouvrage retrace l'histoire du Mashrek (région de Damas et l'Égypte de manière générale, l'histoire des populations de la région Mont Liban, Liban Nord, Liban Sud – chrétiens, druzes, chiites et sunnites). Ce manuscrit dont seule la Bibliothèque de Berlin possède une copie qui s'est avérée unique retrace de la page 129 à la page 176 l'histoire de l'expédition d'Égypte et de ses péripéties. Les pages 151 à 154 rapportent le siège d'Acre et surtout les rapports établis entre les enfants de Cheikh Daher Omar et Bonaparte dans la région de Bilad Bechara (Liban Sud et Nord de la Galilée) où il est dit : « …*cheikh Abbas fils de Cheikh Daher Omar et les notables des chiites se sont présentés auprès du commandant de l'Armée (Bonaparte) qui les a bien reçus et leur a accordé son soutien en argent leur remettant le gouvernement de leur région. Ils fournissaient (l'armée de Bonaparte) en munitions, et ils étaient fiers de l'arrivée des Français*. »

4 auteurs Libanais

Ceci dit, notre propos vise à présenter les chroniqueurs et les historiens libanais du premier tiers du XIX[e] siècle qui ont eu l'opportunité d'approcher de près ou de loin l'expédition d'Égypte ou de disposer d'informations de première main pour témoigner de leur apport à ce sujet. L'intérêt majeur de ce rappel, c'est que tous les ouvrages de ces chroniqueurs – exception faite d'une partie de l'ouvrage du poète et historien Nicolas Turk – n'ont jamais été traduits en une langue étrangère. Et c'est pourquoi elles représentent un apport à l'histoire napoléonienne.

23) Ouvrage publié sans date (probablement dans les années 1930) à l'Imprimerie Saint-Paul des Grecs Catholiques de Harissa par les soins du Père Constantin Bacha en 184 pages.



Troisième Partie
Les chroniques libanaises sur l'expédition d'Égypte de Bonaparte

Les ouvrages se rapportant à l'expédition d'Égypte écrits par les chroniqueurs et les historiens orientaux en langue arabe, sans être nombreux, sont néanmoins suffisamment significatifs pour être relevés. Et avant de présenter l'apport des chroniqueurs libanais, dont principalement Nicolas Turk. Il y a lieu pour la circonstance de rapporter les ouvrages suivants par souci d'équité.[22]

Jabarti

Ainsi le premier ouvrage écrit par un auteur arabe et publié en 1822 est celui de Abdallah Jabarti qui a fait partie comme scribe de l'équipe de Bonaparte en Égypte. Vaste ouvrage publié en 4 volumes, la partie réservée à l'expédition a été traduite par Cardin et publiée à Paris vers 1838.

Un autre ouvrage écrit par un Égyptien sous le titre « Histoire des évènements de cette époque » est celui d'Ismaïl Alkhachchab. Également membre de l'équipe de Bonaparte, cet auteur a tenu un genre de journal quotidien des évènements survenus en Égypte durant cette période dont étaient extraites les informations et diffusées.

Dahdah-Boustani

À ces deux auteurs s'ajoutent d'autres ouvrages en langue arabe sur Napoléon certains traduits rappelant la campagne d'Égypte et d'autres en langue arabe dont « La vie de Napoléon » par le Colonel Louis Calligaris imprimé à Paris en 1856, « l'Histoire de la France contemporaine » écrit par deux auteurs libanais Khattar Dahdah et Sélim Boustani publié à Beyrouth en 1884 en 1040 pages.

Notons aussi au nombre des chroniques ayant relevé l'expédition de Bonaparte à Acre, la référence suivante tirée de

---

22) Voir Issa Iskandar Maalouf: Les histoires de l'Empereur Napoléon en langue arabe et spécialement l'histoire de Nicolas El Turk, Revue Al Mashrek des Pères Jésuites, vol 29 (1931), p. 281–291. Toutefois Maalouf ne cite pas dans son article les auteurs libanais auxquels nous faisons référence dans notre étude.

les Talhouk à Damour et remis au responsable turc à Beyrouth qui l'adressa au commodore Sidney Smith. Celui-ci l'ayant longuement interrogé sur l'état du Liban et la personnalité de l'Émir Béchir ne trouva rien de mieux que de charger le jeune homme d'une lettre à ce dernier concernant la situation politique générale. Ce qui laisse supposer que le messager n'était pas un vulgaire convoyeur mais un homme de confiance de l'Émir Béchir dépêché auprès de Bonaparte. Car on voit mal le commodore Smith entrant en contact avec l'Émir Béchir par l'intermédiaire d'un simple paysan et le chargeant d'une lettre et d'une mission de confiance auprès de ce dernier, s'il ne s'était agi d'un proche de l'Émir ou, au moins, d'un homme entreprenant, avec son approbation, le convoyage des vivres aux Français assiégeant Saint-Jean-d'Acre.

Quant aux chiites – appelés Metualis dans les chroniques de l'époque – qui, géographiquement étaient en contact direct avec l'armée française ils ne se sont pas faits faute de s'en rapprocher – et même de collaborer – comme l'ont cité des chroniqueurs de l'époque que nous citons plus loin. Et ceci est bien compréhensif vu les malheurs et les massacres perpétrés contre eux par le wali d'Acre, Jazzar le boucher pendant de longues années.

Mont-Thabor

Ainsi donc et bien que ténue, cette relation entre Bonaparte, le Liban et l'Émir Béchir méritait d'être rappelée. Elle semble montrer que si Bonaparte a pu écrire au début qu'il lui suffisait de remporter des victoires en Égypte pour voir s'effondrer l'Empire ottoman et pour menacer la route des Indes, il s'est rendu compte ensuite que cette rupture stratégique ne pouvait être opérée que dans le maillon le plus faible de cet Empire, le Liban où la nature, les hommes et leur histoire autorisaient toutes les espérances pour son entreprise visionnaire.

Mais si Bonaparte en eut, sans doute, le pressentiment, et si c'est bien cela qui le porta à écrire sa lettre à l'Émir Béchir le 20 mars 1799 dès son arrivée à Acre, il ne fut que fugace. De la même façon qu'il jeta un regard fugitif sur le Liban, le 17 Avril 1799, quand il monta sur le Mont-Thabor et contempla au loin, devant lui, sa montagne sacrée.



personnalités des familles El Khazen et Saad Khoury comme consuls de France à Beyrouth aux XVII^e^ et XVIII^e^ siècles[17]. La chronique ne rapporte pas des contacts entre eux et Bonaparte durant le siège de Saint-Jean-d'Acre. En tant que chrétiens ceux-ci ne pouvaient que se méfier d'une révolution qui se prétendait antireligieuse, particulièrement de Bonaparte et de ses soldats qui avaient, lors de leur campagne d'Italie encore toute fraîche, provoqué la fermeture du Collège Romain Maronite, la dispersion de sa précieuse bibliothèque[18] et la mainmise sur leur imprimerie que Bonaparte avait transportée avec lui en Égypte et qu'il utilisait pour ses diffusions en langue arabe.

Incitations du Patriarche

Toutefois, le Patriarche Youssef Tyan aurait, selon certains historiens tardifs et controversés « incité ses concitoyens à s'enrôler dans l'armée française, adressant un de ses notables, cheikh Youssef Hamzé Hobeiche, au camp de Saint-Jean-d'Acre, convoyant des munitions. »[19]

Tel fut également le cas pour un convoi de vivres parti de Bickfaya, fief des émirs Abillama pour Saint-Jean-D'Acre qui fut intercepté dans la Békaa par la famille druze des Imad. Outrés, les Abillama réclamèrent sa restitution et, devant le refus des Imad, attaquèrent le village de Kamed el-Laouz qui dépendait de ces derniers.[20]

Un jeune Maronite

Autre épisode encore plus caractéristique et qui concerne l'Émir Béchir personnellement. Le colonel Churchill – déjà cité – rapporte[21] l'histoire d'un jeune maronite qui, convoyant des vivres au camp français de Saint-Jean-D'Acre, fut pris par

---

17) René Ristelhueber ancien vice-consul de France à Beyrouth a publié en 1918 un ouvrage majeur sur cette relation avec des documents à l'appui intitulé « Les traditions françaises au Liban ».

18) Eugène Boré : l'Émir Béchir in Guys : Beyrouth et le Liban, tome 2, p. 190, Beyrouth 1985.

19) P. Youssef Dagher : Les patriarches maronites, p. 57, Beyrouth 1957.

20) Chidiac : Histoire des notables du Mont-Liban, ouvrage paru en 1859 et réédité en 1970, p. 369.

21) Churchill : Mount Lebanon , tome 3, p. 188–189, Londres 1853.

… et ses explications

Bien plus tard, en 1819, l'Émir Béchir devait s'expliquer sur sa relation avec Bonaparte se confiant à un voyageur français, Louis Damoiseau, qui écrivit ce qui suit : « *Ce prince me reçut avec une cordialité parfaite, me fit même par faveur singulière, assoir près de lui sur son divan pour causer de la France et surtout de Napoléon, qu'il avait vu plusieurs fois pendant la campagne d'Égypte (aucune chronique ne rapporte ce fait. Sans doute est-ce invention ou affabulation de l'Émir*[13]).

Si ce grand capitaine avait pu s'emparer de Saint-Jean-D'Acre, j'aurais mis à sa disposition toutes les troupes du Liban mais le non-succès de cette entreprise nous faisait trop redouter les vengeances du terrible Djazzar, et nous nous bornâmes à fournir aux Français quelques provisions; pour cela seulement je faillis perdre la tête; Je ne sais comment elle est encore sur mes épaules, tant Djezzar fut irrité de ma sympathie pour les tiens. »[14]

Bonaparte compréhensif

Bonaparte, en tout cas, ne semble pas avoir gardé rancune à l'Émir et il comprit fort bien sa condition difficile : « *Il ne lui en voulut point pour ne s'être pas déclaré et avant son départ il lui donne témoignage de son amitié un précieux fusil monté en or que lui remit, en son nom, le même colonel Sebastiani* [15]». Mais si l'Émir Béchir ne répondit pas officiellement à Bonaparte du moins il semble qu'il a bien encouragé l'acheminement de vivres vers le camp français. Et à ce stade, il y a lieu de relever le comportement des communautés maronite et chiite vis-à-vis de Bonaparte – puisqu'à l'époque les sunnites dépendaient de l'autorité ottomane et les druzes de l'Émir Béchir[16].

Quant aux maronites d'abord, protégés et soutenus durant des siècles par les rois successifs en France dont particulièrement Louis XIV et Louis XV qui avaient même nommés des

13) Damoiseau : Voyage en Syrie et dans le désert, p. 2, Paris 1833.

14) Louis Demoiseau : o.c. p. 204–205.

15) Ferdinand Perrier : La Syrie sous le gouvernement de Méhémet-Ali jusqu'en 1840, p.330, Paris 1842.

16) Voir pour les relations des communautés libanaise durant cette période l'article de Joseph Mouawad « Bonaparte et les communautés libanaises », paru dans Les Cahiers de l'"Orient, no 14, 1989.



Glaive remontant à Ivan le Terrible

Avec cette lettre, Bonaparte envoie en cadeau à l'Émir Béchir un glaive datant de l'époque d'Ivan le Terrible tsar de Russie, que l'Émir devait conserver précieusement et qui fut légué, bien plus tard, par l'un de ses descendants au Musée national de Beyrouth.

Néanmoins, l'émir ne répondit pas aux avances de Bonaparte, car il était déjà en butte aux vexations du pacha d'Acre et à la concurrence de certains membres de sa famille qui cherchaient à l'évincer, De plus, il était trop fin politique pour s'aventurer contre el-Jazzar tant que la victoire des Français n'était pas assurée. Et il n'avait pas tort, comme la suite des évènements devait le montrer. Mais il était aussi trop fin politique pour ne pas pressentir l'envergure de Bonaparte et ne pas prendre date en lui donnant quelques signes de coopération, pour le cas où il réussirait dans son entreprise.

Les tergiversations de l'Émir …

L'Émir tergiversa donc. Il était, d'ailleurs, sollicité également par Ahmed el-Jazzar, mais à celui-ci il n'hésita pas à refuser son aide pour des raisons de politique intérieure, et à le lui signifier. Bonaparte adressa alors une seconde lettre à l'Émir Béchir. Ce fait est corroboré tant par le témoignage du colonel Churchill, un des aïeux de Winston Churchill[11] qui vécut longtemps dans le Liban du XIXe siècle, maria ses deux filles à deux émirs de la famille Chéhab et publia deux ouvrages majeurs concernant cette période : « Mount Lebanon : Ten years residence » en trois forts volumes parus à Londres en 1853; et « Druzes and Maronites under the Turkish rule 1840–1860 » paru en 1862 que par le témoignage des chroniqueurs locaux.[12] Cette seconde lettre tomba entre les mains du responsable de la ville de Saida qui s'empressa de la remettre à Ahmed el-Jazzar. Ce qui permit à celui-ci de constater que si l'Émir Béchir n'avait pas répondu à son appel, il n'avait pas non plus répondu à celui de Bonaparte puisqu'il le sollicitait derechef, Il tut donc sa rancœur contre lui. Mais la seconde lettre de Bonaparte disparut.

---

11) Churchill : Mount Lebanon – A ten years residence, Tome 3, p. 186, Londres 1853.

12) Haydar Chehab : Le Liban à l'époque des Émirs Chéhab, tome 1, p. 193, Publications de l'Université libanaise, Beyrouth 1969.

sein que quant au climat d'équilibre permettant à la propriété privée et à une certaine forme de liberté de se développer, phénomène totalement absent dans le reste du Proche-Orient directement gouverné et taxé par les pachas et les walis turcs.

Lettre à l'Émir Béchir

Arrivé donc devant Saint-Jean-d'Acre le 19 mars 1799, Bonaparte s'empresse d'écrire, dès le lendemain 20 mars, à l'Émir Béchir Chéhab, prince de la montagne. Il lui aurait, selon certains témoignages, adressé la missive avec un émissaire de haut rang, le général Sébastiani, qui deviendra en 1806 son ambassadeur extraordinaire après du Sultan Sélim III. Utilisant là aussi la terminologie de l'époque, il lui parle de la nation druze plutôt que du Liban ou du Mont-Liban.

« Lettre du général Bonaparte à l'émir Béchir en date du quartier. Général d'Acre le 20 mars ,1799. :

Après m'être emparé de toute l'Egypte, j'ai traversé les déserts et je suis entré en Syrie. Je me suis emparé des forts d'El-Arish, Gazza et Yaffa, qu'avaient envahis les troupes de Djezzar Pacha. J'ai battu et détruit toute son armée. Je viens de l'enfermer dans la place d'Acre, dont je suis occupé depuis avant-hier à faire le siège.

Je m'empresse de vous faire connaître toutes ces nouvelles, parce que je sais qu'elles vous doivent être agréables, puisque toutes ces victoires anéantissent la tyrannie d'un homme féroce qui a fait autant de mal à la brave nation druze qu'au genre humain. Mon intention est de rendre la nation druze indépendante, d'alléger le tribut qu'elle paye et de lui rendre le port de Beyrouth et autres villes qui lui sont nécessaires pour les débouchés de son commerce.

Je désire que, le plus tôt possible, vous veniez vous-même ou que vous envoyiez quelqu'un pour me voir ici, devant Acre, afin de prendre tous les arrangements nécessaires pour vous délivrer de nos ennemis communs.

Vous pourrez faire proclamer dans tous les villages de la nation druze que ceux qui voudront porter au camp des vivres, et surtout du vin et de l'eau-de-vie, seront exactement payés. » [10]

---

10) Testa : Recueil des traités de la Porte ottomane, Tome 1, p. 576, Paris 1892.

Pacha Ahmed el Jazzar – dit Ahmed le Boucher et c'est tout dire quant au personnage – mais en fait par le commodore anglais Sidney Smith et un officier français royaliste, Phélyppeaux, ancien condisciple de Bonaparte à l'Ecole militaire. Arrêté en France, Phélyppeaux avait réussi à s'évader de la prison du Temple en 1796, avec le même commodore Sidney Smith, qui était détenu avec lui. Il suivit ce dernier en Orient, en tant que colonel, et y mourut de la peste à Saint-Jean-d'Acre même aux derniers jours du siège, en Mai 1799.

Bonaparte pensait que cette ville ne lui résisterait que quelques jours. Il se trompait totalement et après 62 jours de siège, il dut se retirer, subissant là le premier échec notable de sa fulgurante carrière. Pire : celle-ci faillit s'achever là puisqu'il manqua de peu d'être tué lors du second assaut contre la ville le 1er Avril, un mur s'étant effondré près de lui.

Bonaparte avait imaginé un vaste dessein à partir de la chute de cette ville. Soliloquant devant son ami Bourrienne, le 8 Mai 1799, il échafaudait des plans grandioses : « Si je réussis, comme je le crois, je trouverai dans la ville des trésors du pacha et des armes pour 300 000 hommes. Je soulève et j'arme toute la Syrie qu'a tant indignée la férocité du Jezzar dont vous avez vu que la population demandait à chaque assaut la chute à Dieu. Je marche sur Damas et Alep. Je grossis mon armée en avançant dans le pays de tous les mécontents ; j'annonce au peuple l'abolition de la servitude et des gouvernements tyranniques des Pachas. J'arrive à Constantinople avec des masses armées. Je renverse l'empire turc. Je fonde dans l'Orient un nouvel empire qui fixera ma place dans la postérité et, peut-être retournerai je à Paris par Andrinople et par Vienne, après avoir anéanti la Maison d'Autriche. »[9]

Pour ce dessein c'est au prince du Liban, l'émir Béchir Chéhab, qu'il s'adresse dès qu'il arrive devant Saint-Jean-d'Acre.

Lire sur le Liban

Bonaparte ne connaissait du Liban que ce qu'il avait eu l'occasion d'en apprendre dans le « Voyage » de Volney paru en 1787. A cette lecture, il avait, cependant sans doute mesuré l'originalité de ce pays aussi bien quant à sa structure politique permettant à une dynastie de perpétuer le gouvernement en son

9) André Castelot : Napoléon en Israël, Revue Histoire pour tous, no 90.

les montagnes au premier rocher, à la première gorge facile à défendre tandis que les maîtres du Liban et de l'Anti-Liban y conservent constamment leur indépendance, leurs mœurs et le souvenir du fameux Facardin (Fakreddin) » [8]

Deuxième Partie
Bonaparte, l'Émir Béchir et les parties libanaises

Parvenu donc aux portes de Saint-Jean d'Acre, Bonaparte, en bon lecteur de Volney et de Tott décida qu'il était nécessaire pour le succès de son expédition et de ses visées politiques de prendre contact avec le gouverneur de la montagne libanaise, le Prince Béchir Chéhab (1769–1850) dont quarante ans passés à la tête de la Principauté (1789–1840) avec quelques interruptions de courte période. Il y a lieu de relever ici, pour une bonne compréhension de la structure institutionnelle de cette montagne libanaise que lors de la conquête du Proche Orient en 1516 par le Sultan Sélim 1er, celui-ci pour éviter une lutte fatigante et coûteuse en hommes dans cette montagne a accordé à la famille princière autochtone druze des Maan de gouverner directement le territoire, de collecter les impôts et de les verser au Trésor. Ce gouvernorat autonome – dont Volney a longuement analysé le caractère véritablement singulier sur le plan institutionnel – s'est perpétué jusqu'en 1842, avec en 1697 le passage du gouvernorat de la famille des Maan à la famille des princes Chéhab.

Béchir Chéhab

C'est donc au Prince (Émir) Béchir Chéhab descendant d'une lignée familiale prestigieuse remontant au Prophète Mohammad – mais convertie au Catholicisme en 1754 – que s'adresse Bonaparte à partir du siège engagé de la ville de Saint-Jean-d'Acre.

Bien que marginal, cet épisode de la campagne de Bonaparte en Orient intéresse directement le Liban et les Libanais et il y a lieu d'en évoquer les termes.

Ainsi donc après avoir traversé le désert de Sinaï et prit El-'Arish et Jaffa, Bonaparte met le siège devant Saint-Jean-d'Acre le 19 mars 1799. Cette ville était alors défendue en droit par le

---

8) Baron de Tott : Mémoires Tome I, p. XIII – XV, Amsterdam 1784.

2.Baron François de Tott

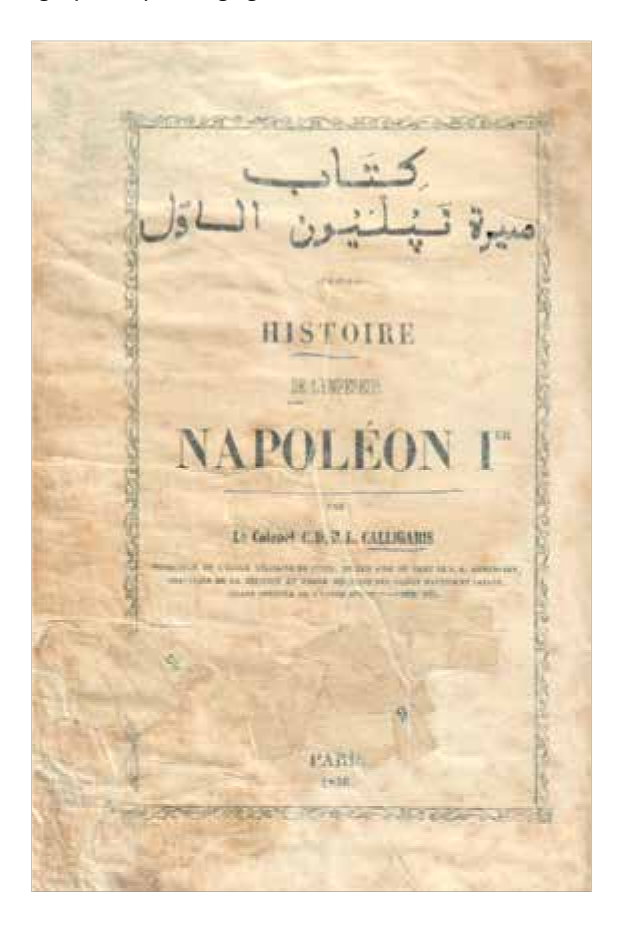
Au témoignage de Volney s'ajoute celui du Baron François de Tott (1733–1793) qui mérite ici d'être relevé. Son ouvrage intitulé « Mémoires sur les Turcs et les Tartares » paru en quatre parties à Amsterdam en 1784–1785 constitue une référence, particulièrement du fait de la personnalité de l'auteur qu'il est utile de rappeler car son ouvrage est l'un des premiers donnant des notions exactes sur l'histoire, les mœurs et les institutions dans l'Empire ottoman. De Tott, diplomate et général français d'origine hongroise se rend en 1755 à Constantinople en qualité de secrétaire de son oncle, Charles Gravier, comte de Vergennes, nommé ambassadeur de France auprès de la Sublime Porte et qui deviendra plus tard le ministre des Affaires Étrangères de Louis XVI. Sa mission principale était d'apprendre la langue turque et d'enquêter sur la situation de l'Empire ottoman. Lors de la guerre russo-turque (1768–1774), de Tott fut appelé par le gouvernement ottoman à défendre les Dardanelles contre la flotte russe puis fut impliqué dans la réforme de l'armée ottomane. Il construisit une nouvelle fonderie d'artillerie mobile. De Tott a voyagé dans tout l'Empire ottoman visitant les villes côtières de la Méditerranée (Alexandrie, Alep, Smyrne…) prospectant même l'idée de construire un canal à Suez. Menacé lors de la Révolution, il quitta la France en 1790 et retourna en Hongrie où il mourut en 1793.

Après avoir donc parcouru une grande partie de l'Empire ottoman, le Baron de Tott devait écrire parlant de la montagne libanaise :

« *Il n'est pas moins utile d'observer la nature du pays conquis, afin de ne pas considérer sous le même aspect les peuples montagnards qu'on ne domine jamais et ceux des plaines qui sont toujours faciles à subjuguer… L'homme tend invinciblement vers la liberté ; dès qu'il entrevoit la possibilité d'en jouir, il se détermine à se la procurer. Dans un pays montagneux, il y conserve une indépendance que le site favorise : accoutumé à gravir les montagnes, il les franchit sans difficultés, et c'est de leur sommet, qu'il brave le pouvoir auquel l'habitant des plaines n'est pas moins fournis par l'habitude que par la nature du terrain qu'il habite et dans lequel l'abondance et le repos le consolent de l'assujettissement qu'il éprouve tandis que le seul attrait de la liberté dédommage l'habitant des privations et des fatigues qu'elles lui causent. En parcourant la côte de Syrie, on voit le despotisme s'étendre sur toute la plage et s'arrêter vers*

octobre 1799, le Moniteur inséra la note suivante : « *Bonaparte a fait de grands compliments à Volney sur son voyage d'Egypte et de Syrie. Il lui a dit qu'il était à peu près le seul des voyageurs qui n'eut pas menti, et qu'il avait su joindre au mérite de la fidélité le plus grand talent d'observation*[7] ». Bonaparte estimait tellement l'ouvrage de Volney qu'il l'annotait encore avec soin à Sainte-Hélène.

Ce voyage de Volney dans sa partie libanaise, et au-delà de sa valeur proprement littéraire et documentaire, a donc constitué un ouvrage politique engagé.



7) Volney : o.c. p. 16

qui, offrant partout de grandes défenses, a donné à chaque village, et presque à chaque famille, le moyen de résister par ses propres forces, et par conséquent d'arrêter l'extension d'un seul pouvoir; enfin l'on doit compter pour une troisième raison, la faiblesse même de cette société qui, depuis son origine, environnée d'ennemis puissants, n'a pu leur résister qu'en maintenant l'union entre ses membres; et cette union n'a lieu, comme l'on sait, qu'autant qu'ils s'abstiennent de l'oppression les uns des autres et qu'ils jouissent réciproquement de la sûreté de leurs personnes et de leurs propriétés. C'est ainsi que le gouvernement s'est maintenu de lui-même dans un équilibre naturel ; et que les mœurs tenant lieu de lois, les maronites ont été préservés jusqu'à ce jour de l'oppression du despotisme et des désordres de l'anarchie. »[4]

Concernant particulièrement le gouvernement des émirs de la montagne, Volney écrit: « Tout cheikh et tout paysan qui, par son esprit ou son courage, a quelque crédit, a droit d'y donner sa voix; en sorte que l'on peut regarder le gouvernement comme un mélange tempéré d'aristocratie, de monarchie et de démocratie. Tout dépend des circonstances: si le gouverneur est un homme de tête, il est absolu; s'il en manque, il n'est rien. La raison de cette vicissitude est qu'il n'y a point de lois fixes; et ce cas qui est commun à toute l'Asie est la cause radicale de tous les désordres de ses gouvernements. »[5] Pour éviter ces désordres, instruits par ce mauvais exemple, Volney en conclut à la nécessité des lois. Et d'affirmer, parlant de l'Orient: « Si donc il arrive que ses produits ne répondent pas à ses moyens, c'est moins à son état physique qu'à son régime politique qu'il en faut rapporter la cause. »[6]

Livre de chevet de Bonaparte

L'intérêt majeur de l'œuvre de Volney est d'avoir établi des comparaisons et des corrélations entre les avantages de la liberté mais d'une liberté en situation, du respect de lois claires et nettes d'une part et, de l'autre, la décadence due au despotisme et aux abus incontrôlés des dirigeants. Bonaparte en fera un de ses livres de chevet durant sa campagne d'Orient. Aussitôt rentré à Paris, il accorda audience à Volney et, le 26

---

4) Volney: o.c. p. 220–221

5) Volney: o.c. p. 239

6) Volney: o.c. p. 355

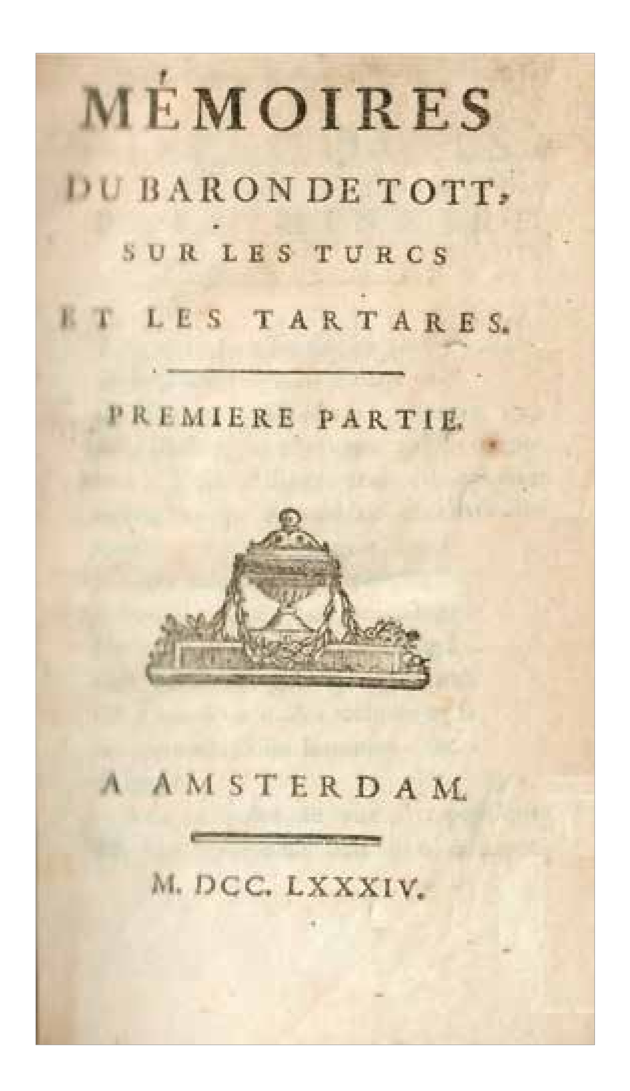
Au Mont-Liban : La puissance de l'idée de liberté

Au cours de son voyage, Volney a passé plusieurs mois au Mont Liban qui lui a inspiré quelques pages d'une valeur politique significative pour l'époque. Il écrivait, en effet, en 1787 et il a élaboré sa réflexion politique après avoir froidement analysé et étudié les structures de l'Empire ottoman. L'idée de liberté s'est, de la sorte, fondée chez lui sur une analyse de situation qui l'a amené à justifier concrètement la puissance motivante de la liberté là où elle existe, telle qu'il l'avait constatée de visu. C'est ainsi qu'il écrira, parlant de la montagne libanaise : « ...L'habitation de ces montagnes [est] compensée par un avantage qui rend leur séjour préférable à celui des plus riches plaines; je veux dire par la sécurité contre les vexations des Turks. Cette sécurité a paru un bien si précieux aux habitants, qu'ils ont déployé dans ces rochers une industrie que l'on chercherait vainement ailleurs. A force d'art et de travail, ils ont contraint un sol rocailleux à devenir fertile. Tantôt pour profiter des eaux, ils les conduisent par mille détours sur les pentes ou ils les arrêtent dans les vallons par des chaussées; tantôt ils soutiennent les terres prêtes à s'écrouler, par des terrasses et des murailles. Presque toutes les montagnes, ainsi travaillées, présentent l'aspect d'un escalier ou d'un amphithéâtre, dont chaque gradin est un rang de vignes ou de mûriers. J'en ai compté sur une même pente jusqu'à cent et cent vingt, depuis le fond du vallon jusqu'au faîte de la colline; j'oubliais alors que j'étais en Turquie, ou, si je me le rappelais, c'était pour sentir plus vivement combien est puissante l'influence, même la plus légère, de la liberté[3]. »

Religion et nature

Plus loin, parlant de ce qu'il appelle la forme de gouvernement, Volney écrit, utilisant un vocabulaire et une logique sous plusieurs aspects prérévolutionnaires, que celle-ci « n'est point fondée sur des conventions expresses mais seulement sur les usages et les coutumes. Cet inconvénient eût eu sans doute dés longtemps de fâcheux effets, s'ils n'eussent été prévenus par plusieurs circonstances heureuses. La première est la religion qui, ... a empêché les ambitieux de se liguer avec les étrangers pour asservir leur nation. La deuxième est la nature du pays,

3) Volney : o.c. p.164



MÉMOIRES

DU BARON DE TOTT,

SUR LES TURCS

ET LES TARTARES.

PREMIERE PARTIE.

A AMSTERDAM.

M. DCC. LXXXIV.

Tott (Première Partie), de ses contacts avec l'Émir Bachir Chéhab alors Prince de la principauté du Mont-Liban et de la population (Deuxième Partie) et surtout des chroniques des historiens libanais de l'époque sur les implications de cette conquête (Troisième Partie).

Première Partie
Bonaparte et sa connaissance du Liban

Deux auteurs et voyageurs d'Orient ont été pour Bonaparte une source d'informations et de documentation – à savoir Volney membre de l'Institut puis de l'Académie française – et le Baron de Tott. Et il y a lieu de présenter leur approche de cette société proche-orientale dans sa spécificité et son originalité.

1. Volney d'abord

Lorsqu'en 1787, paraît à Paris un « Voyage en Syrie et en Égypte » en deux volumes in 8 chez Volland et Desenne, l'auteur qui signe sous le pseudonyme de Volney et dont le vrai nom est Constantin-François Chassebeuf est un jeune homme de trente ans, absolument inconnu, qui vient de passer trois ans en Orient de 1784 à 1786. Très vite, cet ouvrage connaît un succès certain : il est réédité en 1789, 1790 et 1792, traduit en anglais (1787), en allemand (1788) et en néerlandais (1789).

C'est grâce au succès de ce livre, dira le professeur et écrivain français Jean Gaulmier – qui fut un grand ami de l'Orient et du Liban où il a passé près de trente ans de carrière, et le meilleur connaisseur de Volney à qui il a consacré maintes études, dont « Idéologue Volney » paru à Beyrouth en 1951, et qui a fait rééditer le « Voyage en Syrie et en Égypte » en 1958 aux Editions Mouton et Cie – que « Volney dut d'être élu aux États généraux par le Tiers de la Sénéchaussée d'Angers (...) La rédaction de l'ouvrage lui permet de préciser ses idées en matière politique, de les coordonner en système : de son expérience orientale, il tire un programme pratique de réformes applicables à la France. L'Empire ottoman lui a montré, par l'absurde, les inconvénients du despotisme et du cléricalisme, et confirmé solidement les leçons de ses maîtres d'Holbach et Helvétius[2] ».

2) Volney : Voyage en Syrie et en Égypte, p. 15, Edition Mouton 1958.



Négociations politiques et diplomatiques

Ces tergiversations politiques devaient être levées avec l'approbation de Bonaparte de mener cette campagne comme proposé par Talleyrand qui promettait de se charger des négociations politiques et diplomatiques pour en clarifier les buts et amener le Sultan ottoman à une compréhension positive de cette campagne, l'Egypte étant alors une province ottomane. Plus encore, il y a lieu de ne jamais négliger ou oublier le fait que Bonaparte, né en Corse, était un véritable méditerranéen et que la conquête de l'Egypte représentait pour lui une fascination. En outre, entré à l'Institut, il était devenu le confrère du philosophe et orientaliste Volney auteur d'un célèbre « Voyage en Egypte et en Syrie » paru en 1787 et avait lu entre autres ouvrages les « Mémoires du Baron de Tott sur les Turcs et les Tartares » publié en quatre volumes à Amsterdam en 1784.

L'expédition

La décision politique étant finalement prise et même, pourrait-on dire arrachée par Talleyrand et Bonaparte au Directoire, celui-ci s'embarque à la tête de l'expédition le 19 mai 1798 à Toulon et, après avoir pris Malte et traversé sans encombre la Méditerranée, arrive le 30 Juin 1798 à Alexandrie. La campagne militaire commence immédiatement et, après la victoire de la bataille des Pyramides le 21 Juillet 1798, la conquête de l'Egypte est acquise et Bonaparte peut commencer à organiser cette conquête – avec principalement l'arrêté du 22 août 1798 créant l'Institut d'Égypte qui devait accorder à cette campagne une auréole scientifique éminente.

Vers Akka

Ceci dit et après avoir organisé la conquête de l'Égypte, Bonaparte va porter son regard sur la côte de la Méditerranée orientale avançant et conquérant El Arich, puis Jaffa et se retrouver en face de Saint-Jean-d'Acre (Akka), qu'il devait assiéger du 19 Mars au 21 Mai 1799 sans pouvoir la conquérir. Et c'est dans le cadre de cet arrêt et de ce siège qu'il y a lieu d'envisager la relation de Bonaparte avec le Liban sur le triple plan de sa documentation grâce aux ouvrages de Volney et de

Bonaparte et le Liban à travers les chroniqueurs Libanais

Hyam Mallat[1]

La conquête de l'Égypte avait déjà été envisagée au XVIIe siècle avec un projet proposé à Louis XIV par Leibniz sans connaître de suite. Avec la Révolution française et l'instauration du Directoire, la montée en puissance du Général Bonaparte après ses succès militaires et diplomatiques en Italie, ont fait envisager le projet de conquête de l'Égypte pour des raisons politiques et économiques : politiques avec le projet de Talleyrand, alors ministre des Relations Extérieures du Directoire, de contrer l'Angleterre dans une région sensible à son prestige et à son commerce pour la route des Indes – alors que Barras, membre du Directoire voyait dans cette campagne d'Égypte un excellent moyen d'éloigner de France un Bonaparte ambitieux – devenu un général gênant, mais relativement sceptique sur l'impact de cette conquête sur le continent indien. En effet Barras avait voyagé dans cette région et, en 1777 le vaisseau « Le Duc de Duras » de Marseille commandé par le Capitaine Pierre Blancard parti de l'Isle de France pour Pondichéry le 26 Février 1777 fit naufrage sur l'Isle d'Emiti dans les Maldives – et Barras était au nombre des naufragés qui avaient été recueillis par le roi des Maldives. La relation de ce naufrage a été consignée dans un manuscrit daté de 1777 du capitaine Pierre Blanchard intitulé « Relation de la route et des circonstances du naufrage du vaisseau Le Duc de Duras de Marseille commandé par le capitaine Pierre Blanchard, parti de l'Isle de France pour Pondichéry le 26 février 1777 et naufragé sur l'Isle d'Emiti l'une des Maldives située par les 3 degrés 12 minutes de latitude nord et par les 71 degrés de longitude orientale ». Parmi les naufragés se trouvait Barras, le futur révolutionnaire qui n'est cependant pas mentionné dans le manuscrit – lequel a été proposé à la vente par le libraire Chamonal (Paris, rue Drouot) à 9500 Euros, il y a cinq ans (2019).

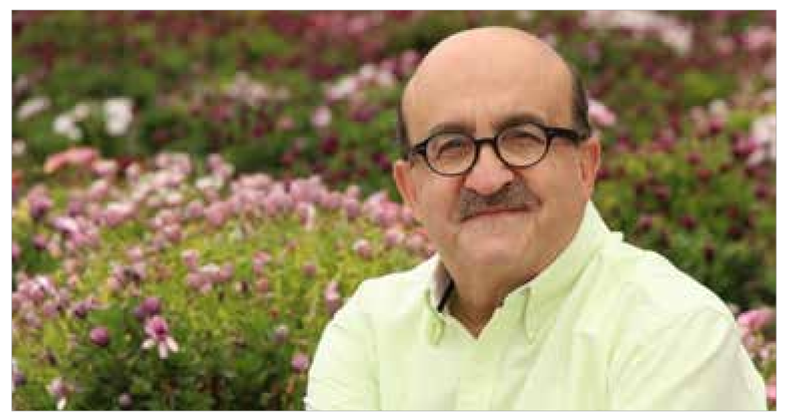
---

1) Avocat et sociologue, Professeur à l'USJ, ESIB, ancien Président du Conseil d'Administration de la Sécurité Sociale puis des Archives Nationales.

Patrimoine Historique

Hyam Mallat

Bonaparte et le Liban à travers les chroniqueurs Libanais



Composer Joseph Khalifeh (music)

everyone alike," much like the institution it celebrates, he said. Every high and low of the melody, he added, stands for perseverance through the tumultuous journey that LAU and its students have endured amid Lebanon's economic and political adversities.

Both artists expressed their wish that the university community would view LAU and its legacy as a force that has inspired hope, withstanding Lebanon's darkest days and raising the bar for excellence in education.



more than an educational hub, but rather a beacon of hope, a sanctuary for the intellect, and a guardian of cultural identity," he said.

Aware of the immense responsibility, Zoghaib wanted to craft a piece that would resonate with the entire LAU community, from its current students to its vast network of alumni across the globe who share individual and collective connections with their alma mater.

He portrays the university as a nurturing mother and a source of sustenance for those seeking knowledge and guidance on their path forward. Through imagery evoking an illustrious past and hope for the future, the anthem extols LAU's pledge to provide top-notch education, encourage a thirst for knowledge, and equip students with the skills they need to succeed in a fast-changing world.

Zoghaib drew on LAU's history to reiterate its mission through the verses. The university has consistently served as a guide for those seeking to build a better future, he noted, whether by empowering students to advance in their careers and stay ahead of emerging trends, or fostering a supportive environment for faculty to excel.



Writing the words, however, carries only half the weight of the anthem, which is why when Khalife was approached to set the words to music, he needed to evoke the same depth of emotion that carries the legacy.

For over three decades, Khalife has composed songs for renowned Lebanese artists, such as Majida El Roumi, Joumana Medawar, and Nabiha Yazbek. He has also helped shape the musical culture at LAU, establishing numerous courses and bringing to life the sounds that have accompanied university events.

He approached the composition with the belief that music, like education, has the power to shape individuals and mold them into who they are meant to be. "Just as every person is born with an innate sense of rhythm, from the beating of their heart to the sounds of their environment, so is every student shaped by the educational journey they undertake," said Khalife.

He sought a melody that would resonate with the listener on a deeply personal level.

"I wanted the music to be a universal language, one that would transcend cultural and linguistic barriers and connect

Over the past century, LAU has evolved from a small college into a major academic institution of Lebanese and global merit, steadfast in its commitment to excellence in education.

For Henri Zoghaib, founder and director of LAU's Center for Lebanese Heritage (CLH), and Joseph Khalife, senior instructor and musician-in-residence, this called for an ode that would befit the tribute to LAU's first century and inspire those to come. The same objectives were echoed by LAU President Michel E. Mawad, who championed paying tribute to LAU's centennial "in ways that engage our entire community, demonstrate LAU's footprints in all academic areas, and move our internal stakeholders, friends and supporters in their commitment to the university."



Poet Henri Zoghaib (Lyrics)

Both Zoghaib and Khalife viewed creating the LAU Centennial Anthem as a significant responsibility that required a balance between words and music to honor the university's long-lasting impact.

As individuals who have long sought to serve the LAU community, each brought his expertise and understanding to the project to ensure the result is an anthem that reflects the university's dedicated history and its future goals.

In this spirit, Zoghaib took up the task of writing a poem in Arabic that explores the rich past of the university and the supportive role it has played in the lives of its students, its community and the evolution of the country.

In the 25 years that Zoghaib has spent championing Lebanese heritage through the CLH, he has always found LAU "to be

The Anthem that Commemorates a Century

LAU's own encapsulate the university's century-long legacy of educational excellence and its steadfast mission to inspire future generations.



The concert conducted by Sister Marana Saad

صدر في «مرايا التراث»

العدد الأول: خريف ٢٠١٤/شتاء ٢٠١٥

*** تراثنا اللبناني: معالم وعلامات**

- **حسان حلاق:** بلدية بيروت المحروسة في العهد العثماني
- **يوسف الحوراني:** حرمون جبل التجلي ونيسا مغارة أدونيس
- **ابرهيم كوكباني:** بعلبك مدينة الشمس اللُغز الذي لم يعُد لغزًا

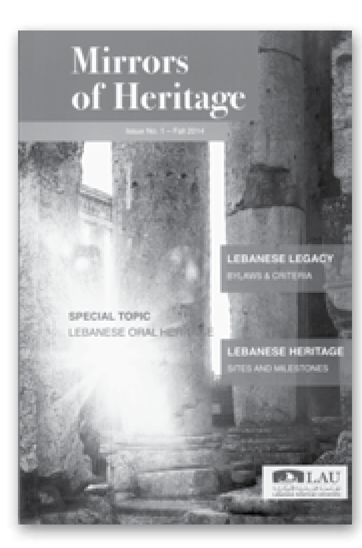
*** ملف العدد: التراث اللبناني الشفوي بين المروي والمحكي والموسيقي**

- **عبداللطيف فاخوري:** بيروت... إحكي لنا من تراثك المرويّ
- **جوزف أبي ضاهر:** الزجل اللبناني من البدايات – شعر الحياة اليومية والتراث
- **كفاح فاخوري:** من فصول الحياة الموسيقية في لبنان
- **محمود زيباوي:** التراث الفولكلوري الشعبي كما تناوله الأخوان رحباني
- **ناصر مخول:** الآلات الموسيقية التراثية: تصنيعها والعزف عليها
- **بديع الحاج:** Le chant traditionnel au Liban

*** إرثنا التراثي: تشريعات ومعايير**

- **حنا العميل:** التراث الثقافي غير المادي: تحديات المحافظة عليه
- **نسيب حطيط:** أسباب التلف والدمار في المصادر التراثية
- **محمد ناصر:** دور التشريعات في حفظ التراث وحمايته





العدد الثاني: ربيع/ صيف ٢٠١٥

عدد خاص في موضوع: لبنان في الأرشيف الوطني والدُوَلي

* لبنان في الأرشيف المحلي

- **أحمد حطيط:** لبنان في أرشيف الحروب الصليبية
- **الياس القطار:** أرشيف لبنان في العهد المملوكي
- **أنطوان القسيس:** لبنان في الزمن الفينيقي
- **بطرس لبكي:** حرير لبنان في الأرشيف المحلي والأجنبي
- **جوزف أبو نهرا:** لبنان في أرشيف الأديار
- **حسان حلاق:** لبنان في أرشيف بيروت
- **رياض غنام:** لبنان في الأرشيف الأهلي
- **عبدالله الملاح:** لبنان في أرشيف المتصرفية
- **عمر عبدالسلام تدمري:** لبنان في الأرشيف الإسلامي

* لبنان في الأرشيف الأجنبي

- **أنطوان الحكيّم:** لبنان في الأرشيف الفرنسي
- **عباس أبو صالح:** لبنان الخمسينات في الأرشيف الأميركي
- **عبداللطيف الحارس:** لبنان في الأرشيف البريطاني
- **كرم رزق:** لبنان في الأرشيف النمساوي
- **مسعود ضاهر:** لبنان في الأرشيف الأميركي





العدد الثالث: خريف ٢٠١٥ /شتاء ٢٠١٦

* **تراثنا العمرانيّ**

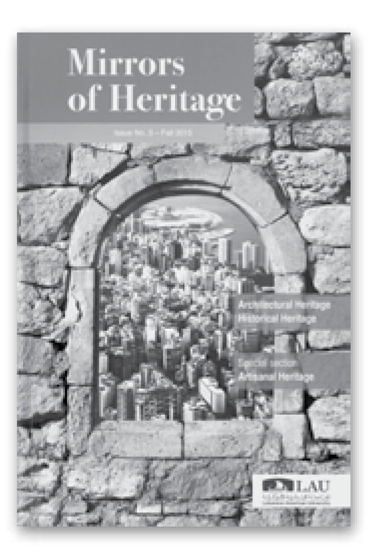
- **نسيب حطيط**: التراث العمراني في بيروت بين الهدم والتنمية المستدامة
- **مي عبود أبي عقل**: تراثُ لبنان بالاندثار... مُهَدَّد
وقانونٌ حمايته في مجلس النواب... مجَمَّد
- **أنطوان فشفش**: تطور الأشكال العمرانية والمدنية في بيروت منذ نهاية القرن التاسع عشر

* **ملف العدد: تراثنا الحِرَفيّ**

- **عبداللطيف فاخوري**: تقاليد شعبيَّة... قبل أَن تَزُول

* **تراثنا التاريخيّ**

- **جورج شلهوب**: الحيّز الجغرافي اللبناني بين التمايز والتبعيّة في العهدين الأموي والعباسي
- **مسعود ضاهر**: المسألة الطائفية في لبنان: المسار التاريخي والآفاق المستقبلية
- **مروان أبي فاضل**: جبل الكرمل: صراع بين النبي الياس وكهنة بعل صُور الفينيقي





العدد الرابع: ربيع / صيف ٢٠١٦

*** تراثنا غير الماديّ**

- **وجيه فانوس**: الشخصية التراثية المدينية في الوجدان الشعبي البيروتي

*** تراثنا الماديّ**

- **رجا لبكي**: مدخل إلى دراسة الحضارة الماديّة في لبنان

*** ملف العدد : تراثنا الصحافيّ**

- **جوزف أبي ضاهر**: الصحافة اللبنانية من أَلِفِها إلى يائِها

*** لبنان على أقلام الرحالة (١)**

- **أَحمد حطَيط**: لبنان في كتابات الرحالة الأندلسيّين في العصور الوسطى

*** تراثنا العائلي**

- **أنطوان مسرة**: التربية على التراث من الشعار والحنين إلى السلوك في الحياة اليومية

* Liban: patrimoine historique et touristique

- **Hareth Boustani:** Deir el-Qamar: patrimoine architectural et urbain
- **Abdel-Raouf Sinno:** The journey of the German emperor William II to Bilâd ash-Shâm in 1898





العدد الخامس: خريف ٢٠١٦/شتاء ٢٠١٧

* تراثنا الماديّ
- **أنيس شعيا**: مَعْلَمٌ لبنانيٌّ أَثري وتاريخي في عكار
- **سولانج الحلو**: موقع الأوقاف الدينيّة في الحضارة الماديّة

* ملف العدد: تراثنا الشعبيّ
- **عبداللطيف فاخوري**: بيروت أيام زمان: الطب وطب الأسنان والصيدلة

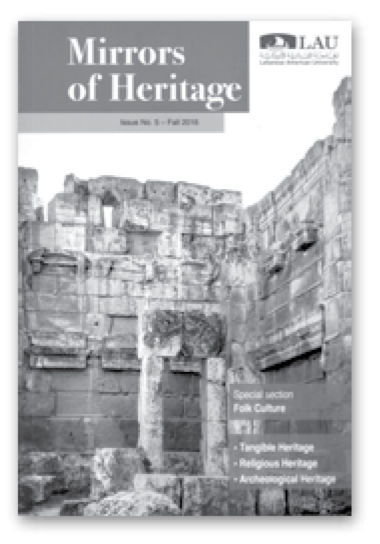
* تراثنا الدينيّ
- **عمر عبدالسلام تدمري**: جامع طينال الحاجب في طرابلس

* لبنان على أقلام الرحالة (٢)
- **بيار مكرزل**: لبنان في رحلة المستشرق البلجيكي أَنسيلمي أَدورنو

* Notre patrimoine religieux
- **Antoine Fischfisch:** Église Mar Zakhia – Ajaltoun entre revitalisation et restauration
- **Paul Zgheib:** L'art Syriaque: les paradigmes de l'existence

* Notre patrimoine historico-archéologique
- **Jeanine Abdul Massih:** La carrière archéologique de Baalbek dévoile son secret





العدد السادس: ربيع / صيف ٢٠١٧

* تراثنا الماديّ

- **مروان أبي فاضل**: صيدا وصور في العصر الحديدي (مملكة موحّدة أم مملكتان؟)

* مَلَفّ العدد : تراثنا الشعبيّ

- **علي شعيب**: الزعامة الشعبية في جنوب لبنان (أَحمد الأَسعد نموذجًا)

* لبنان على أقلام الرحالة (٣)

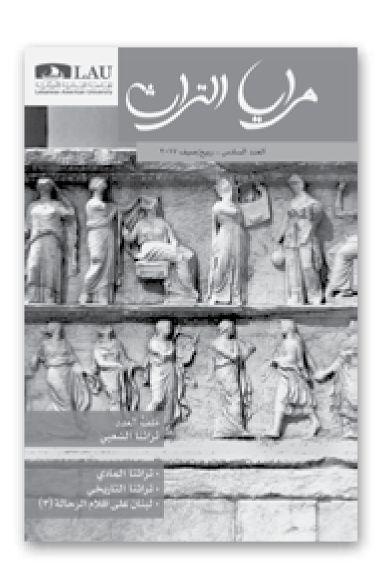
- **أَحمد حطَيط**: لبنانِ وبلاد الشام أَيّامَ حروب الفرنج في الشرق من خلال رحلة ابن جبَير الأندلسي (٥٧٨–٥٨١ هـ/١١٨٣–١١٨٥م)

* تراثنا التاريخيّ

- **ليندا رزق**: ظاهرة رائدة في الشرق العربي: التعليم العالي في لبنان: نشأته، منطلقاته

* Notre patrimoine historique

- **Dr Ibrahim Kaoukabani:** Les stèles de Nahr el Kalb





العدد السابع: خريف ٢٠١٧/شتاء ٢٠١٨

*** تراثنا الماديّ**

- **د. عصام علي خليفة**: الصَرَفَنْد (صربتا قديمًا) حاضرة فينيقية منسية بين التاريخ والتقاليد
- **د. صولانج موريس الحلو**: معاصر الزيتون ومطاحن الحبوب في قضاء الشوف إبّان الحكم العثمانيّ

*** مَلَفّ العدد: صفحة بهيّة من تاريخ لبنان المعاصر**

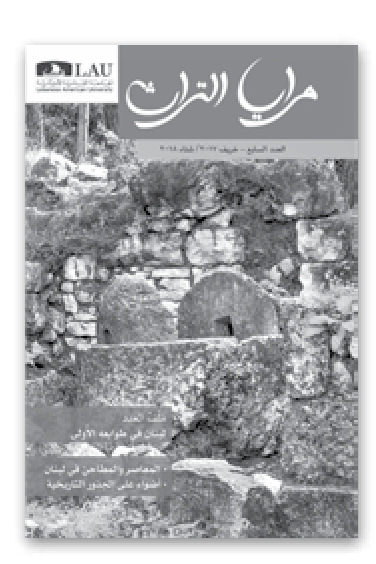
- **وسام اللحام**: لبنان في طوابعه الأُولى: منذ إِعلان دولة لبنان الكبير حتى الاستقلال

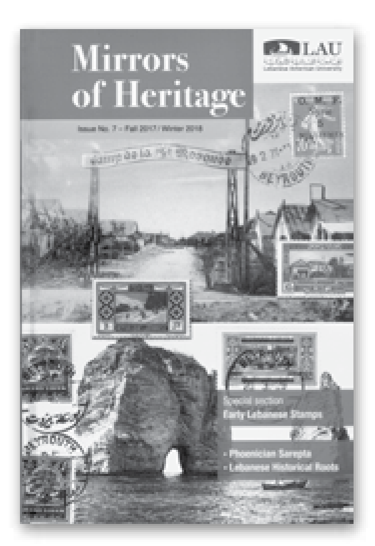
*** تراثنا غير الماديّ**

- **د. مسعود ضاهر**: أَثَر التنظيمات العثمانيّة على المسأَلة اللبنانيّة (١٨٣٥ – ١٨٦٠)
- **د. جورج شلهوب**: أَضواء على الجذور التاريخية للكيان اللبناني
- **د. أَمين الياس**: التجديد في منظومة الفكر العربي (المعلم بطرس البستاني نموذجًا)

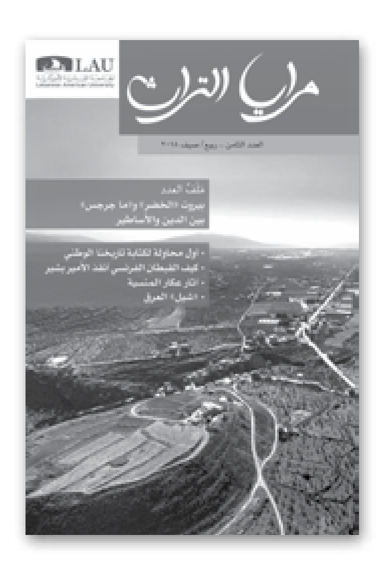
*** مراسلات**

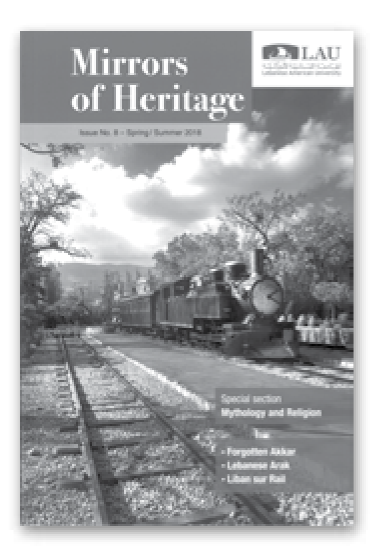
- **أ.د. عمر عبدالسلام تدمري**: بعلبك... لا ستة أعمدة بل ثمانية!





العدد الثامن: ربيع/صيف ٢٠١٨





العدد التاسع: خريف ٢٠١٨/شتاء ٢٠١٩

*** تراثنا الأدبيّ**

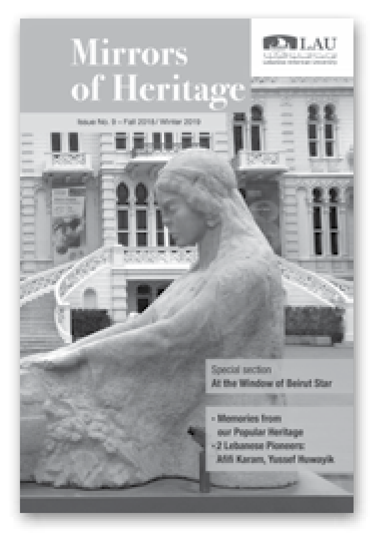
- **د.إلهام كلاّب البساط:** اللبنانية عفيفة كرم «غادة عمشيت» رائدة الرواية في الأدب العربي
- **د. إيلي حليحل:** ذاكرةُ تُراثنا التاريخيّ/الاجتماعيّ في أَعمال أَنيس فريحة

*** مَلَفّ العدد: نافذة على نجمة بيروت**

- **عبد الفتاح خطاب:** زاوية حنين من ذاكرة بيروت: «مقهى الحاج داود»
- **د. وجيه فانوس:** عمر الزّعنّي شاعِرُ الشَعب وعاشِق بَيْرُوت
- **عبد اللطيف فاخوري:** الهندسة المعمارية في بيروت

*** تراثنا التاريخيّ**

- **د. ليندا رزق:** حميد فرنجية: رجل الاستقلال والمواقف الوطنيّة
- **د. ديانا بشارة جحا:** يوسف الحويك رائد النحت في لبنان





العدد العاشر: ربيع/صيف ٢٠١٩

* تراثنا غير الماديّ

- **أنطوان مسرّه**: تراث لبنان القيمي ثقافة من أمس تربيةٌ لجيل الغد

* تراثنا الماديّ

- **د. كمال ديب**: المذاقُ اللبناني إِرثٌ من بلادنا إِلى كل بلاد
- **د. رجاء يوسف لبكي**: الأَتُّون... سَهَر وسَمَر في انتظار الكِلْس

* مَلَفّ العدد: بعلبك كما كانت... بيروت لو تكون

- مخطَّطات هيكل جوبيتر-بعلبك في كتاب «المهرجان»

* Notre patrimoine musical

- **P. Badih El Hajj:** Le chant syriaque maronite et le chant traditionnel libanais

* Historical/Educational Heritage

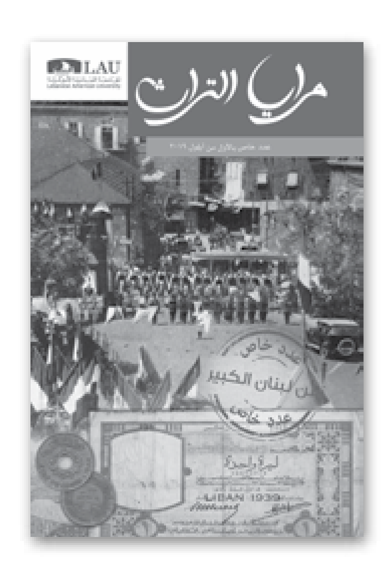
- **Halide Edib:** Memoirs of Halide Edib

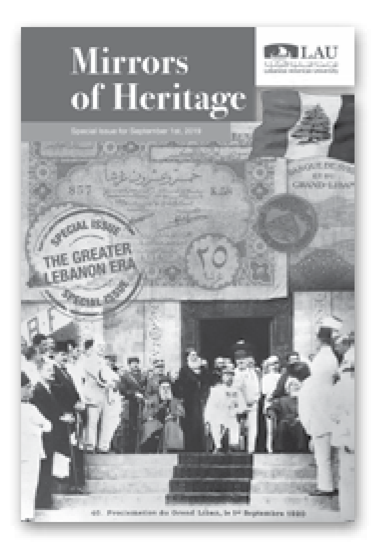




زمن لبنان الكبير: عدد خاص بالأول من أيلول ٢٠١٩

- **لبنان الكبير:** التقسيمات الإدارية واسترجاع الأقضية الأربعة
- **الجنرال غورو في إعلان «لبنان الكبير»**
- **حَولَ البطريرك الحويك في «اليوم الكبير»**
- **النشيد الوطني في الأَوَّل من أَيلول**
- **ميشال زكُّور في افتتاحية «المعرض»:**
  «أَول أَيلول يُمثِّل الفكرةَ السامية: لبنان بِحدوده الطبيعية»
- **الشيخ بشارة الخوري قبل ربع قرن من رئاسته**
- **عنبرة سلام الخالدي:** «... لا يا سيدتي، سنكون عديدين لخدمة وطننا لا لخدمة فرنسا الانتداب»
- **رسالة كليمنصو إِلى البطريرك الحويك**
- **المطران مبارك إلى البطريك الحويك:**
  إِميل إِدّه ويوسف الجميّل مندوبان إِلى غبطتكم
- **وسام اللحام:** الأَول من أَيلول... وأُولى الخطوات الرسمية
- **بطريرك «لبنان الكبير»:** «لن نرضى إِلاَّ باستقلالِهِ التامِّ المُطْلَق وباستعادةِ حُدودِهِ الأَصلية»





العدد الحادي عشر: خريف ٢٠١٩/شتاء ٢٠٢٠

*** تراثنا التاريخيّ**

- **عبدالستار اللاز**: علَمٌ من بيروت غطَّى كلَّ لبنان
- **وسام اللحام**: من البنك السوري (١٩١٩) إلى مصرف لبنان (١٩٦٤) صُور، الصرفنْد، صيدا: مطالع مدُننا على العملة الورقية
- **د. صولانج موريس الحلو**: تراث الخير قمحًا وزيتونًا لمواسم الخير

*** مَلَفّ العدد: زمن لبنان الكبير**

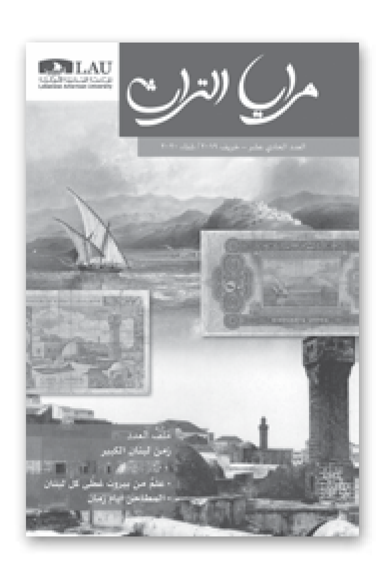
- «بعد اعتراف فرنسا بضرورة استقلالنا سنة ١٨٦٠ لن أرضى بعد ستين سنة أن يمُسّ ويَحكُمَنا الغير»
- **هيام جورج ملاّط**: «لا» لانضمام جبل لبنان إِلى سوريا «لا» لانضمام الليطاني وحرمون إِلى فلسطين
- **كمال ديب**: لبنان كيانٌ حيٌّ وفاعلٌ وموجود

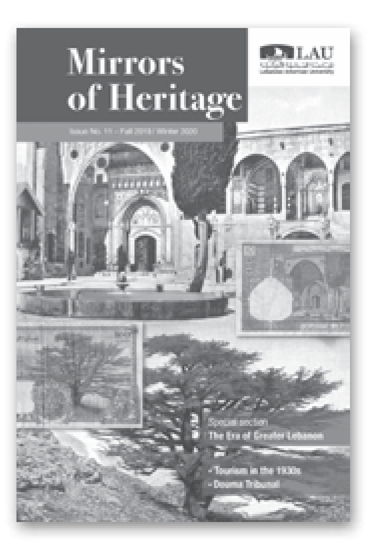
*** تراثنا القضائيّ**

- **د. كابي طانيوس شاهين**: مدخل تأْريخي لمحكمة دُومَا

*** Notre patrimoine historique**

- **Antoine Kassis:** Le Liban chez François de Pagès





العدد الثاني عشر: ربيع / صيف ٢٠٢٠

* تراثنا الثقافيّ

- **أ.د. حسَّان حلاَّق**: أَوقاف المسلمين والمسيحيين عناصرُ نُهوض بالمجتمع اللبناني
- **وسام اللحام**: لبنان في «كتُب الدليل» القديمة لؤلؤة سياحة

* مَلَفّ العدد: زمن لبنان الكبير

- **مسعود ضاهر**: البطريرك الحويك لجمال باشا: «طائفتي هي لبنان، والمسلمون؟ جميعهم لبنانيون»
- **د. برجيس فارس الجميِّل**: دور «الاتحاد اللبناني» في إِعلان «دولة لبنان الكبير»

* تراثنا التربويّ والإِقتصاديّ

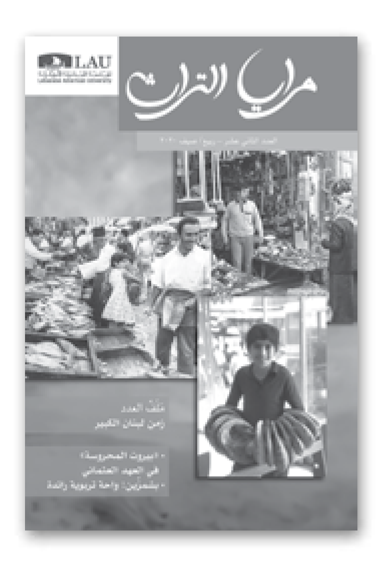
- **د. ميشال جحا**: تراثٌ تربويٌّ عُمرُهُ ١٧٠ سنة (١٨٥٠ – ٢٠٢٠)
- **عبداللطيف فاخوري**: الأَسواقُ القديمة ذاكرةُ بيروت وهي تنهض إِلى الحياة

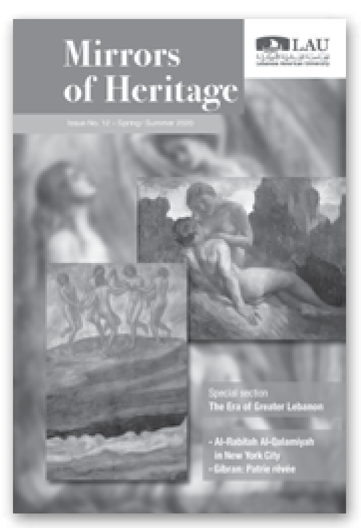
* Patrimoine littéraire

- **Liliane Buccianti-Barakat:** Patrie rêvée dans la peinture de Gibran

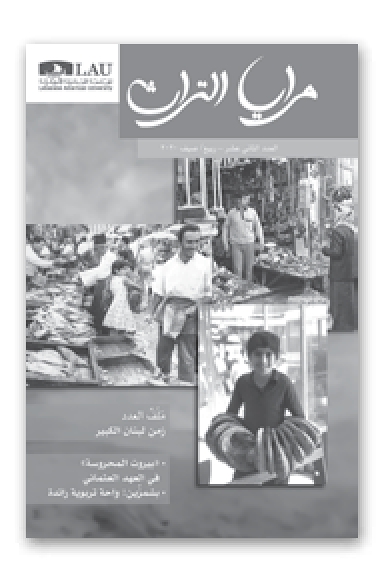
* Mahjar Heritage

- **Linda K. Jacobs:** The Antecedents of *Al-Rabitah Al-Qalamiyah* in New York City





العدد الثالث عشر: خريف ٢٠٢٠ / شتاء ٢٠٢١





العدد الرابع عشر: ربيع/ صيف ٢٠٢١

* تراثنا التاريخيّ

- **نبيل شحادة:** بيروت قبل ١٦٣ سنة في كتاب «سنتان في سوريا»
- **نقولا زيادة:** عرفتُ عنها كثيرَ ما لم يُتَحْ لغيري
- **آرنولد تُوْنْبي:** لبنان: «كلمةُ» التاريخ
- **كاميرا كامل جابر:** «شمع» واحة نابضة بالتاريخ في قلب جبل عامل

* مَلَفّ العدد: قلبُ المرفَإِ انفجَر... لا قلبُ بيروت

- **نص وكاميرا أنطوان لحوَد:** أَعدنا هيكل البيوت. متى نُعيد روحها؟
- **أسامة الكلاّب:** ... وسنُعيدها لُؤْلُؤَةً كما كانت
- بريشاتهم كي لا ننسى

* تراثُنا الصحافيّ

- **مسعود ضاهر:** جريدة «جبل عامل» رسَمت البُعد الاجتماعي والثقافي في واحتنا اللبنانية العريقة

* تراثُنا الحَضَريّ

- **مازن عبُّود:** دُومَا لُؤْلُؤَةُ الجبل حارسةُ ذاكرته

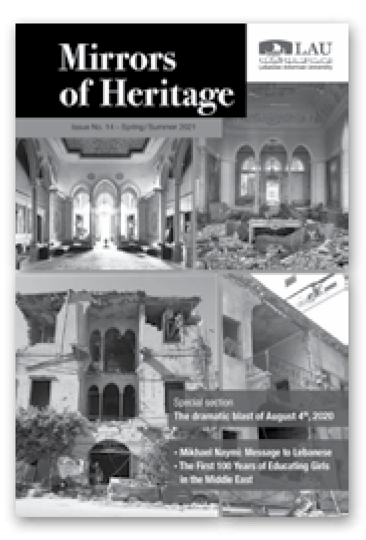
* Educational Heritage

- **Dr. Marwan Iskandar**: The First 100 Years of Educating Girls in the Middle East

* Literary Heritage

- **Maya Georr:** NAIMY TO THE LEBANESE: Beautify Your Souls, As Your Country Is Beautiful





العدد الخامس عشر: خريف ٢٠٢١/ شتاء ٢٠٢٢

* **تراثنا الصحافيّ**

• **د. رشيد العفاقي**: الصَّحافة اللُّبنانية المُهَاجِرَة إِلى طَنْجَة ١٨٨٩ – ١٩١٣

* **تراثنا التشكيليّ**

• ابراهيم خليل الجر ١٨٧٣–١٩٣٦

• رضوان الشهَّال ١٩١٥–١٩٨٨

* **مَلَفّ العدد: الدولة في تراث اللبنانيين**

• **أنطوان مسرّه**

* **تراثُنا الأدبيّ**

• **بَسكال لحُود**: جدليَّةُ المُضاء والمعتم في شخصيّات جبُّور الدويهي (١٩٤٩–٢٠٢١)

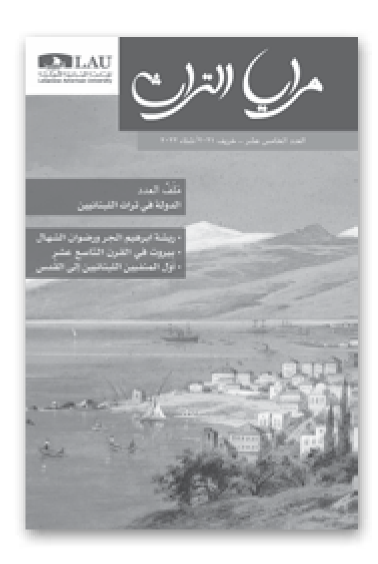
* **تراثُنا التاريخيّ**

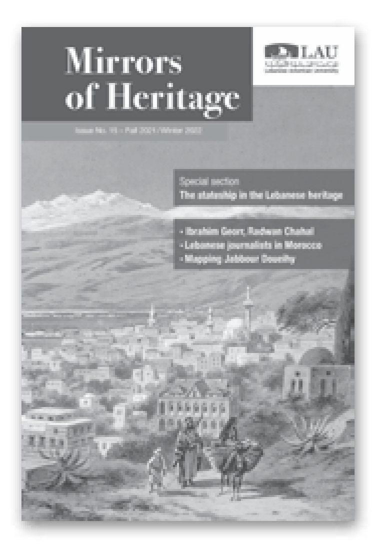
• **هيام جورج ملاَّط**: ١٩١٥: أول دُفعة لبنانيين منفيين إلى القدس

• **نبيل شحادة**: «صاحبةُ السعادة» السلطانةُ بيروت

* **تراثُنا البلديّ**

• **شربل النجار**: المتَين لؤْلؤَةُ المَتْنَين





عدد خاص بالذكرى العشرين لتأسيس المركز
كانون الثاني ٢٠٠٢ - كانون الثاني ٢٠٢٢

- منشورات «المركز»
- منبريات «المركز»
- مجلة «مرايا التراث»
- «مركز التراث اللبناني» في الزمن الصعب: ٢٠ ندوة إلكترونية
- «مرايا التراث» صفحة إلكترونية
- تطبيق «مركز التراث اللبناني»: CLH App
- جبران في «مركز التراث اللبناني»





العدد السادس عشر: ربيع/ صيف ٢٠٢٢

* تراثنا اللُغويّ

- **د.رمزي منير البعلبكي:** منير البعلبكي ١٩١٨ – ١٩٩٩

* تراثُنا غير الماديّ

- اليونسكو: هذا هو التراث غير المادي

* مَلَفّ العدد : تراثنا التاريخيّ

- «دليل بيروت» قبل ١١٢ سنة
- **د. عبدالرؤوف سنّو:** لبنان الكبير بين تَبَرُّج الصراط وتَدَرُّج الانخراط
- **د. بيار مكرزل:** بيروت أيقونةُ الحُجَّاج إلى الأراضي المقدسة
- **د. وسام اللحام:** جبل لبنان يعارض السلطنة العثمانية ويرفض المَسّ باستقلاله

* تراثُنا الأدبيّ

- **د. جوزف لبُّس:** الثقافة الأدبيّة اللبنانيّة: جذور وأجنحة

* تراثُنا الصحافيّ

- **د. رياض نخول:** داود بركات: قلمُهُ في مصر، قلْبُه في لبنان

* Literary Heritage

- **Translated by Adnan Haydar:** The Future of the Arabic Language by Kahlil Gibran

* Patrimoine Maritime

- **Eddy Choueiry:** À la recherche du patrimoine maritime perdu





العدد السابع عشر: خريف ٢٠٢٢/ شتاء ٢٠٢٣

* تراثنا الوطنيّ
- **سهيل منيمنة**: فهم التراث ضرورة، والحفاظ عليه واجب

* تراثُنا الصحافي المهجريّ
- **د. ليليان قربان عقل**: «الهُدى» النيويوركية: منارة لبنانية في أميركا

* تُراث غربيّ بقلم مبدع لبنانيّ
- **مصطفى فرُّوخ**: من دفاتر مصطفى فرُّوخ

* مَلَفّ العدد: تراث الحنين
- ريشةٌ مسكونةٌ بذكريات بيروت

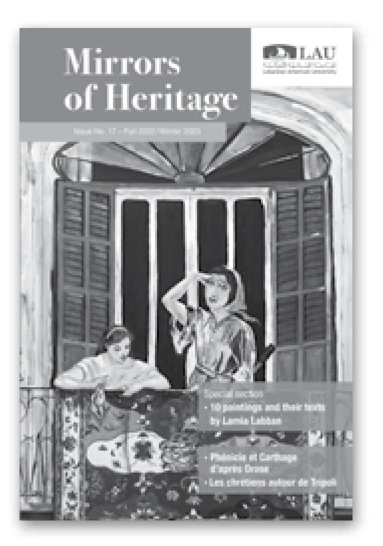
* تراثُنا التاريخي
- **مسعود ضاهر**: تدريس تاريخ لبنان: كتاب موحَّد؟ أَم منهج موحَّد؟

* تراثُنا السينمائي
- **هادي زكّاك**: طرابلس ذات «السيلَمَا»: مدينة سبَّاقة إلى تراث سبَّاق

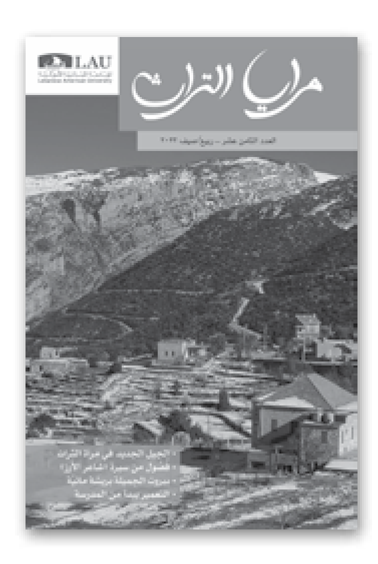
* تراثُنا الحضاري
- **نَدين عراجي**: المرأة اللبنانية: ريادة ساطعة في لبنان والشرق

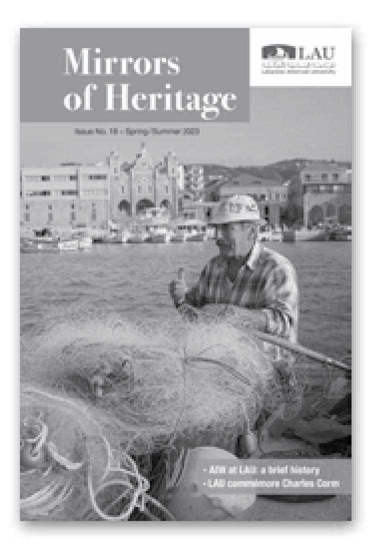
* Patrimoine Historique
- **Pierre Moukarzel:** Les chrétiens des régions voisines de Tripoli au début du XIVe siècle
- **Marwan Abi Fadel:** Phénicie et Carthage d'après Orose





العدد الثامن عشر: ربيع/ صيف ٢٠٢٣





العدد التاسع عشر: خريف ٢٠٢٣/ شتاء ٢٠٢٤

* تراثنا التاريخي

- **د. عماد مراد:** بيروت القرن السّابع عشر في مذكرات الرحّالة لوران دارفيو

* تراثنا التعليمي

- **د. أندريه نصّار:** من أمجاد «مدينة الشمس» مدارس بعلبكّ في العصر المملوكيّ

* تراثنا الصناعي

- **د. سلمى عطاالله:** تراث لبناني مهدّد بالزوال: الفخَّار

* تراثنا النقدي

- **الدكتور بيار مكرزل:** دوما قبل ١٢٥ سنة: الأَسعار والأُجور والمعاملات النقديّة

* Notre patrimoine littéraire

- **Hyam Mallat:** La Mission de Phénicie d'Ernest Renan





العدد العشرون: ربيع/ صيف ٢٠٢٤

تراثُنا الشعبي

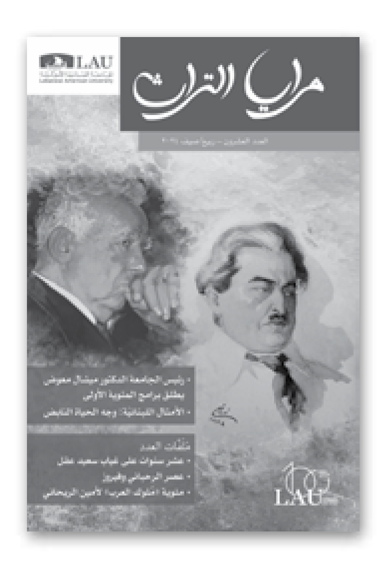
- **د. سلمى عطاالله**: الأمثال اللبنانيّة وجه الحياة النابض

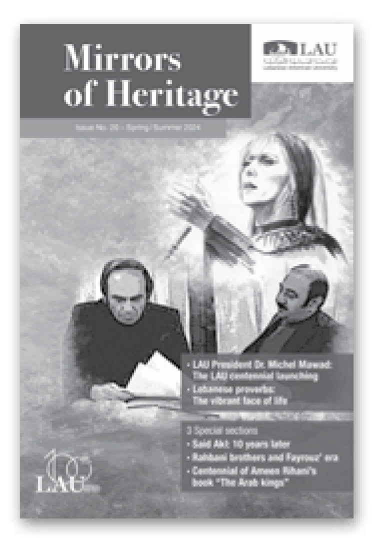
ملفات العدد

- **الملف الأول**: عشر سنوات على غياب سعيد عقل
- **الملف الثاني**: عصر الرحباني وفيروز
- **الملف الثالث**: مئوية «مُلُوك العرب» لأَمين الريحاني

تراثُنا التاريخي

- **د. جورج نصّار**: المدن والقرى اللُبنانيّة في كتب الجغرافيّين العرب أصحاب «المسالك والممالك»
- **د. رجاء لبكي**: المجاعة والحرب العالمية الاولى وانعكاساتهما على النشاط المادي والحرفي والمهني في قرية بعبدات نموذجًا





Mirrors of Heritage

Refereed journal
published twice a year
by
The **Center for Lebanese Heritage (CLH)**
at
The **Lebanese American University (LAU)**

Henri Zoghaib – Editor

Issue No. 21 – Fall 2024 / Winter 2025

Beirut 130 year ago

Lebanese women pioneers

An ancient Lebanese village unveiled

Lebanese customs and traditions in the XVIIth century

Napoleon Bonaparte as seen by Lebanese chroniclers

Special section:

The train in Lebanon

Nagib Azoury a Lebanese pioneer

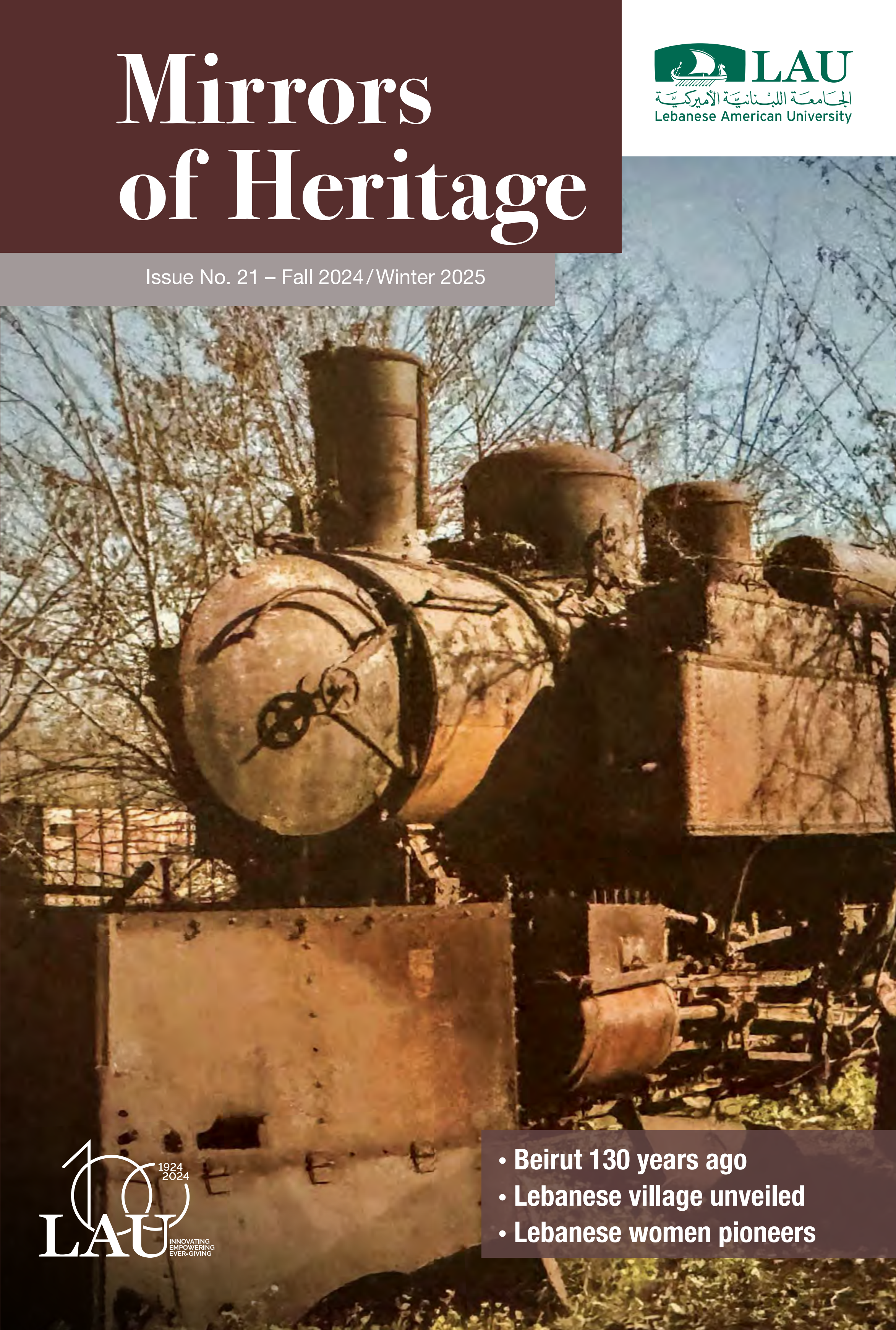
Center for Lebanese Heritage
Lebanese American University, Kraytem, Beirut – Lebanon

Phone: +961.1.78 64 64 (ext: 1600)
P.O. Box: 5053 13 Beirut – Lebanon
email: clh@lau.edu.lb

www.lau.edu.lb/centers-institutes/clh

Conception by STRATCOM – LAU
Design and layout by Marianne Gaby Ziadeh

Cover: Railways in Lebanon



Mirrors of Heritage
LAU
الجامعة اللبنانيّة الأميركيّة
Lebanese American University
Issue No. 21 – Fall 2024 / Winter 2025
• Beirut 130 years ago
• Lebanese village unveiled
• Lebanese women pioneers
1924
2024
LAU
INNOVATING
EMPOWERING
EVER-GIVING